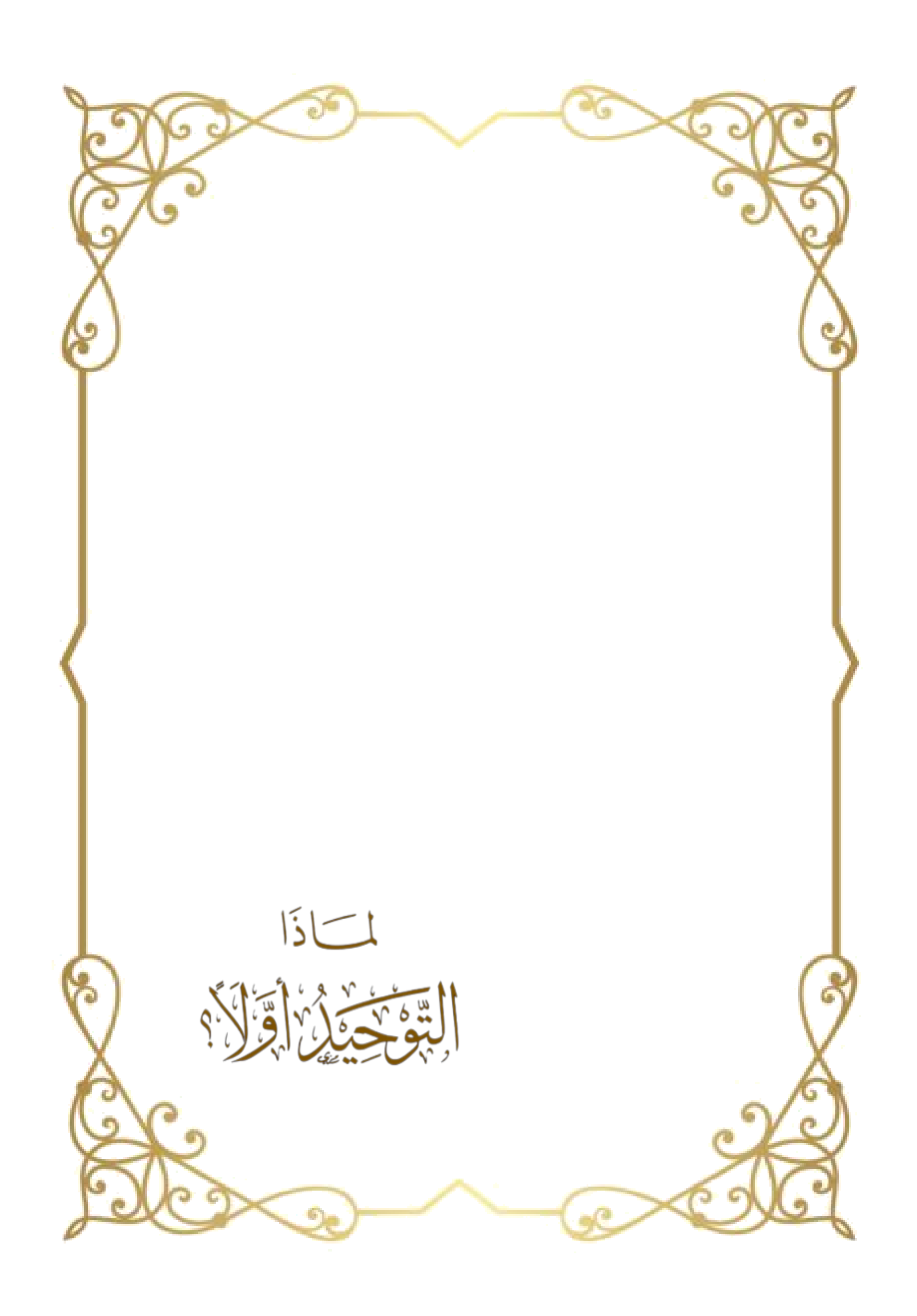


تأليف: فضيلة الشيخ
أ.د. محمد بن خليفة بن علي التميمي

اعتنى به وأعده للنشر
عبد الجبار بن عبد العظيم بن محمد آل ماجد






لماذا
التوحيد أولاً؟


بسم الله الرحمن الرحيم



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾[آلعِمرَان: ١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾[النِّسَاء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحزَاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

فإن أولى أولويات علم العقيدة علم التوحيد الذي هو باب الإيمان بالله

عَزَّوَجَلَّ، فهو أول أركان الإيمان الستة، وأهمها على الإطلاق، وما عداه من الأركان تبع له، وبسلامته مما يضاده ينظر فيما عداه من الأركان.

وهذا كتاب عنونته باسم **"لماذا التوحيد أولاً؟"** أهدف من خلاله تسليط الضوء على جوانب أكثر عمقًا تتعلق بآهميةهذا الباب هذا العلم ومكانته ومنزلته، وتسليط الضوء على جوانب تتعلق بثمراته وما يتعلق بها، وكذلك ما يتصل بمسمياته في النصوص الشرعية، وقد وجدت من خلال سنوات تدريسي لعلوم العقيدةأن لذلك الأثر الكبير في نفسي ونفوس الناس عمومًا وطلاب العلم خصوصًا.

وقد لمست من خلال اطلاعي على ما تم تأليفه في أهمية التوحيد على كثرته أن هناك جوانب لم يشر إليها بشكل موسع ومفصل فأحببت جمع شتات تلك المسائل تحت عنوان واحد بغية إفادة القراء الفضلاء ممن لديهم شغف في الوصول إلى معلومات أكثر دقة وتحديدًا تتعلق بهذه الجزئيات الدقيقة من مسائل التوحيد، فالعلم كما وصفه بعض العلماء: "المتعمق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى أرضًا، ولا يعرف طولًا ولا عرضا"(١).

وقد حرصت على بيان معتقد أهل السنة والجماعة في المسائل المتعلقة بأهمية التوحيد وثمراتهومسمياتهبشكل يجمع بين الشمولية والتعمق، بغية جمع شتات المسائل المتعلقة بهذا الجانب، وهي مسائل متناثرة ومتفرقة في ثنايا كتب أهل السنة، وقد بذلت جهدي وطاقتي في جمعها وترتيبها وتبويبها وإخراجها في

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٣٧.

نسق تنتظم معه تلك المسائل، ليسهل بعد ذلك معرفتها والاطلاععليها.

والتأليف في هذا الجانب حرصت أن يكون بعيدًا عن ذكر جوانب الاختلاف في باب التوحيد ومسائله، فالتأليف عند أهل السنة والجماعة ينقسم من حيث غرضه وهدفه إلى قسمين هما:

- القسم الأول: العرض.
- والقسم الثاني: الرد.

ويتميز القسم الأول وهو الذي سلكته في هذا التأليف بأنه يهدف إلى بيان المسائل مجردة عن ذكر أقوال المخالفين بغية دعوة الناس إلى معرفة هذا الدين من خلال ما جاءت به نصوص القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وذلك على اعتبار أن أكثر الناس قلوبهم مفطورة على محبة الله وما يقرب إليه ما يحبه ويرضاه، كما أن في ذلك دعوة للمخالف لسماع الحق والاستجابة لشرع الله ودينه القويم بعيدًا عن تحريفات الغالين وشبهات المبطلين.

وقد قمت بتقسيم الكتابإلمقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

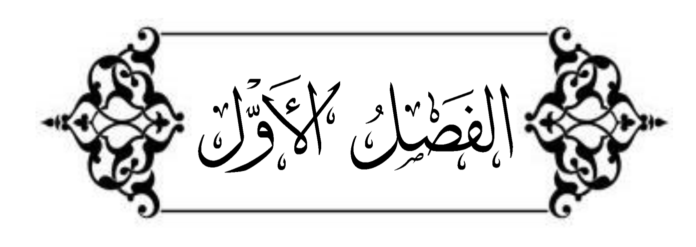
- المقدمة
- الفصل الأول: فضل التوحيد وأهميته ومكانته.
- الفصل الثاني: ثمرات التوحيد.
- الفصل الثالث: أسماء التوحيد.
- الخاتمة.

ولعل فيما كتبته إضافة جديدة لهذا الجانب من جوانب علم التوحيد،

والله أسأل أن ينفع بما جمعت وقيدت، وأن يجعله عملًا صالحًا وخالصًا لوجهه الكريم، وهوسبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه

أ. د / محمد بن خليفة التميمي



فضل التوحيد وأهميته ومكانته

تمهيد

من المفيد والمهم لطالب الحق أن يكون لديه معرفة بأهمية هذا التوحيد وما له من قيمة ومنزلة ودور في جانب الاعتقاد على وجه الخصوص، وفي سائر جوانب الدين على وجه العموم، فإيجاد هذا التصور المفيد في ذهن المسلم عما للتوحيد من مكانة عالية ودرجة رفيعة سيعود بإذن الله تعالى عليه بالنفع في إيمانه بالله عَزَّوَجَلَّ، فيولي هذا الجانب القدر الواجب له من الأهمية، كما يزيده ذلك رغبة في التفقه في مسائله ومباحثه وتفريعاته، والتي لا يستغني عنها طالب العلم الراغب في التزود من العلم النافع المفيد.

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تبع له وفرع عنه، وهو أهم ما خلق لها الخلق وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وأسست عليه الملة، فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأن الإنسان لما كان مخلوقا مربوبا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وباريه فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكهوفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل في القرآن.

قال ابن تيمية: "والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه،

وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به. ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقته إخلاص الدين كله لله"(١).

قال ابن تيمية: "قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧]، وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وإثبات إلهية الحق في القلب، وهو حقيقة لا إله إلا الله وهذا أصل ما تزكو به القلوب"(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الإنسان إذا فتح عليه معرفة الحِكَم من الأحكام الشرعية ازداد إيمانا ويقينا، وعرف بذلك سمو الشريعة الإسلامية، وأنها لا تأمر إلا بالخير، ولا تنهى إلا عن الشر"(٣).

وفي هذا الفصل النقاط الآتية:

١. مما يدل على أهميته أن التوحيد أول الدين وآخره وظاهره وباطنه.

عن معاذ رضي الله عنه قال ﷺ: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله))(٤).

---

(١) منهاج السنة ٥/٣٤٧.

(٢) أمراض القلوب وشفائها ص: ٨.

(٣) أحكام القرآن الكريم ٢/١٣٨.

(٤) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) بلفظ: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الفيروز أبادي: "والدين ورد في القرآن بمعنى التوحيد والشهادة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آلعِمۡرَان: ١٩]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر: ٣]، ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [آلعِمۡرَان: ٨٣]، أي: التوحيد وله نظائر"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "أول الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد وإخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لا إله إلا الله"(٢).

وقال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "أصول الإيمان" وأعلاها وأفضلها هو "التوحيد"وهو شهادة أن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزُّخۡرُف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[الشُّورَى: ١٣]"(٣).

وقال ابن تيمية: "التوحيد كثير في القرآن، وهو أول الدين وآخره، وباطن الدين وظاهره"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزي ٢/٦١٧.
(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٢٦٤)، الفتاوى الكبرى ٥/٢٣٧.
(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣٦٥).
(٤) منهاج السنة ٥/٣٤٩.

قال ابن المنذر: "أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ من كل دين خالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح العقل أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدا، يجب عليه ما يجب على المرتد"[١].

وقال ابن القيم: "مقام التوحيد أولى المقامات أن يبدأ به، كما أنه أول دعوة الرسل كلهم، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله))[٢]. وفي رواية ((إلى أن يعرفوا الله)). ولأنه لا يصح مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال إلا به، فلا وجه لجعله آخر المقامات، وهو مفتاح دعوة الرسل، وأول فرض فرضه الله على العباد، وما عدا هذا من الأقوال فخطأ، كقول من يقول: أول الفروض النظر، أو القصد إلى النظر، أو المعرفة، أو الشك الذي يوجب النظر. وكل هذه الأقوال خطأ"[٣].

قال الشيخ مُحمد بنُ عبدالوهّاب رحمه الله: "فأَهمُّ مَا عَليكَ: مَعرفةُ التوحِيد، قَبل مَعرفة العِبَادَاتِ كلِّها، حتىٰ الصَّلاة"[٤].

---

(١) الأوسط: ص ٧٣٥.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٩).

(٣) مدارج السالكين ١/١٥٤.

(٤) الدُّرَرُ السَنِيَّة فِي الأَجوبةِ النَّجدِيَّة (١/١٠٧).

٢. ومما يدل على أهميته أن الإيمان بالله الذي هو التوحيد هو خير العمل:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "جميع الأعمال كلها هو أولًا وقبل كل شيء الإيمان بالله، وذلك أنه ﷺ سئل: «أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟ قال: إيمان بالله. قيل: ثم ماذا؟ فقال مرة: الجهاد في سبيل الله»[١].

وقال مرة: «الصلاة على أول وقتها»[٢].

وقال مرة: «بر الوالدين»[٣]. وفي كل مرة يقدم إيمانا بالله.

فعليه الإيمان بالله هو خير العمل، وليست الصلاة، ثم بعد الإيمان بالله فهو بحسب حال السائل وحالة كل شخص، فمن كان قويا وليس عليه حق لوالديه، فالجهاد أفضل الأعمال في حقه مع الحفاظ على الصلاة، فإن كان ذا والدين، فبرهما مقدم على كل عمل، ولم لا! فإن الصلاة على أول وقتها لغير هؤلاء، فإطلاق القول بالصلاة خير العمل في حق جميع الناس لا يصح مع هذه الأحاديث، ولهذا منع رسول الله ﷺ بلالا أن يقولها، وجعلها: خيرا من النوم[٤]، وهذا لا نزاع فيه ولا بالنسبة لأي أحد من الناس، والله تعالى أعلم"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٣٤)، ومسلم (٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٣٤)، ومسلم (٨٥).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٥٢/١. (هذا الاثر ضعيف ولا يصح وعلته عبد الرحمن بن سعد).

(٥) أضواء البيان (١٥٧/٨).

٣. ومما يدل على أهميته أن التوحيد جماع الدين.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "التوحيد جماع الدين، والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "التوحيد هو جماع الدين الذي هو أصله وفرعه ولبُّه، وهو الخير كله، والاستغفار يزيل الشر كله، فيحصل من هذين جميع الخير وزوال جميع الشر. وكل ما يصيب المؤمن من الشر فإنما هو بذنوبه"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "وهذان الأصلان جماع الدين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع.

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وكان عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣ هـ) ﵁ يقول في دعائه: "اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا"(٣).

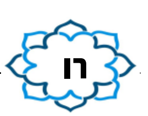
وقال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧ هـ) ﵀، في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]. قال: "أخلصه وأصوبه". قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: "إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١٢/١).

(٢) جامع المسائل ٢٧٤/٦.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٦١٥) من طريق الحسن أن عمر كان يقول، فذكره؛ والحسن لم يسمع عن عمر. وأخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (١٠١٨) من طريق آخر..



وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة"(١). "(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "توحيد الله الذي هو إخلاص الدين له، والعدل الذي نفعله نحن هو جماع الدين"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "جماع الدين هو عبادة الله وحده، وأعظم الذنوب الشرك، والقرآن مملوء من تعظيم التوحيد بالدعاء إليه والترغيب فيه، وبيان سعادة أهله، وتعظيم الشرك بالنهي عنه والتحذير منه وبيان شقاوة أهله"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وجماع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله.

ففي الأولى: ألا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمدا ﷺ هو رسول مبلغ عنه÷ فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره"(٥).

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية بسنده عن إبراهيم بن الأشعث أنه سمع الفضيل يقول ذلك (٨ /٩٥).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٣٧٣.
(٣) جامع المسائل ٨/٤٥، مجموع الفتاوى ١/٨٧.
(٤) الرد على الإخنائي صـ ١٧٢..
(٥) العبودية لابن تيمية صـ ١٤١.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وقال النبي ﷺ لمعاذ: "والله إني لأحبك؛ فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم! أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[(١)].

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان، بل الذكر القلبي واللساني، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتم إلا بتوحيده.

فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرا وباطنا.

وهذان الأمران هما جماع الدين؛ فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته.

وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس والسماوات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السماوات والأرض وما بينهما"[(٢)].

قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥ هـ) رحمه الله: "جماع الدين أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع لا يعبد بالبدع"[(٣)].

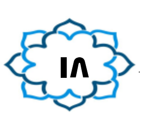
قال عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت: ١٣٩٢ هـ) رحمه الله: "إخلاص جميع

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٤٤، ٢٤٧) وأبو داود (١٥٢٢) والنسائي (٣/٥٣) عن معاذ. وإسناده صحيح.

(٢) الفوائد ١/١٨٦.

(٣) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس (ص ـ ٥٥).



الأعمال لله وحده لا شريك له، ومتابعة الرسول ﷺ وهذان الأصلان هما جماع الدين، ولا يستقيم دين إلا عليهما، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكَهْف: ١١٠]" (١).

٤. ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عِمْرَان: ٥١].

قال ابن كثير: "أي: أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه"(٢).

وقال ابن سعدي: "وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره عليه السلام بأنه عبد مدبر مخلوق، كما قال ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[مَرْيَم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾[المَائـِدَة: ١١٦]، إلى قوله ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المَائـِدَة: ١١٧]، وقوله ﴿هَٰذَا﴾ أي: عبادة الله وتقواه

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٤/٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة آل عمران الآية: ٥١).

وطاعة رسوله ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ [البَقَرَة: ١٤٢] موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم"(١).

قال ابن القيم: "وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم"(٢).

قال ابن القيم: "مراتب العلم بدينه مرتبتان:

- إحداهما: دينه الأمري الشرعي: وهو الصراط المستقيم الموصل إليه.
- والثانية: دينه الجزائي المتضمن ثوابه وعقابه، وقد دخل في هذا العلم: العلم بملائكته وكتبه ورسله"(٣).

قال تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[النَّحل: ١٢١].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: ﴿ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١﴾، يعني: إلى دين مستقيم، وهو الإسلام"(٤).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: ﴿ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١﴾، وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي"(٥).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "مراتب العلم بدينه مرتبتان:

---

(١) تفسير السعدي (سورة آل عمران الآية: ٥١).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/٨٣.

(٣) مدارج السالكين (١/١٢٨).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل الآية: ١٢١).

(٥) تفسير ابن كثير (النحل: الآية: ١٢١).

- إحداهما: دينه الأمري الشرعي: وهو الصراط المستقيم الموصل إليه.
- والثانية: دينه الجزائي المتضمن ثوابه وعقابه، وقد دخل في هذا العلم: العلم بملائكته وكتبه ورسله"(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "أي: أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه"(٢).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره عليه السلام بأنه عبد مدبر مخلوق، كماقال ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[مَرْيَم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المَائِـدَة: ١١٦]، إلى قوله ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[المَائِـدَة: ١١٧] وقوله ﴿هَٰذَا﴾ أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَٱخْتَلَفَ﴾[مَرْيَم: ٣٦ - ٣٧] موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم"(٣).

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: "لزوم الصراط

(١) مدارج السالكين (١/١٢٨).
(٢) تفسير ابن كثير (سورة آل عمران الآية: ٥١).
(٣) تفسير السعدي (سورة آل عمران الآية: ٥١).

المستقيم لا يحصل إلا بالتمسك بالكتاب والسنة والسير بسيرهما والوقوف عند حدودهما وبذلك يحصل تجريد التوحيد لله، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[النِّسَاء: ٦٩]، وهؤلاء المنعم عليهم المذكورون هاهنا تفصيلا هم الذين أضاف الصراط إليهم في فاتحة الكتاب بقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[الفَاتِحَةِ: ٧]، ولا أعظم نعمة على العبد من هدايته إلى هذا الصراط المستقيم، وتجنيبه السبل المضلة، وقد ترك النبي ﷺ أمته على ذلك كما قال النبي ﷺ: تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[1]"[2].

٥. ومما يدل على أهميته أن التوحيد برهان على أن الحق واحد وهو الصراط المستقيم.

فالحق واحد، وهو صراط الله المستقيم، الذي أُمرنا بالتمسك به، قال **تعالى**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣]. فأفرد الله (الصراط)، وجمع (السبُل)، وأمرنا أن نسأله ذلك في كل صلاة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦

(١) (صحيح) رواه أحمد (٤/١٢٦)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (١/٩٦)، وابن أبي عاصم (٤٨، ٤٩) وقد صححه الألباني.

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص ١١٩-١٢٠.

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَةِ: ٦ - ٧] فهو واحد، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ۝﴾ [الحِجْر: ٤١].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "خط رسول الله ﷺ خطّاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خطّ عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾، بعد ذلك. قال: ثمّ خط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السُبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾»[١].

قال الفيروزأبادي: "أجمع العقلاء على أن قولنا: لا إله إلا الله يوجب التوحيد المحض"[٢].

وسئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن الاستقامة فقال: "ألا تشرك بالله شيئًا". قال الفيروزأبادي: "يريد الاستقامة على محض التوحيد"[٣].

قال ابن رجب ﷺ تعالى: "أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، وقد فسر أبو بكر ﷺ الاستقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

---

(١) رواه أحمد: ٤١٤٢، وابن حبان: ٧، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ١/١٤٧. وهو حديث حسن صحيح.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/١٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/٣١٢.

﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾، بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره"(١).

والصدّيق رضي الله عنه استقى هذا المعنى من آيتين في كتاب الله تعالى..

الآية الأولى: قول الله عن عيسى عليه السلام لقومه: ﴿ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آلعِمۡرَان: ٥١].

والثانية: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[يس: ٦٠ - ٦١].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "استقاموا: أخلصوا العمل لله"(٢).

وقال مجاهد: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله"(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة، ومتعددة"(٤).

وقال ابن القيم: "والمقصود أن الطريق إلى الله تعالي واحد، فإنه الحق المبين، والحق واحد، مرجعه إلى واحد، وأما الباطل والضلال فلا ينحصر، بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل، فالباطل متعدد وطرقه متعددة"(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الحق واحد، ولا يخرج عما جاءت

---

(١) جامع العلوم ١٩٣.

(٢) مدارج السالكين ٢/١٠٤.

(٣) مدارج السالكين ٢/١٠٤.

(٤) بدائع الفوائد: ١/١٢٧.

(٥) طريق الهجرتين صـ ١٦٢.

به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"(١).

فالأدلة متوافرة على أن الدين واحد، وهو الصراط الموصل إلى الله، وأن منهجه، وسبيله، التوحيد، فالإسلام واحد، فالله تعالى هو الإله الحق الواحد، ومن يعبدونه، ويوحدونه هم أهل الحق، والآلهة الأخرى باطلة، وعابدوها على الباطل.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾[الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾[يُوسُف: ٣٩]، ودين الحق واحد، وهو دين الإسلام، وبقية الأديان باطلة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آلعِمْرَان: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾[التَّوْبَة: ٣٣].

فطريق الحق واحد، وهو طريق الله، وهو طريق الهداية، وهو طريق الإسلام، وهو طريق الاستقامة، وسبُل الضلال كثيرة خبيثة، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾[المَائـِدَة: ١٠٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشَّوب، هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون، والشهداء، والصالحون،

---

(١) منهاج السنة النبوية: ٥/١٩٠.

ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الطائفة المنصورة"[١].

قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: "نحن اليوم على الطريق، فإذا رأيتمونا قد أخذنا يمينًا أو شمالًا فلا تقتدوا بنا"[٢].

قال محمد بن المنكدر: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت"[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته"[٤].

قال ابن القيم: "إِنَّمَا يُكْرِمُ الله مَنْ يُكْرِمُهُ بِمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَيُهِينُ مَنْ يُهِينُهُ بِالْإِعْرَاضِ عنه؛

فالإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه سبحانه يوسع على الكافر ويقتر على المؤمن لا لإهانته"[٥].

قال ابن القيم: "على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط في هذه الدار، يثبت على الصراط في الآخرة"[٦].

---

(١) العقيدة الواسطية: ٣٢/١.

(٢) أخبار الشيوخ للمروذي (٩٩).

(٣) صفوة الصفوة ١٤١/٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩٨/١١.

(٥) مدارج السالكين ١٧٢.

(٦) مدارج السالكين ١٦/١.

٦. ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد هي الأعلى.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾[التَّوۡبَة: ٤٠].

عن أبي موسى الأشعري (ت: ٤٤ هـ) رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حَمِيَّة، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))[(١)].

قال السيوطي (ت: ٩١١ هـ) رحمه الله: "وأخرج ابن المنذر (ت: ٣١٨هـ) رحمه الله، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ) رحمه الله، والبيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) رحمه الله في الأسماء والصفات، عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما في قوله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾قال: هي الشرك ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ قال: لا إله إلا الله. وأخرج أبو الشيخ (ت: ٣٦٩هـ) رحمه الله، عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢ هـ) رحمه الله مثله"[(٢)].

وقال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: "﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعني دعوة الشرك ﴿ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، يعنى دعوة الإخلاص، ﴿هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ يعنى العالية، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فيملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ حكم إطفاء دعوة المشركين، وإظهار التوحيد"[(٣)].

وقال يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رحمه الله: "﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الشرك

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨١٠) وصحيح مسلم برقم (١٩٠٤).

(٢) تفسير الدر المنثور (سورة التوبة الآية: ٤٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة التوبة الآية: ٤٠).



بالله، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ قول: (لا إله إلا الله)"(١).

عن ابن عباس: "قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ﴾، وهي: الشرك بالله ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾، وهي: لا إله إلا الله"(٢).

قال الطبري: "﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وهي كلمة الشرك ﴿ٱلسُّفۡلَىٰ﴾، لأنها قُهِرَت وأذِلَّت، وأبطلها الله تعالى، ومحق أهلها، وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب، والغالب هو الأعلى ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا﴾، يقول: ودين الله وتوحيده وقولُ لا إله إلا الله، وهي كلمتُه (العليا)، على الشرك وأهله، الغالبةُ"(٣).

٧. ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد أعلى شعب الإيمان.

قال تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: "قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ آية يقول سبحانه: نزه اسم ربك الأعلى، يقول: نزهه من الشرك بشهادة أن لا إله إلا الله، فذلك قوله: ﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾"(٤).

---

(١) معاني القرآن للفراء (سورة التوبة الآية: ٤٠).

(٢) تفسير الطبري (سورة التوبةالآية: ٤٠).

(٣) تفسير الطبري (سورة التوبةالآية: ٤٠).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأعلى الآية: ١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "والعلمُ الأعلى، هو العلمُ بالأعلى"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فإنه العلم بالله، الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه، والعلم به أعلى العلوم من كل وجه، والعلم به أصل لكل علم"[٢].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "وإنما العلم الأعلى هو العلم بالله، والله هو الأعلى على كل شيء من كل وجه، كما قال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأَعْلَى: ١]، فالعلم به أعلى العلوم، وإرادة وجهه أفضل الإرادات، ومحبته أفضل المحبات"[٣].

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»متفق عليه»[٤].

وفي لفظ آخرَ عند أحمد: «أرفعها وأعلاها قول: لا إله إلا الله»[٥].

فتَّوحيدَ اللهِ وعَدَمَ الإشراكِ به هو مَبدأُ الإيمانِ ومُنتَهاهُ، وما كان سِواهُ مِن أعمالٍ فهو مِن مُكَمِّلاتِ الإيمانِ.

---

(١) جامع الرسائل (٢/٦٨٥).

(٢) الرد على المنطقيين صـ ١١١.

(٣) الرد على الشاذلي بن حزبية وما صنفه في آداب الطريق ١/٢٤٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم (٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم (٣٥)، واللفظ له.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢/٣٧٩، برقم (٨٩٢٦).

٨. ومما يدل على أهميته أن التوحيد أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى.

قال ابن القيم: "التوحيد أول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى"(١).

قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ رحمه الله: "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عَزَّوَجَلَّ"(٢).

قال ابن القيم (: ٧٥١هـ) رحمه الله: "ولما كان كمال الإرادة بحسب كمال مرادها، وشرف العلم تابعا لشرف معلومه، كانت نهاية سعادة العبد الذي لا سعادة له بدونها، ولا حياة له إلا بها؛ أن تكون إرادته متعلقة بالمراد الذي لا يبلى ولا يفوت، وعزمات همته مسافرة إلى حضرة الحي الذي لا يموت، ولا سبيل له إلى هذا المطلب الأسنى، والحظ الأوفى؛ إلا بالعلم الموروث عن عبده ورسوله وخليله وحبيبه الذي بعثه لذلك داعيا، وأقامه على هذا الطريق هاديا، وجعله واسطة بينه وبين الأنام، وداعيا لهم بإذنه إلى دار السلام، وأبى سبحانه أن يفتح لأحد منهم إلا على يديه، أو يقبل من أحد منهم سعيا إلا أن يكون مبتدئا منه، ومنتهيا إليه، صلى الله عليه وسلم"(٣).

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤١١.

(٢) شرح العقيدة الطّحاويّة لابن أبي العزّ الحنفيّ: ٧٧–٧٨.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/٥٩.

٩. ومما يدل على أهميته أن التوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

كما قال النبي ﷺ ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))(١)، فهو أول واجب؛ وآخر واجب، وأول الأمر؛ وآخره"٢.

قال ابن القيم: "وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة وأنه قد دخل في قوله: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله))(٣)، وفي لفظ آخر: ((حتى يقولوا لا إله إلا الله))(٤)، فدل على أن مجرد قولهم لا إله إلا الله شهادة منهم"(٥).

١٠. ومما يدل على أهميته أن التوحيد أول واجب على المكلف.

قال ابن تيمية: "إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ".

قال ابن القيم: "الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦٨٧).

(٢) مدارج السالكين ٣/١١١.

(٣) رواه مسلم: (٢٢/كتاب الإيمان/باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الايمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله محمد رسول الله، (١/٤٠).

(٥) مدارج السالكين ٣/٤٢١.

الكلام المذموم[١]"[٢].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: "الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب"[٣].

قال ابن المنذر رحمه الله: "أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد ﷺ حق وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل، أنه مسلم"[٤].

---

(١) يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: "إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر". المحيط بالتكليف ((للقاضي عبد الجبار (ص: ٢٦)، و((شرح الأصول الخمسة)) له (ص: ٧٠، ٧٦).

ويقول عبد القاهر البغدادي: "الصحيح عندنا قول من يقول: إن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤديات إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته، ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى جواز إرسال الرسل منه، وجواز تكليف العباد ما شاء، ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه، ثم النظر المؤدي إلى تفصيل أركان الشريعة، ثم العمل بما يلزمه منها على شروطه" ((أصول الدين)) للبغدادي (ص: ٧٥)

ويقول الجويني: "أول ما يجب على العاقل البالغ – باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً – القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم.." ((الشامل)) للجويني (ص: ٢٦).

(٢) مدارج السالكين ٣/٤١١-٤١٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٢١-٢٣).

(٤) الإجماع ص ١٥٤.

قال عبد القادر الجيلاني: "الذي يجب على من يريد الدخول في دين الإسلام أولا أن يتلفظ بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان"(٢).

ولا يقدح في هذا الإجماع ما يذكره بعض أصحاب المذاهب الأربعة ممن تأثر بعلم الكلام في نسبة القول بأن أول واجب على المكلف هو المعرفة والنظر إلى الأصحاب، ويعني به أصحاب المذهب، وهو في الحقيقة قول من تأثر به من أصحاب الكلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: "ولما كان الكلام في هذه الأبواب المبتدعة مأخوذة في الأصل عن المعتزلة والجهمية ونحوهم، وقد تكلم هؤلاء في أول الواجبات: هل هو النظر، أو القصد، أو الشك، أو المعرفة ؟ صار كثير من المنتسبين إلى السنة، المخالفين للمعتزلة في جمل أصولهم، يوافقونهم على ذلك، ثم الواحد من هؤلاء إذا انتسب إلى إمام من أئمة العلم كمالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وصنف كتابا في هذا الباب يقول فيه: (قال أصحابنا) و (اختلف أصحابنا)، فإنما يعني بذلك أصحابه الخائضين في هذا الكلام، وليسوا من هذا الوجه من أصحاب ذلك الإمام"(٣).

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١١/٨).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/٨).

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله في رده على محمد بن عباد في هذا الجانب: "قولك أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر في الوجود ثم معرفة العقيدة ثم علم التوحيد، وهذا خطأ وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمه، وإنما الذي أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد ليس النظر في الوجود ولا معرفة العقيدة كما ذكرته أنت في الأوراق أن كل نبي يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[المُؤْمِنون: ٢٣]"(١).

١١. ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو حق الله على العبيد.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦ - ٥٨] والمعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا ليُوحِّدونِ(٢).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: له: ((يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده))؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا))، ثم سار ساعة ثم قال: ((يا معاذ، هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟)) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((حقّ العباد على الله

---

(١) الرسائل الشخصية- الرسالة الثانية ص ١٦، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، ١٧/٥٧.

أن لا يعذِّبَ من لا يشرك به شيئًا))[١].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ قال علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه: معناه إلاّ لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي، واعتمد الزجاج هذا القول، ويؤيده قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التَّوْبَة:٣١] وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥]. قال ابن عباس: ليقرّوا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً.

ووجه الآية في الجملة أنّ الله تعالى لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة وإجبار وإنّما خلقه لهم خلق تكليف واختيار، فمن وفّقه وسدّده أقام العبادة التي خُلق لها، ومن خذله وطرده حرمها وعمل بما خلق لها"[٢].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "قال ﷺ في الحديث المشهور في السنن من رواية فقيهي الصحابة: عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ) رضي الله عنه، وزيد بن ثابت (ت: ٤٥ هـ) رضي الله عنه: ((ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)) وفي حديث أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله تعالى عنه المحفوظ: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، ٨٩/٧، برقم ٥٩٦٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، قطعًا، ٥٨/١، برقم ٣٠، واللفظ للبخاري، برقم ٢٨٥٦، ورقم ٦٥٠٠.

(٢) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦).

جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)). فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث؛ إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة. وبيان ذلك أن الحقوق قسمان: حق لله وحق لعباده، فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئا، كما جاء لفظه في أحد الحديثين؛ وهذا معنى إخلاص العمل لله، كما جاء في الحديث الآخر. وحقوق العباد قسمان: خاص وعام؛ أما الخاص فمثل بر كل إنسان والديه، وحق زوجته وجاره؛ فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأن مصلحتها خاصة فردية.

وأما الحقوق العامة فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة مناصحتهم؛ وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة؛ بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا؛ فهذه الخصال تجمع أصول الدين. وقد جاءت مفسرة في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ ((الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة)). قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)). فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم، فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه، فهذه يمكن

بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "واعلم أن هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ (ت:١٨هـ) عن النبي ﷺ أنه قال: ((أتدري ما حق الله على عباده؟)). قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟)) قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((حقهم أن لا يعذبهم))"(٢).

قال ابن تيمية: "ولكن عبادته وحده حق استحقه عليهم لذاته، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، فأخبر أنه إنما خلق الخلق لعبادته، وأخبر أن الذي خلقه لهم وأمره بهم ورضيه وأحبه وأراده بأمرهمنهم هو عبادته، لم يرد منهم رزقا ولا أن يطعموه، والرزق يعم كل ما ينتفع به الحي ظاهرا وباطنا، فلم يرد منهم ما يريده السادة والمخلوقون من عبادهم، من جلب المنفعة إليهم التي هي الرزق.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٧٤ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص: ٧٤ - ٧٥]، فأخبر تعالى أنهم علموا يومئذ أن الحق لله، وأن أولئك الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله لم يكن لهم في ذلك

(١) مجموع الفتاوى ١/١٨-١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١/٢٣.

الحق شي، بل كان دعواهم أن لهم حقا افتراء افتروه، فضل عنهم وقت الحقيقة ما افتروه"(١).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم"(٢)

١٢.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو الغاية من خلق الإنس والجن:

إن توحيد الله تعالى هو أعظمُ عملٍ، وأشرف مهمة، وهو السبب الذي خلَق الله سبحانه من أجلِه الإنسَ والجن؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذَّارِيَات: ٥٦].

وفي تفسير الآية الكريمة:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: "قيل: إن هذا خاصٌّ فيمن سبَق في علم الله تعالى أنه يعبُدُه، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص، والمعنى: وما خلقتُ أهلَ

---

(١) جامع المسائل ١/٢٣٦-٢٣٧.

(٢) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي، (تفسير سورة الذاريات الآية: ٥٦).



السعادة من الجن والإنس إلا ليوحِّدون"[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "التوحيد هو الغاية المطلوبة من جميع المقامات، والأعمال والأحوال فغايتها كلها التوحيد، وإنما كلام العلماء والمحققين من أهل السلوك كله لقصد تصحيحه، وهذا بين من أول المقامات إلى آخرها فإنها تشير إلى تصحيحه وتجريده"[٢].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه"[٣].

وقال الشيخ ابن باز: "فبيَّن سبحانه الحكمة في خلقهم، وهي أن يعبدوا الله وحده، وأنهم لم يُخلقوا عبثًا ولا سدًى، بل خُلقوا لهذا الأمر العظيم؛ وهو أن يعبدوا الله جَلَّ وَعَلَا ولا يشركوا به شيئًا، ويخصُّوه بدعائهم، وخوفهم ورجائهم، وصلاتهم وصومهم، وذبحهم ونذرهم، وغير ذلك"[٤].

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧ هـ) رحمه الله: "ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار"[٥].

قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠ هـ) رحمه الله: "فبيَّن سبحانه الحكمة في

---

(١) تفسير القرطبي (الذاريات ٥٦).

(٢) مدارج السالكين ٣/٤٧٧.

(٣) تفسير السعدي (سورة الذاريات ٥٦).

(٤) "بيان معنى كلمة لا إله إلا الله"؛ لفضيلة الشيخ: ابن باز، ص ٤٥- ٤٦.

(٥) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص ٢٢١.

خلقهم، وهي أن يعبدوا الله وحده، وأنهم لم يُخلقوا عبثًا ولا سدًى، بل خُلقوا لهذا الأمر العظيم؛ وهو أن يعبدوا الله جَلَّ وَعَلَا ولا يشركوا به شيئًا، ويخصُّوه بدعائهم، وخوفهم ورجائهم، وصلاتهم وصومهم، وذبحهم ونذرهم، وغير ذلك"(١).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) ﵀: "واللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ للتعليل لكن هذا التعليل تعليل شرعي أي: لأجل أن يعبدوني، حيث أمرهم فيمتثلوا أمره، وليست اللام هنا تعليلا قدريا؛ لأنه لو كان تعليلا قدريا للزم أن يعبده جميع الجن والإنس، لكن اللام هنا لبيان الحكمة الشرعية في خلق الجن والإنس"(٢).

١٣.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أصل الدين وأول ما دعت إليه الرسل.

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﵁: ((إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه أن يوحِّدوا الله تعالى..))٣.

قال ابن. حجر: "قوله: ((ستأتي قومًا أهل كتاب)) هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجُهَّال من عَبَدَة الأوثان، وليس فيه أن جميع مَنْ يقدم

(١) بيان معنى كلمة لا إله إلا الله"؛ لفضيلة الشيخ: ابن باز، ص ٤٥- ٤٦.

(٢) لقاء الباب المفتوح ٣/١٥٥. وكتاب القول المفيد على كتاب التوحيد ١/٢٥.

(٣) رواه البخاري: (٧٣٧٢/كتاب التوحيد/باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله).

عليهم من أهل الكتاب، بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصَّهم بالذكر تفضيلاً لهم على غيرهم، قوله: «فإذا جئتهم» قيل: عبر بلفظ (إذا) تفاؤلاً بحصول الوصول إليهم، قوله: «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»، كذا للأكثر وقد تقدَّم في أوَّل الزكاة بلفظ: «وأنِّي رسول الله»، كذا في رواية زكريا بن إسحاق لم يختلف عليه فيها، وأمَّا إسماعيل بن أمية ففي رواية روح بن القاسم عنه: «فأوَّل ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله... »، وفي رواية الفضل بن العلاء عنه: «إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك... »، ويجمع بينها بأن المراد بعبادة الله توحيده، وبتوحيده الشهادة له بذلك ولنبيه بالرسالة، ووقعت البداءة بهما؛ لأنهما أصل الدين الذي لا يصحُّ شيءٌ غيرهما إلا بهما، فمَن كان منهم غير موحِّد فالمطالبة متوجِّهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومَن كان موحِّدًا فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه؛ كمَن يقول ببنوَّة عزير، أو يعتقد التشبيه، فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "والقرآن مملوء من ذكر وصف الله بأنه أحد وواحد ومن ذكر أن إلهكم واحد ومن ذكر أنه لا إله إلا الله ونحو ذلك. فلا بد أن يكون الصحابة يعرفون ذلك فإن معرفته أصل الدين وهو أول ما دعا الرسول ﷺ إليه الخلق وهو أولما يقاتلهم عليه وهو أول ما أمر رسله أن يأمروا

---

(١) "فتح الباري شرح صحيح البخاري"؛ لابن حجر.

الناس به وقد تواتر عنه أنه أول ما دعا الخلق إلى أن يقولوا لا إله إلا الله ولما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله))[1]، وفي الصحيحين ((أنه لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))[2].

فقال لمعاذ: ليكن أول ما تدعوهم إليه التوحيد ومع هذا كانوا من أهل الكتاب كانوا يهودًا فإن اليهود كانوا كثيرين بأرض اليمن وهذا الذي أمر به معاذا موافق لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[التَّوْبَة: ٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[التَّوْبَة: ١١]. وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) رواه مسلم: (٢٢/كتاب الإيمان/باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/٣٧٨، ح٧٣٧٢.

﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البَيِّنَة: ٥]. وفي الصحيحين عنه ﷺأنه قال: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[(١)]"[(٢)].

❁ وقال ابن تيمية: "التوحيد الذي هو أصل الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله، وله خلق الخلق، وهو حقه على عباده: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا"[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾[النِّسَاء: ٤٨] ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البَقَرَة: ٢٥٥]. وقال ﷺ «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(٤)]"[(٥)].

❁ وقال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "وعبادة الله وحده: هي أصل الدين وهو

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٣٥٣-٣٥٥).

(٣) ينظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٤/١٣٣).

(٤) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦٨٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/٤٠٠).

التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ۝٤٥﴾[الزُّخرُف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النَّحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبِيَاء: ٢٥]"[1].

وقال ابن تيمية: (ت: ٧٢٨هـ) "وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ۝٤٥﴾[الزُّخرُف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبِيَاء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[النَّحل: ٣٦]"[2].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "و "أصل الإسلام": أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فمن طلب بعباداته الرياء والسمعة فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله ومن خرج عما أمره به الرسول من الشريعة وتعبد بالبدعة فلم يحقق شهادة أن محمدا رسول الله. وإنما يحقق هذين "الأصلين" من لم يعبد إلا الله ولم يخرج عن شريعة رسول الله ﷺ التي بلغها عن الله فإنه قال: ((تركتكم على

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٩٧).

(٢) انظر:"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"١/٣٦٥-٣٦٧.

البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك))[١]، وقال: " ((ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به))[٢]، وقال ابن مسعود (ت: ٣٢ هـ) رضي الله عنه: "خط لنا رسول الله ﷺ خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال: ((هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام: ١٥٣]))[٣]"[٤].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: "قوله سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ يعنى فوحدني، فإنه ليس معي إله"[٥].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وعبادة الله وحده: هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾[الزُّخْرُف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣)، والحاكم (٢١٣٦)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٠٣٧٦) باختلاف يسير.

(٣) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١١٧٤)، والدارمي (٢٠٢) باختلاف يسير.

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦١٧-٦١٨).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة طه: الآية: ١٤).

ﵟٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَﵞ[النَّحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﵟوَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِﵞ[الأَنبِيَاء: ٢٥]"(١).

قال ابن تيمية: (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: ﵟوَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَﵞ[الزُّخۡرُف: ٤٥]، وقال تعالى: ﵟوَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﵞ [الأَنبِيَاء: ٢٥]، وقال تعالى: ﵟوَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚﵞ [النَّحل: ٣٦]"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "محبة الله سبحانه والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضا به وعنه: أصل الدين، وأصل أعماله وإرادته، كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها. فمعرفته أجل المعارف، وإرادة وجهه أجل المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام.

قد قال تعالى لرسوله: ﵟثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ﵞ[النَّحل: ١٢٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٩٧).

(٢) انظر:"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"١/٣٦٥-٣٦٧.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: ((أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين))(١).

وذلك هو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وعليها قام دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وليس لله دين سواه ولا يقبل من أحد دينا غيره"(٢).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "وقال تعالى وتقدس: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[طه: ١٤]. فذكر العبادة عقيب التوحيد، لأن التوحيد هو الأصل، والعبادة فرعه"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "والإيمان به أصل الإيمان بما عداه "(٤).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "التوحيد هو الأمر الذي لا

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٢٩٤) من حديث عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه، ورواه ابن أبي شيبة (٣٢٤/٥) وأحمد (٤٠٦/٣، ٤٠٧) والدارمي (٢٦٨٨) والنسائي في الكبرى (٩٨٢٩ - ٩٨٣١، ١٠١٧٥، ١٠١٧٦) وغيرهم عن عبد الرحمن بن أبزى أن النبي ﷺ كان يقول ذلك، وفي إسناده اختلاف، قال الهيثمي في المجمع (١٥٦/١٠): «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح»، وصححه النووي في الأذكار (٢٢٥)، والعراقي في تخريج الإحياء (١١٥٠)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٤٠١/٢)، وهو في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٩). وفي الباب عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) إغاثة اللهفان ٩٤٤/٢.

(٣) البحر المحيط في التفسير ٤٤/١.

(٤) الصواعق المرسلة ٣٦٥/١.

يقوم بناء إلا عليه"(١).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله"(٢).

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧ هـ) رحمه الله: "وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، ومتشعبة منها مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها"(٣).

قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠ هـ) رحمه الله: "التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو أساس الملة وهو رأس الأمر وهو أهم الفرائض وهو الحكمة في خلق الثقلين والحكمة في إرسال الرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام"(٤).

١٤.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو الأساس الذي قام عليه دين الإسلام.

دعا النبي ﷺ للتوحيد في مكة ثلاثة عشر سنة قبل الهجرة وفي المدينة إلى أن توفاه الله تعالى.

فعن ربيعة بن عباد الدؤلي، قال: رأيت رسول الله في الجاهلية بسوق ذيالمجاز

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/١٩٦.

(٢) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص ٢٢١.

(٤) إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين ص: ٤٧.

وهو يقول: ((يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))[١].

وعن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورأنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجدإني أنهاكم عن ذلك))[٢].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "هذه الكلمة هي: أساس الدين"[٣].

قال ابن القيم رحمه الله في فضل كلمة التوحيد: "هي الكلمةالتي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة"[٤].

فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأن الإنسان لما كان مخلوقًا مربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وباريه فبه

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣٩).

(٢) رواه مسلم (١١٨٨).

(٣) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات. لابن تيمية. ص ٢٦.

(٤) الجواب الكافي ص: ١٧٠.

يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل في القرآن.

قال ابن القيم: "من أَرَادَ علو بُنْيَانه فَعَلَيهِ بتوثيق أساسه وإحكامه وَشدَّة الاعتناء بِهِ، فَإِن علو الْبُنيان على قدر تَوْثِيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بُنيان وأساسها الْإِيمَان وَمَتى كَانَ الأساس وثيقا حمل الْبُنيان واعتلى عَلَيْهِ"(١).

وقال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "التوحيد هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير، والمنتهى الذي هو غاية السير، والعالي على كل غير"(٢).

١٥.ومما يدل على أهميته أن التوحيد من أجله انقسم الناس إلى مؤمن وكافر وبينهما ولاء وبراء.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِيُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥوَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) الفوائد ص ١٥٥.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/٥٧.

كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المُجَادلَة: ٢٢]، "يقول تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولوازمه، من محبة مَن قام بالإيمان وموالاته، وبغض مَن لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقربَ الناس إليه، وهذا هو الإيمان على الحقيقة الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان؛ أي: رسمه وثبّته، وغرسه غرسًا لا يتزلزل، ولا تؤثِّر فيه الشُّبَه والشكوك، وهم الذين قوَّاهم الله بروح منه؛ أي: بوحيه ومعرفته ومَدَدِه الإلهي، وإحسانه الرباني، وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنَّات النعيم في دار القرار، التي فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وتختار، ولهم أفضل النعيم وأكبره، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثُوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات؛ بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا وراءه نهاية، وأمَّا مَن يزعُم أنه يؤمن بالله واليوم الأخر، وهو مع ذلك موادٌّ لأعداء الله، محبٌّ لِمَن نبذ الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعميٌّ لا حقيقة له، فإن كان أمرٌ لا بُدَّ له من برهان يصدِّقه، فمجرَّد الدعوى لا تفيد شيئًا ولا يصدق صاحبها"(١).

(١) تفسير السعدي (سورة المجادلة الآية: ٢٢).

١٦.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو دعوة الحق.

قال عَزَّوَجَلَّ ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾[الرَّعْد: ١٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قد فسر السلف "دعوة الحق" بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق. قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: دعوة الحق: التوحيد"(١).

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "دعوة الحق: شهادة أن لا إله إلا الله"(٢). وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله"(٣).

قال الطبري: "وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادةَ أن لا إله إلا الله"(٤).

وقال السعدي: " ﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الرَّعْد: ١٤] وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى"(٥).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أن قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الرَّعْد: ١٤] يفيد الحصر، ومعناه: له هذه الدعوة لا لغيره، كما أن قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾[الكَافِرُون: ٦]. معناه: لكم دينكم لا

---

(١) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤).
(٢) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤).
(٣) مدارج السالكين ٢ /٤٦٥.
(٤) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤).
(٥) تفسير السعدي (سورة الرعد الآية: ١٤).

لغيركم، ولي ديني، وتحقيق الكلام في إثبات هذا الحصر: أن الحق نقيض الباطل، فالحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم، فلما كان الحق سبحانه وتعالى حقًا في ذاته وبذاته وصفاته، وكان ممتنع التغير في حقيقته، كانت معرفته هي المعرفة الحقة، وذكره هو الذكر الحق، والدعوة إليه هي الدعوة الحقة"(١).

قال ابن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "ودعوة الحق قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "دعوة الحق لا إله إلا الله، وما كان من الشريعة في معناها"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "قد فسر السلف "دعوة الحق" بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "دعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله"(٥).

١٧.ومما يدل على أهميته أن التوحيد قطب رحى الإسلام.

قال ابن تيمية: "و " لا إله إلا الله " تقتضي الإخلاص والتوكل.

---

(١) عجائب القرآن للرازي صـ ٥٠-٥١.

(٢) تفسير ابن حيان الأندلسي (سورة الرعد الآية: ١٤).

(٣) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤).

(٤) مدارج السالكين ٢ /٣١.

(٥) مدارج السالكين ٢ /٤٦٥.

والإخلاص يقتضي الشكر. فهي أفضل الكلام. وهي أعلى شعب الإيمان. كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «الإيمان بضعوستون أو بضع وسبعون شعبة. أعلاها: قول لا إله إلا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

فـ "لا إله إلا الله" هي قطب رحى الإيمان وإليها يرجع الأمر كله"(١).

وقال ابن تيمية: "والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل، فيحبون الله بأكمل محبة، ويذلون له أكمل ذل، ولا يعدلون به، ولا يجعلون له أندادا، ولا يتخذون من دونه أولياء ولا شفعاء.

كما قد بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه [القرآن] وهو يتضمن التوحيد في العلم والقول، والتوحيد في الإرادة والعمل"(٢).

قال ابن القيم: "مدار رحى الإسلام على أن يرضى العبد بعبادة ربه وحده، وأن يسخط عبادة غيره. وقد تقدم أن العبادة هي الحب مع الذل. فكل من ذللت له وأطعته وأحببته دون الله، فأنت عابد له"(٣).

وقال ابن تيمية: "قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[البَيِّنَة: ٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤٢١.

(٢) منهاج السنة ٣/٢٩٠..

(٣) مدارج السالكين ٢/١٧٩.



ونظائر هذا فى القرآن كثير، وكذلك في الأحاديث، وكذلك في إجماع الأمة، ولاسيما أهل العلم والإيمان منهم، فإن هذا عندهم قطب رحى الدين كما هو الواقع"(١).

قال ابن القيم: "الموحد مبين لحقائق أسمائه وكمال أوصافه وذلك قطب رحى التوحيد؛ فالمعطل يعبد عدما، والممثل يعبد صنما؛ والموحد يعبد ربا ليس كمثله شيء له الأسماء الحسنى والصفات العلى وسع كل شيء رحمة وعلما"(٢).

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ: "قلب رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا؛ فإن الرضا بهذه الأصول الثلاثة قطب رحى الدين، وعليه تدور حقائق العلم واليقين، وذلك يتضمن من محبة الله، وإيثار مرضاته، والغيرةلدينه، والانحياز إلى أوليائه، ما يوجب البراءة، كل البراءة، والتباعد، كل التباعد، عمن تلك نحلته، وذاك دينه"(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم: "بين القرآن هذا التوحيد في غير موضع، وهو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه القرآن"(٤)،

١٨.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو الدين الخالص.

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة صـ ٢٩.

(٢) الصواعق المرسلة ١/١٤٨.

(٣) آل الرسول وأولياؤه صـ ١٤.

(٤) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل ١/٢١٢.

نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزُّمَر: ٣].

عن قتادة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ "شهادة أن لا إله إلا الله"(١).

❀ قال البغوي: "وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله"(٢).

❀ قال ابن الجوزي رحمه الله في بيان معنى الآية: "قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾، يعني: الخالص من الشرك، وما سواه ليس بدين الله الذي أمر به. وقيل: المعنى لا يستحق الدين الخالص إلا لله. ؟

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني: آلهة. ويدخل في هؤلاء اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى لقولهم: المسيح ابن الله، وجميع عبادالأصنام"(٣).

❀ قال ابن سعدي: "هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده. وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو

---

(١) تفسير الطبري (سورة الزمر الآية: ٣).

(٢) تفسير البغوي (سورة الزمر الآية: ٣).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (١٦١/٧).

أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به"(١).

وقال ابن تيمية: "فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسم العبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذَّارِيَات: ٥٦]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[البَقَرَة: ٢١]، وأمثال هذا"(٢).

وقال الفيروزأبادي: "فحقيقة الإخلاص: التعرى من دون الله. و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[الإِخْلَاص: ١] سميت سورة الإخلاص؛ لأنها خالص التوحيد؛ وسبب خلاص أهله"(٣).

١٩.ومما يدل على أهميته أن التوحيد يتضمن كمال المحبة لله تعالى.

قال ابن تيمية: "والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودا، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودا، ولهذا قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البَقَرَة: ١٦٥].

---

(١) تفسير السعدي (سورة الزمر الآية: ٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦، ٥٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب ٢/١٧٣.

فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أندادا، وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله، فالذين آمنوا أشد حبا لله منهم لله ولأوثانهم..

لأن المؤمنين أعلم بالله، والحب يتبع العلم، ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده، وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب، ومعلوم أن ذلك أكمل قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾[الزُّمَر: ٢٩].

واسم المحبة فيه إطلاق وعموم فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين، وإن كان ذلك من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره. ولهذا جاءت محبة الله سبحانه وتعالى مقرونة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له، ونحو ذلك. فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى.

وكما أن محبته هي أصل الدين، فكذلك كمال الدين يكون بكمالها ونقصه بنقصها"(١).

قال ابن القيم: "وكمال هذه المحبة هو بالعبودية والذل والخضوع والطاعة للمحبوب سبحانه وتعالى فالحق الذي خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التي هي كمال محبته والخضوع والذل له، ولوازم عبوديته من الأمر والنهي والثواب والعقاب، ولأجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنة والنار"(٢).

وقال ابن القيم: "وإنه ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦، ٥٧).

(٢) روضة المحبين (ص ٥٩).

من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به، والأنس بقربه، والشوق إلى لقائه ورؤيته، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام فكيف بالإيمان الذي يمنع من دخولها"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها محبة من جبلت القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تأليهه، وبها قامت الأرض والسماوات، وعليها فطرت المخلوقات، وهي سر شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تأله القلوب بالمحبة والإجلال، والتعظيم والذل له والخضوع والتعبد، والعبادة لا تصلح إلا له وحده، والعبادة هي: كمال الحب مع كمال الخضوع والذل، والشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله، والله تعالى يحب لذاته من جميع الوجوه، وما سواه فإنما يحب تبعا لمحبته.

وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة، ودعوة جميع رسله، وفطرته التي فطر عباده عليها، وما ركب فيهم من العقوق، وما أسبغ عليهم من النعم، فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها، فكيف بمن كان الإحسان منه؟ وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ

---

(١) روضة المحبين (ص ١٦٨).

﴿تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾[النَّحل: ٥٣]"(١).

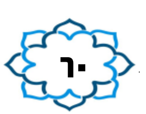
قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله، وكل إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة أو شبهة تمنع كمال التصديق، فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له، فإن قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفرا أو شركا أكبر، وإن لم تعارضه قدحت في كماله، وأثرت فيه ضعفا وفتورا في العزيمة والطلب، وهي تحجب الواصل، وتقطع الطالب، وتنكس الراغب، فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾[الشُّعَرَاء: ٧٥ - ٧٧].

فلم يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه، قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾[المُمۡتَحنَة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ

---

(١) الجواب الكافي صـ ٢٢٨.



﴿يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزُّخْرُف: ٢٦ - ٢٨].

أي جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: لا إله إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة"[١].

قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وإذا ثقُل الظهر بالأوزار منع القلب من السير إلى الله، والجوارحمن النهوض في طاعته، وكيف يقطع مسافة السفر مُثقلٌ بالحمل على ظهره! وكيف ينهض إلى الله قلبٌ قد أثقلته الأوزار! فلو وُضعت عنه أوزاره لنهض وطار شوقاً إلى ربه، ولانقلب عسره يسراً"[٢].

٢٠.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أساس دعوة الرسل.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبِيَاء: ٢٥]، فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام قبل النبي ﷺ: زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة [٣]؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الزُّخْرُف: ٤٥].

---

(١) الجواب الكافي صـ ١٩٥.

(٢) الكلامفيمسألةالسماعص٢٧٨.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٨/٤٢٧، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٤٧٠.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النَّحل: ٣٦]: يخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمّة متقدّمة، أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، فانقسمت الأمم بحسب استجاباتها لدعوة الرسل قسمين: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ فاتبعوا المرسلين، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فاتبع سبيل الغي"(١).

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾[الشُّورَى: ١٥] أي: فإلى هذا فادع، وهو التوحيد"(٢).

قال القرطبي عند تفسير قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأَنبِيَاء: ٢٥]؛

"أي: قلنا للجميع: لا إله إلا الله؛ فأدلَّة العقل شاهدةٌ أنه لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إمَّا معقولٌ وإما منقولٌ، وقال قتادة: لم يُرْسَل نبيٌّ إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكلُّ ذلك على الإخلاص والتوحيد"(٣).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٩٣.
(٢) تفسير السمعاني ٥/٦٨.
(٣) "تفسير القرطبي": (الأنبياء: ٢٥).

وقال الشوكاني: "لم يبعث الله سبحانه رسله، ولا أنزل عليهم كتبه إلا لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة"(١).

قال ابن تيمية: "وأصل دعوة جميع المرسلين قولهم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأَعۡرَاف: ٥٩] وعلى ذلك قاتل من قاتل منهم المشركين كما قال خاتم الرسل: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله))(٢)، قال الله تعالى ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾[الشُّورَى: ١٣]"(٣).

وقال ابن تيمية: "التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل.

قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ۝٤٥﴾[الزُّخۡرُف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾[النَّحۡل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾[الأَنبِيَاء: ٢٥].

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني)) (١٧٣/١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، وأخرجه مسلم (٢٢).

(٣) قاعدة في المحبة ص ١١-١٢.

وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل، مثل نوح وهود، وصالح وشعيب، وغيرهم، أنهم قالوا لقومهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأَعۡرَاف: ٥٩]. وهذا أول دعوة الرسل وآخرها"(١).

قال ابن القيم: "التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأَعۡرَاف: ٥٩]

وقال هود لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأَعۡرَاف: ٥٩]

وقال صالح لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡإِلَٰهٍغَيۡرُهُۥ﴾ [الأَعۡرَاف: ٧٣]

وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[الأَعۡرَاف: ٨٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النَّحۡل: ٣٦]"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "دعوة الرسل تدور على ثلاثة أمور: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله. الأصل الثاني: معرفة الطريق الموصلة إليه وهي ذكره وشكره وعبادته التي تجمع كمال حبه وكمال الذل له. الأصل الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أفضله وأجله رضاه عنهم وتجليه لهم ورؤيتهم وجهه الأعلى وسلامه عليهم

---

(١) منهاج السنة ٥/٣٤٦.

(٢) مدارج السالكين ٣/٤١١.

وتكليمه إياهم ومحاضرتهم في مجالسهم"(١).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) رحمه الله: "أصل الدعوة في كل ملة التوحيد، وكان الشاك فيه شاكا في الله، وكان أمر الله من الظهور بحيث لا يشك فيه عاقل حكم عقله مجردا عن الهوى"(٢).

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: "لم يبعث الله سبحانه رسله، ولا أنزل عليهم كتبه إلا لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "يخبر الله عَزَّوَجَلَّ أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمّة متقدّمة، أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل قسمين: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾[النّحل: ٣٦] فاتبعوا المرسلين، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[النّحل: ٣٦]، فاتبع سبيل الغي"(٤).

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: "اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم على أصل العبادة وأساسها، وهو التوحيد بأن يفرد الله تعالى بجميع أنواع العبادة اعتقادا وقولا وعملا، ويكفر بكل ما يعبد من دونه، وأما الفروض المتعبد بها فقد يفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها مالا

---

(١) الصواعق المرسلة ٤/١٤٨٩.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/٣٩١.

(٣) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني)) (١/١٧٣).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٩٣.

يفرض على الآخرين، ويحرم على هؤلاء ما يحل للآخرين، امتحانا من الله تعالى ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ﴾[هُود: ٧] الدليل على ذلك من الكتاب على نوعين مجمل ومفصل.

أما المجمل فمثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النَّحۡل: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الزُّخۡرُف: ٤٥] الآيات،

وأما المفصل فمثل قوله تعالى﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأَعۡرَاف: ٥٩] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأَعۡرَاف: ٧٣] ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأَعۡرَاف: ٥٩]﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأَعۡرَاف: ٨٥] ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزُّخۡرُف: ٢٦ - ٢٧] وقال موسى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾﴾[طه: ٩٨]، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[المَائـِدَة: ٧٢] ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ

﴿ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾[ص: ٦٥] وغيرها من الآيات"[١].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: "فعلينا أن نعلم أن هذا الذي أمر به سيدنا ﷺ من تحقيق العبودية لله، وإخلاص حقوق الله لله، وتحقيق معنى (لا إله إلا الله) علينا أن نتبع فيه نبينا ﷺ "[٢].

٢١. ومما يدل على أهميته أن التوحيد مفتاح دعوة الرسل.

قال ابن القيم: "فالتوحيد: مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن – «إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» وذكر الحديث وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله»[٣]، ولهذاكان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم"[٤].

وقال ابن القيم: "وقد اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين، وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، أفعاله هي مفتاح دعوتهم

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص٤٩-٥٠.

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٢/٦٢٩.

(٣) رواه مسلم: (٢٢/كتاب الإيمان/باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام).

(٤) مدارج السالكين ٣/٤١١-٤١٢.

وزبدة رسالتهم، فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلان عظيمان هما:

١. تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله، وهي: "شريعته المتضمنة لأمره ونهيه".

٢. تعريفهم مآلهم في الآخرة.

وهذان الأصلان تابعان للأصل الأول مبنيان عليه، فأعرف الناس بالله أتبعهم للطريق الموصلة إليه، وأعرفهم بحال الناس عند القدوم عليه[١].

❁ وقال ابن القيم ،ت: ٧٥١ هـ) ﷬: "فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يُدخل منه إليه.

كما جعل الشرك والكِبر والأعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار"[٢].

❁ وقال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﷬: "ومفتاح كل شرٍّ؛ حُبُّ الدنيا وطول الأمل. وهذا بابٌ عظيمٌ، من أنفع أبواب العلم، وهو: معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يُوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عَظُم حظُّه وتوفيقه"[٣].

٢٢.ومما يدل على أهميته أن التوحيد خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية.

---

(١) الصواعق المرسلة ١/٥-٦.

(٢) حادي الأرواح ص٤٩.

(٣) حادي الأرواح ص٤٨.

قال ابن تيمية رحمه الله: "معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية"(١).

وقال ابن تيمية: "فإخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه"(٢).

قال محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) رحمه الله: "التوحيد هو المقصود الأصلي من بعثة الرسل"(٣).

٢٣.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أصل دين الأنبياء وإن اختلفت شرائعهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا أَولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد))(٤).

قال النووي: "قال جمهور العلماء معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/١٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٤٨-٤٩.

(٣) كتاب معنى لا إله إلا الله للزركشي ص: ٨٧.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

الاختلاف، فقوله: ((ودينهم واحد)) أي أصول التوحيد، أو أصل طاعة الله تعالى وإن اختلفت صفتها، أو أصول التوحيد والطاعة جميعا"(١).

فآفاد الحديث أن الأنبياءَ كلَّهم على دين واحد هو دين الإسلام فكلُّهم دعَوا إلى عبادة الله وحده وعدمِ الإشراك به شيئًا والتصديقِ بأنبيائه، ولكنَّ شرائعَهم مختلفةٌ أي الأحكام.

فالمرسلين قاطبة يَنتسِبون إلى أصلٍ واحد، هو الدين القيّم، الذي ارتضاه الله لنفسه، وشرَعه لعبده، ثم وصَّى به رُسله، وكتب ألا يَقبَل غيره، وألا يجزي إلا به، وتعاقب الأنبياء على هذا الدين الحق، الذي أصوله: توحيد الله وتنزيهه.

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) ﵀: "قوله تعالى ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾[البَقَرَة: ٤١]، بما أنزلت في القرآن مصدقا لما معكم من التوراة. يعني أن القرآن مصدق لما في التوراة من التوحيد ونعت محمد"(٢).

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) ﵀: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾[الأنبِيَاء: ٩٢]، أي: وحدوني، وحقيقة معنى الآية: أن الملة التي دعوتكم إليها هي ملة الأنبياء قبلكم، إذ دين الكل واحد، وهذا في التوحيد، فأما الشرائع يجوز اختلافها، ويقال: معنى الآية: أنكم خلق

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٢٠.

(٢) تفسير السمعاني ١/٧١.

واحد وكونوا على دين واحد"[١].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "واختلف المتأولون في معنى قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المَائِدَة: ٤٨].

فقال علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه وقتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٨هـ) رحمه الله (ت: ١١٨هـ)، وجمهور المتكلمين: المعنى «لكل أمة منكم جعلنا شرعة ومنهاجا» أي لليهود شرعت ومنهاج وللنصارى كذلك وللمسلمين كذلك.

وهذا عندهم في الأحكام، وأما في المعتقد فالدين واحد لجميع العالم توحيد وإيمان بالبعث وتصديق للرسل، وقد ذكر الله تعالى في كتابه عددا من الأنبياء شرائعهم مختلفة، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأَنْعَام: ٩٠] فهذا عند العلماء فيالمعتقدات فقط، وأما أحكام الشرائع فهذه الآية هي القاضية فيها لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"[٢].

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦هـ) رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[النِّسَاء: ١٦٣]"المراد كما أوحينا إليهم في التوحيد ونحوه من قواعد الأصول"[٣].

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي

(١) تفسير السمعاني ٣/٤٠٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٢٠٠-٢٠١.

(٣) الإشارات الأصولية إلى المباحث الإصولية ص:١٩١.

(ت٧١٦ هـ) رحمه الله: "اختصاص كل أمة بشرعة إنما هو في فروع التكاليف، أما التوحيد ونحوه من أصول الديانات فالشرائع فيه واحدة"(١).

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله: "التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه "(٢).

قال محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت ١٣٥٣هـ) رحمه الله: "والذي ظهر لي: أن بعثة الأنبياء كلهم عامة في حق التوحيد كما صرح به ابن دقيق العيد (ت: ٦٢٥ هـ) رحمه الله، بمعنى أنه يجوز لهم أن يدعو إليه من شاؤوا سواء كانوا مبعوثين إليهم أم لا. ويجب على القوم إجابة دعوتهم ولا يسع لهم الإنكار بحال، فإن أنكروا استحقوا النار"(٣).

قال ابن تيمية: "فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه ولا يكون لها إله سواه، والإله ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك.

والله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته، وعن رجاء ما سواه برجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما

---

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٢١٩..

(٢) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب "الجزء الأول" ص: ٢٩٣.

(٣) كتاب فيض الباري على صحيح البخاري ١/٢٨٠.

سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به"(١).

٢٤.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو وصيته سبحانه لأنبيائه ورسله.

قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾[الشُّورَى: ١٣].

قال الطبري: "ودين الإسلام الذي تمسك به الأنبياء جميعهم عليهم السلام ودعوا إليه هو توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه"(٢).

والدين الذي أمر الله سبحانه الأنبياء بالاجتماع عليه والتمسك به هو دين واحد وهو دين الإسلام.

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ﴾ أي: اثبتوا على التوحيد"(٣).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢

(١) مجموع الفتاوى ١١/٥٢٣-٥٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/٦٧).
(٣) انظر: تفسير السمعاني (٥/٦٧).

فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾[المُؤْمِنُون: ٥١ - ٥٣].

ومعنى الأمة هنا: الدين[١] أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله لا شريك له[٢].

يقول عبدالله بن عباس قوله تعالى: وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً يقول: دينكم دين واحد"[٣].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ﵀: "ومعنى الأمة هنا: الدين[٤] أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله لا شريك له[٥].

قال ابن تيمية: "الدين هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله دينا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال تعالى عن نوح: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا

---

(١) انظر الفرقان بين الأولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموعة التوحيد (٥٩٤/٢) وانظر الفتاوى (٦٤/٣).

(٢) تفسير القرطبي (٨٦/١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٩/٣).

(٤) انظر: الفرقان بين الأولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموعة التوحيد (٥٩٤/٢) وانظر الفتاوى (٦٤/٣).

(٥) تفسير القرطبي (٨٦/١٢).

تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[يُونُس: ٧١ - ٧٢]، وقال عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البَقَرَة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[يُونُس: ٨٤]، وقال في خبر المسيح: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[المَائـِدَة: ١١١]، وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[المَائـِدَة: ٤٤]، وقال عن بلقيس أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النَّمل: ٤٤].

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده.

وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت، فإذا أمر في أول الأمر باستقبال الصخرة، ثم أمر ثانيا باستقبال الكعبة، كان كل من الفعلين حين أمر به داخلا في دين الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين، وإنما تنوع بعض صور الفعل

وهو وجهة المصلي، فكذلك الرسل دينهم واحد، وإن تنوعت الشرعة. والمنهاج والوجهة والمنسك، فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحدا، كما لم يمنع ذلك في شرعة الرسول الواحد"(١).

قال ابن القيم: "التوحيد كل التوحيد أن يشهد كل شيء دليلا عليه، مرشدا إليه، ومعلوم أن الرسل أدلة للتوحيد"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "قال تعالى﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[فُصِّلَت: ٦ - ٧]، أي لا يؤتون ما تزكى به أنفسهم من التوحيد والإيمان، ولهذا فسرها غير واحد من السلف بأن قالوا لا يأتون الزكاة لا يقولون لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن يكون الله أحب إلى العبد من كل ما سواه هو أعظم وصية جاءت بها الرسل ودعوا إليها الأمم"(٣).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) ﵀ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[الشُّورَى: ١٥]، اللام في قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ قالت فرقة: هي بمنزلة إلى، كما قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۞﴾[الزَّلْزَلَة: ٥] أي إليها، كأنه قال: فإلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد فادع"(٤).

---

(١) الرسالة التدمرية ١/١٦٨-١٧٠.

(٢) مدارج السالكين ٣/٤٦٥.

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/١٢٠.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٣٠.

٢٥.ومما يدل على أهميته أن التوحيد من أجله أنزل الله الكتب

قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾[هُود: ١ - ٢].

قال الشيخ السعدي: "يقول تعالى: هذا ﴿كِتَٰبٌ﴾ عظيم، ونُزُل كريم، ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هُود: ١] ؛ أي: أُتْقِنت وأُحْسِنَت، صادقة أخبارها، عادلة أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه بهية معانيه، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هُود: ١] ؛ أي: ميزت، بينت بيانًا في أعلى أنواع البيان، ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ﴾ [هُود: ١] يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه حكمته، ﴿خَبِيرٍ ۝١﴾ [هُود: ١] مطَّلع على الظواهر والبواطن، فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة وسعة الرحمة، وإنما أنزل الله كتابه لأجل ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هُود: ٢] ؛ أي: لأجل إخلاص الدين كله لله، وألاّ يشرك به أحد من خلقه، ﴿إِنَّنِي لَكُم﴾ [هُود: ٢] أيُّها الناس ﴿مِّنۡهُ﴾؛ أي: من الله ربكم ﴿نَذِيرٞ﴾ لِمَن تجرَّأ على المعاصي، بعقاب الدنيا والآخرة ﴿وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ للمطيعين لله، بثواب الدنيا والآخرة"(١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "فهذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أُنزل القرآن من أجلها هي: أن يُعبد الله جَلَّوَعَلَا وحده، ولا يُشرك به في عبادته شيء؛ لأن قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ

(١) "تفسير السعدي": (هود: ١-٢).

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ صريح في أن آيات هذا الكتاب فصِّلت من عند الحكيم الخبير؛ لأجل أن يُعبد الله وحده"(١).

وقال ابن كثير: "أي: نزل هذا القرآن المحكم المفصَّل لعبادة الله وحده لا شريك له؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]"(٢).

❁ قال ابن تيمية: "وعبادة الله وحده هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب"(٣).

٢٦.ومما يدل على أهميته أن من تمام التوحيد شهادة أن محمدًا رسول الله.

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله ؛ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾[الشرح: ٤]؛قال: إذا ذكرت ذكرت معي؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله"(٤).

---

(١) "تفسير أضواء البيان"؛ للشنقيطي: (هود:١-٢).

(٢) "تفسير ابن كثير": (هود:١- ٢).

(٣) مجموع الفتاوى ٣/٣٩٧.

(٤) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٨/٣٧٧.

❁ عن محمد بن كعب (ت: ١٠٨ هـ) رحمه الله: "قال: إذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذكر معه؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ"(١).

❁ قال ابن القيم: "محمد رسول الله، من تمام قول لا إله إلا الله. فالكلمتان تخرجان من أصل القلب، من مشكاة واحدة. لا تتم إحداهما إلا بالأخرى"(٢).

❁ وقال ابن القيم: "إثبات حمده التام، فإنه يقتضي كمال حكمته، وأن لا يخلق خلقه عبثا، ولا يتركهم سدى، لا يؤمرون ولا ينهون، ولذلك نزه الله نفسه عن هذا في غير موضع من كتابه، وأخبر أن من أنكر الرسالة والنبوة وأن يكون ما أنزل على بشر من شيء فإنه ما عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه، ولا قدره حق قدره، بل نسبه إلى ما لا يليق به، ويأباه حمده ومجده.

فمن أعطى الحمد حقه علما ومعرفة وبصيرة استنبط منه "أشهد أن محمدا رسول الله" كما يستنبط منه أشهد أن لا إله إلا الله، وعلم قطعا أن تعطيل النبوات في منافاته للحمد، كتعطيل صفات الكمال، وكإثبات الشركاء والأنداد"(٣).

٢٧.ومما يدل على أهميته أن التوحيد بمثابة الأصل والأعمال الظاهرة هي الفروع.

❁ قال ابن تيمية: "والدين القائم بالقلب من الإيمان علما وحالا هو "الأصل"، والأعمال الظاهرة هي "الفروع" وهي كمال الإيمان.

(١) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٨/٣٧٨.

(٢) مدارج السالكين ٣/٤٧.

(٣) مدارج السالكين ١/٩٠.

فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل، كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال التي هي المقاييس العقلية والقصص والوعد والوعيد.

ثم أنزل بالمدينة لما صار له قوة فروعه الظاهرة من الجمعة والجماعة والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريم الخمر والزنا والميسر وغير ذلك من واجباته ومحرماته"(١).

قال ابن تيمية: "أصل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ورأس المعروف هو التوحيد ورأس المنكر هو الشرك"(٢).

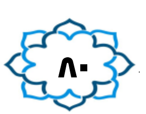
٢٨.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو أول المأمورات، وضده هو أول المنهيات.

قال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[الأَنْعَام:١٥١]، "والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أوَّل دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ونفي الشرك، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك، وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيءٍ من الأوامر إلا جعله أوَّلها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أوَّلها، كما في آية النساء: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٣٥٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/٤٤٢.



شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[النِّسَاء: ٣٦]، وكما في آية الأنعام التي طلب النبي ﷺ البيعة عليها، وهي قوله تعالى: ﴿۞قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الأَنْعَام: ١٥١]، وكما في آيات الإسراء: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإِسْرَاء: ٢٣]، فابتَدَأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك"(١).

عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن معاذ بن جبل أراد سفرًا فقال: يا نبي الله أوصني قال: ((اعبد الله لا تشرك به شيئًا)). قال: يا نبي الله زدني قال: ((إذا أسأت فأحسن)). قال: يا رسول الله زدني قال: ((استقم وليحسن خلقك))(٢).

وقال أبو الدرداء: أوصاني خليلي ((أن لا تشرك بالله شيئًا، وإن قطعت وحرقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الأمة، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر))(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد. والنفي المحض ليس بتوحيد. وكذلك الإثبات بدون النفي. فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات، وهذا حقيقة «لا إله إلا الله»"(٤).

---

(١) معارج القبول: ٣٥٣/١.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ٥٤/١.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٣٤).

(٤) التفسير القيم صـ ٥٨٩.

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: "والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أوَّل دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ونفي الشرك، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك، وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيءٍ من الأوامر إلا جعله أوَّلها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أوَّلها، كما في آية النساء: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[النِّسَاء: ٣٦]، وكما في آية الأنعام التي طلب النبي البيعة عليها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[الأَنْعَام: ١٥١]، وكما في آيات الإسراء: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[الإِسْرَاء: ٢٣]، فابتَدَأ تلك الأوامر والنواهي بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك"(١).

٢٩.ومما يدل على أهميته أن التوحيد من أجله شرع الجهاد.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾[الأَنفَال: ٣٩].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾؛ أي: شرك، وصد عن سبيل الله ويذعنوا لأحكام الإسلام، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرَّهم عن

---

(١) معارج القبول: ١/٣٥٣.



الدين، وأن يَذُبَّ عن دين الله، الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن ما هم عليه من الظُّلم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩﴾، لا تخفى عليه منهم خافية، ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾عن الطاعة وأوضعوا في الإضاعة، ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾، الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسِّر لهم منافعهم الدينية والدنيوية، ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفُجَّار، وتكالُب الأشرار، ومَن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومَن كان الله عليه فلا عزَّ له، ولا قائمة تقوم له"(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "قال ابن جريج: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[الأنفال: ٣٩]؛ أي: لا يفتُر مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شركٌ، ويخلع ما دونه من الأنداد"(٢).

"فدلَّ على أنه إذا وُجد الشرك فالقتال باقٍ بحاله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةً﴾[التَّوۡبَة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾[التَّوۡبَة: ٥]، فأمر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خلَّي سبيلهم، ومتى أَبَوْا

---

(١) تفسير السعدي (سورة الأنفال الآية: ٣٩).

(٢) تفسير السعدي (سورة الأنفال الآية: ٣٩).

عن فعلها أو فعل شيء منها فالقتال باقٍ بحاله إجماعًا"[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّ الإسلام، وحسابهم على الله عَزَّوَجَلَّ))[٢].

"قوله: ((أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)) كذا ساقه الأكثر، وفي رواية طارق عند مسلم: ((مَن وحَّد الله وكفر بما يعبد من دونه حرَّم دمه وماله))، وأخرجه الطبراني من حديثه كرواية الجمهور، وفي حديث ابن عمر: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة))، ونحوه في حديث أبي العنبس وفي حديث أنس عند أبي داود: ((حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، ويصلُّوا صلاتنا))، وفي رواية العلاء بن عبدالرحمن: ((حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به))[٣].

"وقد وردت الأحاديث بذلك زائدٌ بعضها على بعض؛ ففي حديث أبي هريرة الاقتصار على قول: لا إله إلا الله، وفي حديثه من وجهٍ آخر عند مسلم: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله))، وفي حديث ابن عمر ما ذكرت، وفي حديث أنس: ((... فإذا صلُّوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا))، قال الطبري وغيره: أمَّا الأول فقاله في حالة قتاله لأهل الأوثان الذين لا يقرُّون

---

(١) تيسير العزيز الحميد": ص١٤٧.

(٢) رواه مسلم: (٢٢/كتاب الإيمان/باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام).

(٣) فتح الباري لابن حجر.



بالتوحيد، وأما الثاني فقاله في حالة قتال أهل الكتاب الذين يعترفون بالتوحيد ويجحدون نبوَّته عمومًا أو خصوصًا، وأمَّا الثالث ففيه الإشارة إلى أن من دخل في الإسلام وشهد بالتوحيد وبالنبوة ولم يعمل بالطاعات، أن حكمهم أن يقاتلوا حتى يذعنوا إلى ذلك"(١).

"فالمقصود بالجهاد ألا يعبد غير الله، فلا يدعو غيرَه، ولا يُصلِّي لغيره، ولا يسجد لغيره، ولا يعتمر ولا يحج إلا إلى بيته، ولا يذبح القرابين إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يتوكَّل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه... "(٢).

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (ت:١٢٣٣هـ) ﷺ: "فدلَّ على أنه إذا وُجد الشرك فالقتال باقٍ بحاله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾[التَّوۡبَة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾[التَّوۡبَة: ٥]، فأمر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خلَّي سبيلهم، ومتى أَبَوْا عن فعلها أو فعل شيء منها فالقتال باقٍ بحاله إجماعًا"(٣).

قال الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) ﷺ: "الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن

---

(١) فتح الباري لابن حجر.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/٣٦٨.

(٣) تيسير العزيز الحميد": ص١٤٧.

يقول كلمة التوحيد، فإذا قالها حقن دمه فصار محظور الدم بمنزلة المسلم"[١].

قال الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) رحمه الله: "المشرك إذا قال: لا إله إلا الله رفع عنه السيف وحرم دمه"[٢].

قال ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) رحمه الله: "قوله: ((أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله)) كذا ساقه الأكثر، وفي رواية طارق عند مسلم: ((مَن وحَّد الله وكفر بما يعبد من دونه حرَّم دمه وماله))، وأخرجه الطبراني، من حديثه كرواية الجمهور، وفي حديث ابن عمر: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة))، ونحوه في حديث أبي العنبس، وفي حديث أنس عند أبي داود: ((حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، ويصلُّوا صلاتنا))، وفي رواية العلاء بن عبدالرحمن: ((حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به))[٣].

قال ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) رحمه الله: "وقد وردت الأحاديث بذلك زائدٌ بعضها على بعض؛ ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الاقتصار على قول: لا إله إلا الله، وفي حديثه من وجهٍ آخر عند مسلم: ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله))، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ما ذكرت، وفي حديث أنس رضي الله عنه: ((... فإذا صلُّوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا))، قال الطبري رحمه الله، وغيره: أمَّا

---

(١) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي. ٣/١٧١٣.

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي. ٣/١٧٥٠.

(٣) فتح الباري لابن حجر.

الأول فقاله في حالة قتاله لأهل الأوثان الذين لا يقرُّون بالتوحيد، وأما الثاني فقاله في حالة قتال أهل الكتاب الذين يعترفون بالتوحيد ويجحدون نبوَّته عمومًا أو خصوصًا، وأمَّا الثالث ففيه الإشارة إلى أن من دخل في الإسلام وشهد بالتوحيد وبالنبوة ولم يعمل بالطاعات، أن حكمهم أن يقاتلوا حتى يذعنوا إلى ذلك"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ؒ "فالمقصود بالجهاد ألا يعبد غير الله، فلا يدعو غيرَه، ولا يُصلِّي لغيره، ولا يسجد لغيره، ولا يعتمر ولا يحج إلا إلى بيته، ولا يذبح القرابين إلا له، ولا ينذر إلا له، ولا يتوكَّل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه... "(٢).

٣٠.ومما يدل على أهميته أن التوحيد وصية الأنبياء لذريتهم.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٢ - ١٣٣].

وعن عبد الله. بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ نبيَّ اللهِ نوحًا صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم لَمَّا حضَرَتْه الوفاةُ قال لابنِه: إنِّي قاصٌّ عليكَ الوصيَّةَ:

---

(١) فتح الباري لابن حجر.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦٨/٣٥.

آمُرُكَ باثنتينِ وأنهاكَ عن اثنتينِ؛ آمُرُكَ بلا إلهَ إلَّا اللهُ؛ فإنَّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرَضينَ السَّبعَ، لو وُضِعَتْ في كِفَّةٍ ووُضِعَتْ لا إلهَ إلَّا اللهُ في كِفَّةٍ، رجَحَتْ بهنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ، ولو أنَّ السَّمواتِ السَّبعَ والأرَضينَ السَّبعَ كُنَّ حَلقةً مُبْهَمةً، قَصَمَتْهُنَّ لا إلهُ إلَّا اللهُ وسُبحانَ اللهِ وبحمدِه؛ فإنَّها صلاةُ كلِّ شيءٍ، وبها يُرزَقُ الخَلْقُ، وأنهاكَ عنِ الشِّركِ والكِبْرِ))(١).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾[البَقَرَة: ١٣٢]، يعني: كلمة التوحيد ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أي: وأوصى بها أيضا يعقوب بنيه بعد إبراهيم قال: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: اختار لكم الإسلام"(٢).

٣١.ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد أفضل الحسنات.

فعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أوْصِني، قال: ((إذا عَمِلْتَ سيِّئةً، فأَتبِعْها حَسنةً تَمْحُها))، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أمِنَ الحَسنات "لا إلهَ إلا الله"؟ قال: ((هي أفْضَلُ الحَسناتِ))(٣).

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) رحمه الله: "ولا حسنة أعظم من توحيد الله والإقرار بوجوده والتضرع إليه فى المغفرة. "(٤).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٨).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن زبي زمنين ١/ ١٨٠

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥٢٥)، وصححه الألباني انظر: صحيح الترغيب للمنذري (٣١٦٢)

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ٥٠٣.

٣٢.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق.

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ((الإيمان بضع وستون خصلة، أكبرها شهادة أن لا إله إلا الله وأصغرها إماطة الأذى عن الطريق))[(١)].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "إن قال قائل: أى أنواع الذكر أفضل؛ فإن ذلك أنواع كثيرة، منها التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير؟ قيل: أعلى ذلك وأشرفه الكلمة التى لا يصح لأحد عمل إلا بها، ولا إيمان إلا بالإقرار بها، وذلك التهليل، وهو لا إله إلا الله"[(٢)].

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) رحمه الله: "تمام الإيمان وتمام العلم إنما هو المعرفة بالله ورسله، ومعرفةالدلالة على ذلك"[(٣)].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "شرف العلم بشرف المعلوم، فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به أشرف، ولما كان أشرف المعلومات ذات الباري تعالى وصفاته، وجب أن يكون معرفته وتوحيده أشرف العلوم.

ثم إن العلم إما أن يكون دينيًا، أو يكون غير ديني. ولا شك أن العلم الديني أشرف من غير الديني. وأما العلم الديني فأما أن يكون علم الأصول أو ما عداه. أما ما عداه على الأصول فإن صحته متوقفة على صحة علم الأصول،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٣٦٢).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/١٣٩.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/٤٤-٤٥.

لأن المفسر إنما يبحث عن معاني كلام الله تعالى، وذلك فرع على معرفة الصانع المختار المتكلم. وأما المتحدث فإنما يبحث عن كلام رسول الله ﷺ، وذلك فرع على إثبات نبوته. والفقيه يبحث عن أحكام الله تعالى، وذلك فرع على ثبوت التوحيد والنبوة. فثبت أن هذه العلوم مفسرة إلى علم الأصول. وظاهر أن علم الأصول غني عنها بأسرها، فوجب أن يكون علم الأصول أشرف"(١).

قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري: "أشرف علوم الخلائق، علم الأمر والنهي، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر"(٢).

قال الفيروز أبادي: "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخلبه. فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهى أشرف منه قطعا"(٣).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "وأشرف المعارف وأجلها معرفة أنه لا إله إلا هو"(٤).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "شرف العلم بشرف المعلوم فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به أشرف فلما كان أشرف المعلومات ذات

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/١٢٤.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/٤٠٢.

(٣) بصائرذويالتمييزفيلطائفالكتابالعزيز ١/٤٥.

(٤) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل: الآية: ٢).

الله تعالى وصفاته وجب أن يكون العلم المتعلق به أشرف العلوم"[١].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "فإن أشرف كلمة يذكرها الإنسان هي هذه الكلمة، فإذا كان في أكثر الأوقات مشتغلًا بذكرها وبتكريرها كان مشتغلًا بأعظم أنواع العبادات، فكان الغرض من التكرير في هذه الآية حث العباد على تكريرها"[٢].

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "وكذلك معرفة التوحيد أفضل المعارف، واعتقاده أفضل الاعتقادات"[٣].

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "وقد «سئل عليه السلام أي الأعمال أفضل؟ فقال: ((إيمان بالله))، قيل: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))، قيل ثم أي؟ قال: ((حج مبرور))[٤].

جعل الإيمان أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح، ودرئه لأقبح المفاسد، مع شرفه في نفسه وشرف متعلقه، ومصالحه ضربان:

- أحدهما: عاجلة وهي إجراء أحكام الإسلام، وصيانة النفوس والأموال والحرم والأطفال.
- والثاني: آجلة وهو خلود الجنان ورضاء الرحمن"[٥].

(١) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة البقرة: الآية: ٢١).
(٢) تفسير الرازي ٧/٢٢١.
(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٣٥.
(٤) أخرجه مسلم برقم (٨٣).
(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٥٤.

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه وهذان قسمان:

أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى إقامه الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد"(١).

قال ابن تيمية: "ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن أفضل الذكر لا إله ألا الله"(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: "معرفة رب العالمين غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية"(٣).

قال ابن القيم: "لما كان العلم للعمل قرينًا وشافعًا، وشرفه لشرف معلومه تابعًا، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد"(٤).

---

(١) تفسير الرازي ٧/٢٢١.

(٢) قاعدة في المحبة صـ ١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/١٣.

(٤) إعلام الموقعين ١/٤.

قال ابن القيم: "إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها.

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات"(١).

قال ابن القيم: "فإن قيل: فالعلم إنما هو وسيلة إلى العمل ومراد له، والعمل هو الغاية، ومعلوم أن الغاية أشرف من الوسيلة، فكيف تفضل الوسائل على غاياتها؟

قيل: كل من العلم والعمل ينقسم إلى قسمين، منه ما يكون وسيلة، ومنه ما يكون غاية، فليس العلم كله وسيلة مرادة لغيرها، فإن العلم بالله وأسمائهوصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطَّلَاق: ١٢] فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شي عليم، وعلى كل شي قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، وقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[مُحَمَّد: ١٩] فالعلم

(١) مفتاح دار. السعادة ٨٦/١.

بوحدانيته تعالى وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما.

الأمر الأول: أن يعرف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني: أن يعبد بموجبها ومقتضاها.

فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته أيضا، فإن العلم من أفضل العبادات"(١).

قال ابن القيم: "مراتب العلمُ به سبحانه خمس مراتب:

١ العلم بذاته،

٢ وصفاته،

٣ وأفعاله،

٤ وأسمائه،

٥ وتنزيهه عما لا يليق به"(٢).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "فأفضل العلم العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه.

وتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه، وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

---

(١) مفتاح دار. السعادة ١/١٧٨.

(٢) مدارج السالكين ١/١٢٨.

ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين، العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره، وبالعكس"(١).

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رحمه الله: "فإن لكل علم حدا لا يتجاوزه، ولكل عالم ناموسا لا يخلبه؛ فمن الوجوه المغلطة أن يظن في العلم فوق غايته؛ كما يظن بالطب أنه يبرئ جميع الأمراض؛ وليس كذلك، فإن كثيرًا من الأمراض لا يبرأ بالمعالجة.

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف؛ كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق؛ وليس كذلك؛ فإن التوحيد والعلم الإلهى أشرف منه قطعا"(٢).

قال الشيخ. ملا علي القاري: "علم التوحيد أفضل العلوم وأجازها وأكملها، وعالم هذا العلم. أفضل العلماء، وبهذا السبب خصهم الله بالذكر في أجل المراتب فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[آل عمران: ١٨]"(٣).

قال الرازي: "فإن أشرف كلمة يذكرها الإنسان هي هذه الكلمة، فإذا كان في أكثر الأوقات مشتغلًا بذكرها وبتكريرها كان مشتغلًا بأعظم أنواع العبادات، فكان الغرض من التكرير في هذه الآية حث العباد على تكريرها"(٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ

---

(١) شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب (ص ٤١).

(٢) بصائرذويالتمييزفيلطائفالكتابالعزيز ١/٤٥.

(٣) شرح الفقه الأكبر ص: ٣٨.

(٤) تفسير الرازي ٧/٢٢١.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[آل عِمۡرَان: ١٨]: "وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم"(١).

٣٣.ومما يدل على أهميته أن التوحيد سيد العلوم وهو أصل لها.

❁ قال ابن تيمية: "ومن له من مخلوقاته فالعلم به تابع للعلم بالله، والعلم الأعلى هو العلم بالأعلى كما قال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾[الأَعۡلَىٰ: ١]، فهو رب كل ما سواه، فهو الأصل، فكذلك العلم به سيد جميع العلوم وهو أصل لها"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "وتعظيمهم للعلم الإلهي الذي هو سيد العلوم وأعلاها، وأشرفها وأسناها"(٣).

٣٤.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أصل العلوم كلها.

❁ قال أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت: ٦٨٤ هـ) ﵀: "علم

---

(١) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران الآية: ١٨).
(٢) جامع المسائل (٥/٢٦٨).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/٧٠).



أصول الدين هو أصل العلوم كلها" ... "ومن فروعه إثبات النبوات بالنظر العقلى في المعجزات، ومن فروع النبوة علم التفسر، وعلم الحديث وعلم الأصول التبنبنى عليها الفقه، ونحو ذلك من فروع علم أصول الفقه، فهو الغاية والنهاية"(١).

❁ قال الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السِّغْنَاقي (ت:٧١١هـ) رحمه الله: "(علم التوحيد والصفات) وإنما ذكر علم التوحيد والصفات هنا مع أنه في بيان أصول الفقه لا في بيان أصول الدين؛ لأنه لما حصر العلم أي العلم الذي ابتلي بتعلمه على نوعين لا غير، وجب عليه بيان ذينك النوعين، حتى أن شمس الأئمة والقاضي أبا زيد رحمهما الله لما لم يذكرا في كتابيهما حصر العلم على نوعين، لم يذكرا علم التوحيد والصفات. ثم المصنف رحمه الله إنما ذكر حصر العلم على هذين النوعين؛ لأن العلم الذي يهمنا ويسعدنا ويبلغنا إلى درجة الكمال في الدنيا والآخرة، هذا العلم وإن كان اكتساب غيره أيضا قد يكون من المناقب السنية والفضائل العلية، لكن يكون لك على وجه الوسائل إلى هذا العلم، لا على وجه المقاصد بنفسه. ثم قدم بيان علم أصول الدين على علم الشرائع والأحكام؛ لأن علم أصول الدين أصل جميع العلوم على ما قررنا في صدر ((الوافي)) فوجب تقديمه على غيره"(٢).

❁ قال ابن تيمية: "إخلاص الدين لله هو أصل كل علم وهدى"(٣).

---

(١) نفائس الأصول في شرح المحصول ١/١٦٣.

(٢) كتاب الكافي شرح البزودي ١/١٥٠-١٥١.

(٣) جامع المسائل (١/١٣٦).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "إن الله سبحانه لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر الذي إليه تصير الحادثات؛ فهو الأصل الجامع؛ فالعلم به أصل كل علم وجامعه وذكره أصل كل كلام وجامعه والعمل له أصل كل عمل وجامعه"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[الحَشر: ١٩] فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفا عظيما، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاتهونفسه فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده، لأنه خرج عن فطرته التي خلق عليها فنسي ربه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكَهف: ٢٨] فغفل عن ذكر ربه فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه، وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مشتت القلب مضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلا.

فالعلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح

(١) مجموع الفتاوى (٢/١٦).

به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهل العبد به أو لعدم حكمته، أما الرب تعالى فهو العليم الحكيم، فلا يلحق، فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "العلم به تعالى أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ولا ريب ان العلم به وباسمائه وصفاته وافعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات، وكما ان العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر إليه في تحقق ذاته وأينيته وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقق ذاته اليه فالعلم به أصل كل علم"(٤).

قال محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣ هـ) رحمه الله: "وقال صاحب المحيط من

---

(١) مفتاح دار السعادة ٨٦/١.

(٢) طريق الهجرتين ص ٣١٨ "بتصرف".

(٣) بدائع الفوائد ٢٨٧/١.

(٤) مفتاح دار السعادة ٨٦/١.

الحنفية: أفضل العلوم عند الجمهور بعد معرفة أصل الدين وعلم اليقين، معرفة الفقه والأحكام الفاصلة بين الحلال والحرام"(١).

قال إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت:٧٩٠هـ) رحمه الله: "نحن نعلم أن النطق بالشهادتين والصلاة وغيرهما من العبادات؛ إنما شرعت للتقرب بها إلى الله، والرجوع إليه، وإفراده بالتعظيم والإجلال، ومطابقة القلب للجوارح في الطاعة والانقياد"(٢).

قال محمد بن علي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨ هـ) رحمه الله "وأما تسميته بأصول الدين فلكونه أصل العلوم الشرعية لابتنائها عليه"(٣).

قال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨ هـ) رحمه الله في منظومته: "وبعد فاعلم أن كل العلم... كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي"(٤).

قال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رحمه الله: "فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصاها كما ينبغي للمخلوق، دخل الجنة"(٥).

قال مبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت ١٣٦٤هـ) رحمه الله: "وهذه أركان الإسلام الخمسة؛ إنما شرعت كسائر العبادات، للاحتفاظ بالتوحيد، والابتعاد عن الوثنية:

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/١٢٥، وكتاب الفروع وتصحيح الفروع لابن مفلح ٢/٣٥٦.

(٢) الموافقات ٢/٣٨٥.

(٣) كتاب كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ص: ٣١.

(٤) العقيدة السفارينية الموسومة بـ (الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية) ص: ٣٩.

(٥) لوامع الأنوار البهية ١للسفاريني/١٢٦.



فلم يكتف في الشهادتين بالتوحيد المجرد، حتى صرح بنفي التعدد، وحصر التشريع في شخص المرسل بالتبليغ.

ولم يقتصر في الصلاة على افتتاحها بالتكبير الذي فيه تعريض باطراح الأوثان، حتى خللت به، وكرر فيها مخاطبة رب العالمين بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفَاتِحَةِ: ٥].

وزكاة المرء شعار غناه، ودليل اعترافه للرب بجليل نعماه، وأنه لا دخل فيها للأصنام وكل ما سواه.

والصوم يذر فيه الصائم شهوته وطعامه وشرابه من أجل مولاه، ويراقبه وهو صائم، ولو انفرد بمحل سكناه.

والحج فاتحته الإحرام، المصحوب بالتلبية المتكررة في كل حال، وهي صريحة في حياطة التوحيد بنكران الشريك"(١).

- قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) ﵀: "هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها"(٢).
- قال عبدالرحمن بن قاسم (ت: ١٣٩٢ هـ) ﵀: "فيتعين على كل مكلف معرفة معنى لا إله إلا الله، الذي هوأصل الأصول، وأوجب العلوم"(٣).
- قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) ﵀: "كلما غفل الإنسان عن ذكر ربه انقطعت به السبل، وكلما عمر قلبه بذكر ربه وصل إلى الغاية.

---

(١) الشرك ومظاهره للميلي ص: ٤٥-٤٦.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص: ١٩٤.

(٣) الدرر السنية ١٢/١٥٤.

فإن الذكر بمنزلة النور يهتدي به الإنسان في ظلمات الطرق حتى يصل غايته"(١).

فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾[الحَشۡر: ١٩] فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفا عظيما، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاتهونفسه فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده، لأنه خرج عن فطرته التي خلق عليها فنسي ربه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكَهۡف: ٢٨]فغفل عن ذكر ربه فانفرط عليه أمره وقلبه، فلا التفات له إلى مصالحه، وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه، بل هو مشتت القلب مضيعه، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلا.

فالعلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته"(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين: "كلما غفل الإنسان عن ذكر ربه انقطعت به

---

(١) شرح الكافية الشافية ٢/٤٦٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/٨٦.

السبل، وكلما عمر قلبه بذكر ربه وصل إلى الغاية.

فإن الذكر بمنزلة النور يهتدي به الإنسان في ظلمات الطرق حتى يصل غايته"(١).

٣٥.ومما يدل على أهميته أن الحاجة إلى التوحيد أعظم الحاجات.

قال ابن القيم: "ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولانعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل.

وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه فوق كل ضرورة كانت العناية ببيانها أيسر الطرق وأهداها وأبينها"(٢).

قال ابن تيمية"والعبد لا صلاح له ولا قيام إلا بعبادة الله الجامعة لمعرفته ومحبته والذل له، فتفويته هذا ظلم عظيم فيه عليه الضرر العظيم الذي لا ينجبر"(٣).

وقال ابن تيمية: "وأين التوحيد للخالق بالرغبة إليه والرجاء له والتوكل عليه

(١) شرح الكافية الشافية ٢/٤٦٧.

(٢) انظر:"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"١/٣٦٥-٣٦٧.

(٣) جامع المسائل ١/٢٥١.

والحب له من الإشراك به بالرغبة إلى المخلوق والرجاء له والتوكل عليه وأن يحب كما يحب الله، وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار إليه من فساده في عبودية المخلوق والذل له والافتقار إليه؟ فالرسول ﷺ أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة ونهى عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته. وإذا حصل لهم ذلك: فما سواه إما فضل نافع وإما فضول غير نافعة؛ وإما أمر مضر"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "إذا توجه العبد إلى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصا له الدين؛ أجاب دعاءه، وأزال ضره، وفتح له أبواب الرحمة، فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقرٌ ذاتيٌ إلى ربه"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٢).

(٣) مجموع الفتاوى ٣٢١/٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٩٤/١٠.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان وأصل الفساد: الشرك والكفر. كما قال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[البقرة: ١١ - ١٢]وذلك أن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولانعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل. وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه فوق كل ضرورة كانت العناية ببيانها أيسر الطرق وأهداها وأبينها"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الفقر فقران: فقر اضطراري، وهو فقر عام لا خروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا لا يقتضى مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقاً ومصنوعاً.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٢/١٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٣/١٨.

(٣) انظر:"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" ٣٦٥/١-٣٦٧.

والفقر الثاني فقر اختياري، هو نتيجة علمين شريفين:

أَحدهما: معرفة العبد بربه، والثاني: معرفته بنفسه.

فمتى حصلت له هاتان المعرفتان، أَنتجتا له فقراً هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته"(١).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "جانب التوحيد أعظم الجوانب حقا أن يوفى به، فإذا أخل به الإنسان فإن الله سبحانه لا يغفره، بخلاف المعاصي الأخرى التي دونه أو التي سوى الشرك فإن الله يغفرها"(٢).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: " أعظم ما نهى الله عنه الشرك، وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ "(٣).

٣٦.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أعظم مشهود عليه.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[آلعِمْرَان: ١٨].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "اعلم أن الآية تدل على أن أكبر الشهادات وأعظمها شهادة الله تعالى"(٤).

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٩).

(٢) تفسير العثيمين سورة النساء ٣٨٧/١.

(٣) كتاب مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٣٥/٦.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (سورة آل عمران الآية: ١٩).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم"(١).

قال الشيخ ابن سعدي: "وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس"(٢).

قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم: "شهادة أن لا إله إلا اللهأعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به، فلا ينصرف الإطلاق إلاَّ إليها"(٣).

٣٧.ومما يدل على أهميته أن الشهادتان صدر التوحيد.

قال ابن تيمية: "فإن صدره الشهادتان اللتان هما أصلا الدين وجماعه؛ فإن جميع الدين داخل في "الشهادتين" إذ مضمونهما أن لا نعبد إلا الله، وأن نطيع رسوله، "والدين" كله داخل في هذا في عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله، وكل ما يجب أو يستحب داخل في طاعة الله ورسوله"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "محمد رسول الله ﷺ، من تمام قول لا إله إلا الله. فالكلمتان تخرجان من أصل القلب، من مشكاة واحدة. لا تتم إحداهما إلا بالأخرى"(٥).

---

(١) مفتاح دار السعادة ٤٩/١.

(٢) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران الآية: ١٨).

(٣) حاشية ثلاثة الأصول (٤٨).

(٤) الفتاوى الكبرى ٢٣٦/٥..

(٥) مدارج السالكين ٤٧/٣.



قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) رحمه الله: "التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له بالرسالة"[١].

٣٨.ومما يدل على أهميته أن التوحيد رتبة لا تليق إلا بالله وحده.

قال ابن القيم: "متى استحكم الذل والحب صار عبودية فيصير القلب المحب معبدا لمحبوبه وهذه الرتبة لا يليق أن تتعلق بمخلوق ولا تصلح إلا لله وحده"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "أعظم الناس خذلانا من تعلق بغير الله، فإن ما فاتهمن مصالحه وسعادته وفلاحه؛ أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرضللزوال والفوات. ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيتالعنكبوت أوهن البيوت"[٣].

عن جابر (ت: ٧٨ هـ) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار))[٤].

قال سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ) رحمه الله: "يعني أن معنى لا إله إلا الله: ترك الشرك، وإفراد الله بالعبادة، والبراءة ممن عبد سواه، كما بينه الحديث، وفيه فضيلة من سلم من الشرك"[٥].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٣٣/١٨.

(٢) روضة المحبين ٢٨١/١.

(٣) مدارج السالكين، (٤٥٨/١).

(٤) رواه مسلم: الإيمان (٩٣)، وأحمد (٣٧٤/٣).

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٩٤.

٣٩.ومما يدل على أهميته أن التوحيد آخر ما يخرج به من الدنيا.

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة))(١).

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لقِّنوا موتاكم لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ فإنَّه مَن كان آخرُ كلمتِه لا إلهَ إلَّا اللهُ عندَ الموتِ، دخَل الجنَّةَ يومًا مِن الدَّهرِ، وإنْ أصابه قبْلَ ذلك ما أصابه))(٢).

عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: "أتيتُ النبيَّ ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضُ، وهو نائمٌ، ثم أتيْتُه وقد استيقَظَ، فقال: ((ما مِن عبدٍ قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ثم ماتَ على ذلك إلا دخَلَ الجنةَ))، قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟ قال: ((وإن زنى وإن سَرَقَ))، قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟ قال: ((وإن زنى وإن سَرَقَ))، قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟! قال: ((وإن زنى وإن سَرَقَ على رَغْمِ أنفِ أبي ذرٍّ!))، وكان أبو ذرٍّ إذا حدَّثَ بهذا قال: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذرٍّ!))(٣).

وفي الصحيح من حديث عثمان رضي الله عنه: ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة))(٤).

---

(١) (أبو داود: ٣١١٦).

(٢) (ابن حبان: ٣٠٠٤)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع: ٥١٥٠).

(٣) رواه (البخاري: ٥٨٢٧) و(مسلم: ٩٤).

(٤) رواه مسلم (٢٦).

وقال ابن القيم: "الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، لا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم.

فالتوحيد: أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: ((من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة))، فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد: أول الأمر وآخره"(١).

كان سفيان الثوري يأتي إبراهيم بن أدهم فيقول: "يا إبراهيم بن أدهم ادع الله أن يقبضنا على التوحيد"(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ): " فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران: ١٨].

والمقصود من التكرير وجهان:

أن يكون العبد مواظبًا على تكريرها طول عمره.

الثاني: كأنه قال: عبدي، جعلت هذه الكلمة أول الآية وآخرها، فاجعلها أنت أيضًا أول عمرك وآخره، حتى تفوز بالنجاة والسلامة"(٣).

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤١٢.

(٢) الثبات عند الممات لابن الجوزي ص: ٨٠

(٣) عجائب القرآن صـ ٣٤.

٤٠.ومما يدل على أهميته أن التوحيد الله فرض عين على كل إنسان.

عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: "كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: ((ألا تُبايعون رسول الله ﷺ ؟)) وكنَّا حَدِيث عهد بِبَيْعة، فقلنا: قد بايَعْنَاك يا رسول الله، ثم قال: ((ألا تُبايعون رسول الله)) فبَسَطْنَا أيْدِينا، وقلنا: قد بَايَعْناك فَعَلَام نُبايِعُك؟ قال: ((على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس وتطيعوا الله)) وأَسَر كلمة خفيفة ((ولا تسألوا الناس شيئًا))؛ فلقد رأيت بعض أولئك النَّفرَ يسقط سَوطُ أحدهم فما يسأل أحدًا يناولُه إيَّاه"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين، مثل طلب كل واحد علم ما أمره به وما نهاه عنه، فإن هذا فرض على الأعيان"(٢).

قال الشيخ السعدي عند تفسير قوله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[مُحَمَّد: ١٩]: "هذا العلم الذي أمر الله به وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك"(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٠٤٣)).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٢٨، ٣٢٩).
(٣) تفسير السعدي سورة محمد الآية ١٩.

وقال الشيخ عبدالله أبابطين: "أفرض العلوم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته؛ ومعرفة حقه على عباده الذي خلق الجن والإنس لأجله؛ وهو توحيد الألوهية"(١).

وقال الشيخ ابن قاسم: "التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض"(٢).

٤١.ومما يدل على أهميته أن توحيد الله أصل عظيم في منهج السلف:

قال ابن تيمية: "أصل علم السلف وعملهم هو:

١ العلم بالله.

٢ والعمل لله.

فجمعوا بذلك بين التصديق العلمي والعمل الحبي.

ثم إن تصديقهم عن علم، وعملهم وحبهم عن علم، فسلموا بذلك من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة.

فالكلاميون: غالب نظرهم وقولهم في الثبوت والانتفاء، والوجود والعدم، والقضايا التصديقية، فغايتهم مجرد التصديق والعلم والخبر.

والصوفيون: غالب طلبهم وعملهم في المحبة والبغضة، والإرادة والكراهة، والحركات العملية، فغايتهم المحبة والانقياد والعمل والإرادة.

---

(١) الرد على البردة ص: ٣٧٥.

(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص: ١٣٧.

فإن كلا من المنحرفين له مفسدتان:

إحداهما: القول بلا علم إن كان متكلما. والعمل بلا علم إن كان متصوفا.

وهو ما وقع من البدع الكلامية والعملية المخالفة للكتاب والسنة.

والمفسدة الثانية: فوت المتكلم العمل. وفوت المتصوف القول والكلام.

أما السلف وأتباعهم فقد حققوا كلا الأمرين.

من القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في الكتاب والسنة.

والعمل الإرادي وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وفق ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ولذلك كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرًا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونا بالآخر وهؤلاء هم المسلمون حقا"(١).

٤٢.ومما يدل على أهميته أن التوحيد شعار أهل السنة والجماعة.

❁ قال ابن تيمية: "كل من كان إلى الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أقرب، كان أقرب إلى كمال التوحيد والإيمان والعقل والعرفان، وكل من كان عنهم أبعد كان عن ذلك أبعد"(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "كانت عادته صلوات الله وسلامه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٤١.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٢٩٣.

عليه أن يقيم **شعار التوحيد** في مواضع شعار الكفر والشرك، كما أمر أن يبنى مسجد الطائف موضع اللات"(١).

٤٣.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو ما يسأل عنه جميع الخلق.

لما روي عن أنس بن مالك وابن عمر ومجاهد في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾[الحِجْر: ٩٢] قالوا: (عن لا إله إلا الله)(٢).

٤٤.ومما يدل على أهميته أن التوحيد طريق الحق.

طريق الحق واحد، وهو طريق الله، وهو طريق الهداية، وهو طريق الإسلام، وهو طريق الاستقامة، وسبُل الضلال كثيرة خبيثة، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾[المَائـِدَة: ١٠٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة، ومتعددة"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الحق واحد، ولا يخرج عما جاءت

---

(١) زاد المعاد ٢/٣٥٨.

(٢) رواه البخاري معلقاً قبل حديث (٢٦) قائلاً: وقال عدة من أهل العلم...، قال ابن حجر في ((تغليق التعليق)) (٢/٢٨): قلت: روي ذلك عن أنس، ومجاهد، وابن عمر وغيرهم. وقال الدارقطني في ((العلل)) (٢٠/١٢): ورفعه غير صحيح، وانظر: ((تفسير الطبري)) (١٥٠/١٧)، ((الدعاء)) للطبراني (ص: ٤٣٨-٤٣٩).

(٣) بدائع الفوائد: ١/١٢٧.

به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"(١).

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ٢٥﴾[النُّور: ٢٥].

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) رحمه الله: "ويقال لا يشهدون غداً إلا الحقَّ؛ فهم قائمونَ بالحق للحق مع الحق، يبيّن لهم أسرار التوحيد وحقائقه، ويكون القائم عنهم، والآخذَ لهم منهم من غير أَنْ يُرَدَّهم إليهم"(٢).

قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "إنما سمي بالحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره"(٣).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: " ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الذي له العظمة المطلقة، فلا كفوء له ﴿هُوَ﴾ أي وحده ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي الثابت أمره فلا أمر لأحد سواه، ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الذي لا أوضح من شأنه في ألوهيته وعلمه وقدرته وتفرده بجميع صفات الكمال، وتنزهه عن جميع سمات النقص"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فجماع الأمر: أن الله هو الهادي وهو النصير ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣١﴾[الفُرْقَان: ٣١]. وكل علم فلا بد له من هداية وكل عمل فلا بد له من قوة. فالواجب أن يكون هو أصل كل هداية وعلم وأصل كل نصرة وقوة ولا يستهدي العبد إلا إياه ولا يستنصر إلا إياه"(٥).

---

(١) منهاج السنة النبوية: ١٩٠/٥.

(٢) لطائف الإشارات للقشيري (سورة النور: الآية: ٢٥).

(٣) تفسير الرازي (سورة النور: الآية: ٢٥).

(٤) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة النور: الآية: ٢٥).

(٥) مجموع الفتاوى: ٢/١٩-٢٠.

٤٥.ومما يدل على أهميته أن التوحيد سبيل التقوى.

قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾[النَّحل: ٢].

فالتوحيد أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده حيث هداهم إليه، كما جاء في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، فالله عَزَّوَجَلَّ قدّم نعمة التوحيد على كل نعمة.

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أن ينذروا الناس، فقال: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾[النَّحل: ٢]، يعني فاعبدون"(١).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾مع تخويفهم إن لم يقروا ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ بالتوحيد والطاعة"(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثم العقل أيضا ليس بكامل النورانية والصفاء والإشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أحوال عالم الأرواح والأجساد، وعالم الدنيا والآخرة، ثم إن هذه المعارف الشريفة الإلهية لا تكمل ولا تصفو إلا بنور الوحي والقرآن"(٣).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأشرف المعارف وأجلها

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ٢).

(٢) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة النحل: الآية: ٢).

(٣) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل: الآية: ٢).

معرفة أنه لا إله إلا هو، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ والقوة الثانية للنفس: استعدادها للتصرف في أجسام هذا العالم، وهذه القوة هي القوة المسماة بالقوة العملية، وسعادة هذه القوة في الإتيان بالأعمال الصالحة، وأشرف الأعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ ۝﴾ ولما كانت القوة النظرية أشرف من القوة العملية وسعادة هذه القوة في الإنباء بالأعمال الصالحة وأشرف الأعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله ﴿فَٱتَّقُونِ ۝﴾ ولما كانت القوة النظرية أشرف من القوة العملية لا جرم قدم الله تعالى كمالات القوة النظرية، وهي قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [النَّحل: ٢] على كمالات القوة العملية وهي قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ ۝﴾"(١).

وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "سميت هذه الكلمة بكلمة التقوى: هو أن هذه الكلمة واقية لبدنك من السيف، ولمالك من الاستغنام، ولذمتك من الجزية، ولأولادك من السبي، فإن انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر، وإن انضم التوفيق إليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي"(٢).

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: "والآية تدل على التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العملية"(٣).

---

(١) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل: الآية: ٢).

(٢) عجائب القرآن للرازي صـ ٦٠.

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة النحل: الآية: ٢).

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) رحمه الله: "وقد أحاطت جملة ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ بالشريعة كلها، لأن جملة ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ تنبيه على ما يرجع من الشريعة إلى إصلاح الاعتقاد وهو الأمر بكمال القوة العقلية.

وجملة ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ تنبيه على الاجتناب والامتثال اللذين هما منتهى كمال القوة العملية"(١).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها"(٢).

قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري (ت: ١٣٣٢ هـ) رحمه الله: "إن القلب إذا صفت مقاصده لله، وصفت معلوماته مما سواه، وانحشى بوحيه العزيز، وانشغل بذكر أسمائه الحسنى متدبراً معانيها ومشتقاتها، ليعامل الله بمقتضاها ولا يأنس إلا بها؛ صفت موارده لخلوص مقاصده، فصار سليماً، وفي حصن حصين من غزو أعدائه شياطين الإنس والجن الفكري ومن همزاتهم. فيثمر له صفاء علمه ومتعلقاته؛

---

(١) تفسير ابن عاشور (سورة النحل: الآية: ٢).

(٢) تفسير بن سعدي (سورة النحل: الآية: ٢).

حسن السلوك الذي يسيِّر الأعضاء والأحاسيس حسب مرضاة الله"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العبد عليه حقان:

حقٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وحقٌ لعباده.

ثم الحق الذي عليه لا بد أن يُخِلَّ ببعضه أحيانا؛ إما بترك مأمور به، أو فعل منهيّ عنه، فقال النبي ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت)) وهذه كلمة جامعة، وفي قوله: ((حيثما كنت)) تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية، ثم قال: ((واتبع السيئة الحسنة تمحها)) فإن الطبيب متى تناول المريض شيئًا مضرًا أمره بما يصلحه.

والذنب للعبد كأنه أمر حتم؛ فالكيّس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات"(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: "التقوى: هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه، فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع، وأما استعمال النافع فقد يكون معه أيضاً استعمالاً لضار، فلا يكون صاحبه من المتقين"(٣).

٤٦.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو ملة إبراهيم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[البَقَرَة: ١٣٠].

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٢١٧/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٦٥٥/١٠.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤٤/١٠.

قال مقاتل ابن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾، يعني: الإسلام"(١).

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) رحمه الله: "أخبر أنه آثر الخليل صلوات الله عليه على البرية، فجعل الدينَ دينَه، والتوحيدَ شِعارَه، والمعرفةَ صِفته؛ فمن رَغِبَ عن دينه أو حاد عن سُنَّتِهِ فالباطل مطرحه، والكفر مهواه؛ إذ ليست الأنوار بجملتها إلا مقتبسة من نوره"(٢).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "يقول تبارك وتعالى رَدًّا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جَرد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يَدْع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه"(٣).

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾[البَقَرَةِ: ١٣٥].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): رضي الله عنهما "في التوحيد"(٤).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "لما ثبت أن إبراهيم كان قائلا بالتوحيد، وثبت أن النصارى يقولون بالتثليث، واليهود يقولون بالتشبيه، فثبت

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة: الآية: ١٣٠).
(٢) لطائف الإشارات للقشيري (سورة البقرة: الآية: ١٣٠).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة البقرة: الآية: ١٣٠).
(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة النساء: الآية: ١٢٥).

أنهم ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام، وأن محمدا عليه السلام لما دعا إلى التوحيد، كان هو على دين إبراهيم"(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٥﴾[آلعِمْرَان: ٩٥].

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) ﵀: "ملة إبراهيم وهي الإسلام وهو الدين الصحيح"(٢).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) ﵀: "﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٥﴾ وهي ملة الإسلام التي عليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه"(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) ﵀: "أمرهم باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم مشركون غير موحدين"(٤).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾[النِّسَاء: ١٢٥].

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ﵀: "﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الذي

(١) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي. (سورة البقرة: الآية: ١٣٥).
(٢) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة آل عمران: الآية: ٩٥).
(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة آل عمران: الآية: ٩٥).
(٤) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة آل عمران: الآية: ٩٥).

اشتهر عند جميع الطوائف أنه ما دعا إلا إلى الله سبحانه وتعالى وحده، وتبرأ مما سواه من فلك وكوكب وصنم وطبيعة وغيرها حال كون ذلك المتبع ﴿حَنِيفًا﴾ أي ليناً سهلاً ميّالاً معالدليل، والملة: ما دعت إليه الفطرة الأولى بمساعدة العقل السليم من كمال الإسلام بالتوحيد"(١).

❀ قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: دينه وشرعه ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق"(٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[الأَنْعَام: ١٦١].

❀ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعني مخلصا"(٣).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النَّحْل: ١٢٣].

❀ قال مقاتل ابن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعني: الإسلام، ﴿حَنِيفًا﴾، يعني: مخلصا"(٤).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. (سورة النساء: الآية: ١٢٥).

(٢) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة النساء: الآية: ١٢٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة الأنعام: الآية: ١٦١).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ١٢٣).



قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "﴿ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في الإسلام والبراءة من الأوثان"(١).

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾، يعني: دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد"(٢).

عن عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه ؛ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: ((أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(٣).

قال ابن القيم: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه إذا أصبحوا إذا أمسوا أن يقولوا ((أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين))(٤).

وتأمل هذه الألفاظ كيف جعل الفطرة للإسلام فإنه فطرة الله التي فطر الناس عليها وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله والملة لإبراهيم فإنه صاحب

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام (سورة النحل: الآية: ١٢٣).

(٢) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة النحل: الآية: ١٢٣).

(٣) إسناده حسن: أخرجه النسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (١/٣٤٣، ٣٤٤)، وفي ((الكبرى)) (٢٩، ٩٨، ١٠١٧٥، ١٠١٧٦)، والدارمي (٢٦٨٨)، وأحمد (٣/٤٠٧)، وابن أبي شيبة (٩/٧٧) (١٠/٢٣٩)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (٣٤)، والطبراني في ((الدعاء)) (٢٩٤)، والبيهقي في ((الدعوات الكبير)) (٢٦).

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في ((زوائد المسند)) (٢١١٤٤) واللفظ له، والطبراني في ((الدعاء)) (٢٩٣).

الملة وهي التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ومحبته فوق كل محبة والدين للنبي ﷺ وهو دينه الكامل وشرعه التام الجامع لذلك كله وسماه سبحانه إماما وأمة وقانتا وحنيفا قال تعالى ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[البَقَرَة: ١٢٤] فأخبر سبحانه أنه جعله إماما للناس وأن الظالم من ذريته لا ينال رتبة الإمامة والظالم هو المشرك وأخبر سبحانه أن عهده بالإمامة لا ينال من أشرك به وقال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾[النَّحْل: ١٢٠ - ١٢٢].

فالأمة هو القدوة المعلم للخير والقانت المطيع لله الملازم لطاعته والحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه ومن فسره بالمائل فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ وإنما فسره بلازم المعنى فإن الحنف هو الإقبال ومن أقبل على شيء مال عن غيره والحنف في الرجلين هو إقبال إحداهما على الأخرى ويلزمه ميلها عن جهتها

۞ قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الرُّوم: ٣٠] فحنيفا هو حال مقررة لمضمون قوله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ ولهذا فسرت مخلصًا فتكون الآية قد تضمنت الصدق والإخلاص فإن إقامة الوجه للدين هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره والحنيف المفرد لا يريد غيره فالصدق أن لا ينقسم طلبك والإفراد أن لا ينقسم مطلوبك؛ الأول

توحيد الطلب والثاني توحيد المطلوب

والمقصود أن إبراهيم عليه السلام هو أبونا الثالث وهو إمام الحنفاء ويسميه أهل الكتاب عمود العالم وجميع أهل الملل متفقة على تعظيمه وتوليه ومحبته وكان خير بنيه سيد ولد آدم محمد ﷺ يجله ويعظمه ويبجله ويحترمه"(١).

٤٧.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو عهد الله.

عن ابن عباس، قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مَرۡيَم: ٨٧] قال: "العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلا الله"(٢).

وقال الفيروزأبادي: "وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مَرۡيَم: ٨٧] المراد توحيد الله والإيمان به"(٣).

وقال البغوي في تفسيرها: "يعني: لا إله إلا الله"(٤).

وقال ابن كثير: "وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها"(٥).

قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠ هـ) ﷺ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾: وقال بعضهم: العهد: التَّوْحِيدُ"(١).

---

(١) جلاء الأفهام ص: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) تفسير الطبري (سورة مريم الآية: ٨٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/١١٤.

(٤) تفسير البغوي (سورة مريم الآية: ٨٧).

(٥) تفسير ابن كثير (سورة مريم الآية: ٨٧).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "ثم أخبر فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[البَقَرَةِ: ٢٧]، فنقضوا العهد الأول، ونقضوا ما أخذ عليهم في التوراة أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأن يؤمنوا بالنبي ﷺ، وكفروا بعيسى وبمحمد، عليهما السلام، وآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[البَقَرَةِ: ٢٧]، يعني ويعملون فيها بالمعاصي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[البَقَرَةِ: ٢٧] في العقوبة، يعني اليهود، ونظيرها في الرعد: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٧] من إيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾[الرَّعۡد: ٢٥]"(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله ﷺ، ونقضهم ذلك تركهم العمل به.

وقال آخرون: إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وإياهم عنى الله جل ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾[البَقَرَةِ: ٦] وبقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[البَقَرَةِ: ٨] فكل ما في

---

(١) تفسير يحيى بن سلام. (سورة مريم: الآية: ٨٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة الآية: ٢٧).

هذه الأيات فعذل لهم وتوبيخ إلى انقضاء قصصهم. قالوا: فعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه: هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد ﷺ إذا بعث، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم. ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك عن الناس، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً.

وقال بعضهم: إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم. قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب، مع علمهم أن ما أتوا به حق.

وقال آخرون: العهد الذي ذكره الله جل ذكره، هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، الذي وصفه في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ الأيتين، ونقضُهم ذلك، تركهم الوفاء به"(١).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩ هـ) رحمه الله: "﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[البَقَرَة: ٢٧] وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، وتفسيره

---

(١) تفسير الطبري (سورة البقرة الآية: ٢٧).

في سورة الأعراف ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[البَقَرَة: ٢٧]

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): يعني ما أمر الله به من الإيمان بالنبيين كلهم ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[البَقَرَة: ٢٧] أي يعملون فيها بالشرك والمعاصي ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البَقَرَة: ٢٧]خسروا أنفسهم أن يغنموها فيصيروا في الجنة، فصاروا في النار"[١].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) ﵀: "قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ٧٨﴾[مَرْيَم: ٧٨]، أي: لم يفعل، والعهد: التوحيد؛ في تفسير بعضهم"[٢].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) ﵀ في تفسيرها: "يعني: لا إله إلا الله"[٣].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) ﵀: "قال ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ٨٧﴾ [مَرْيَم: ٨٧]: العهد: هو قول لا إله إلا الله.

وأقول: الذي يدل على صحة هذا القول وجوه:

الأول: أن قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ٨٧﴾ نكرة في طرف الثبوت، وذلك لا يفيد إلا عهدًا واحدًا، فهذه الآية تدل على أن تلك الشفاعة

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (سورة البقرة الآية: ٢٧).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٠٥/٣.

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة مريم الآية: ٨٧).



تحصل بسبب عهد واحد، ثم أجمعنا على أن ما سوى الإيمان فإن الواحد منه، بل مجموعة لا يفيد تلك الشفاعة البتة، فوجب أن يكون العهد الواحد الذي يفيد تلك الشفاعة هو الايمان، وهو قول: لا إله إلا الله.

والثاني: أن جماعة من المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]. هو عهد الإيمان، بدليل أن لفظ العهد مجمل، فلما أعقبه بقوله: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٤١]. علمنا أن المراد من ذلك العهد هو الإيمان، وهو قول " لا إله إلا الله، محمد رسول الله ".

والثالث: أن أول ما وقع من العهد قوله تعالى: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[الأَعۡرَاف: ١٧٢]، وذلك في الحقيقة هو قول لا إله إلا الله، فكأن لفظ العهد محمولًا عليه.

والرابع: أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ﴾[التَّوۡبَة: ١١١]، فكأن العهد من جانبك عهد الإقرار بالعبودية، ومن جانب الحق عهد الكرم والربوبية، فثبت بهذه الوجوه: أن المراد من قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ۝٨٧﴾[مَرۡيَم: ٨٧]. هو قول: لا إله إلا الله.

الخامس: قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾[البَقَرَة: ٨٠]. أي قلتم لا إله إلا الله"(١).

---

(١) عجائب القرآن للرازي صـ ٦٥-٦٧.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧].

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "واختلفوا في تفسير العهد على أقوال:

أحدها: أنه وصية الله إلى خلقه، وأمره لهم بطاعته، ونهيه لهم عن معصيته في كتبه المنزلة وعلى ألسنة أنبيائه المرسلة، ونقضهم له تركهم العمل به.

الثاني: أنه العهد الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من أصلاب آبائهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾[الأَعْرَاف: ١٧٢] الآية، ونقضهم له كفر، بعضهم بربوبيته، وبعضهم بحقوق نعمته.

الثالث: ما أخذه الله عليهم في الكتب المنزلة من الإقرار بتوحيده والاعتراف بنعمه والتصديق لأنبيائه ورسله، وبما جاؤوا به في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨٧] الآية، ونقضهم له نبذه وراء ظهورهم، وتبديل ما في كتبهم من وصفه ﷺ.

الرابع: ما أخذه الله تعالى على الأنبياء ومتبعيهم أن لا يكفروا بالله ولا بالنبي ﷺ، وأن ينصروه ويعظموه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾[آلعِمْرَان: ٨١] الآية، ونقضهم له إنكارهم لنبوته وتغييرهم لصفته.

الخامس: إيمانهم به ﷺ ورسالته قبل بعثه ونقضهم له جحدهم لنبوته ولصفته.

السادس: ما جعله في عقولهم من الحجة على توحيده وتصديق رسوله، بالنظر في المعجزات الدالة على إعجاز القرآن وصدقه ونبوة محمد ﷺ، ونقضهم هو



تركهم النظر في ذلك وتقليدهم لآبائهم.

السابع: الأمانة المعروضة على السموات والأرض التي حملها الإنسان، ونقضهم تركهم القيام بحقوقها.

الثامن: ما أخذه عليهم من أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، ونقضهم عودهم إلى ما نهوا عنه، وهذا القول يدل على أن المخاطب بذلك بنو إسرائيل.

التاسع: هو الإيمان والتزام الشرائع، ونقضه كفره بعد الإيمان.

وهذه الأقوال التسعة منها ما يدل على العموم في كل ناقض للعهد، ومنها ما يدل على أن المخاطب قوم مخصوصون، وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف الذي وقع في سبب النزول، والعموم هو الظاهر.

فكل من نقض عهد الله من مسلم وكافر ومنافق أو مشرك أو كتابي تناوله هذا الذم، ومن متعلقة بقوله ينقضون، وهي لابتداء الغاية، ويدل على أن النقض حصل عقيب توثق العهد من غير فصل بينهما، وفي ذلك دليل على عدم اكتراثهم بالعهد، فإثر ما استوثق الله منهم نقضوه"(١).

٤٨.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أعظم نعم الله.

قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾[النَّحل: ١١٤]

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة البقرة الآية: ٢٧).

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦هـ) رحمه الله: "أي توحدونه بالعبادة، وهي تدل على أن شكر النعمة من التوحيد؛ لأنه يضيف النعمة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وحده كما توجه العبادة إليه وحده"(١).

قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾[النَّحل: ٢].

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧ هـ) رحمه الله: "فنعمة التوحيد هي أعظم نعمة أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولا قبل كل نعمة"(٢).

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾[الأحقاف: ١٥].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "نعمتك في التوحيد"(٣).

قَالَ رُفَيْعٌ أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) رحمه الله: "إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَهْلِكَ عَبْدٌ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: نِعْمَةٍ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَذَنْبٍ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ"(٤).

قال أبو حازم (ت: ١٠٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: "كلّ نعمة لا تقرّب من الله عَزَّوَجَلَّ فهي بليّة"(٥).

---

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٣٨٥.
(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص ٢٢١.
(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأحقاف الآية: ١٥)، ٩٨/٥.
(٤) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٣٢.
(٥) صفوة الصفوة ١ /٣٨٦.

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [النَّمۡل: ١٩] يقول: أوزعني بشكر نعمتك التي أنعمت عليّ في تعريفك إياي توحيدك وهدايتك لي للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك"[١].

قال محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غَافِر: ٦١]، والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها: نعمة التوحيد والإسلام"[٢].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١﴾ [غَافِر: ٦١]، على نعمة التوحيد والإيمان"[٣].

عن سفيان بن عيينة، قال: "ما أنعم الله على العباد نعمة من أن عرفهم أن لا إله إلا الله، قال: وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا"[٤].

وعن مجاهد: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾[لُقۡمَان: ٢٠] قال: "لا إله إلا الله"[٥].

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: "مَنْ لَمْ يُعْرَفْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ، وَحَضَرَ عَذَابُهُ"[٦].

---

(١) تفسير الطبري (سورة الأحقاف الآية: ١٥).

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (غافر: الآية: ٦١).

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (تفسير سورة غافر: الآية: ٦١).

(٤) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا ص: ٣٤. برقم (٩٦).

(٥) كتاب الشكر لابن أبي الدنيا ص: ٣٤ رقم (٩٥).

(٦) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٣٣.

قال ابن كثير رحمه الله: "هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللَّهِ، عَزَّوَجَلَّ، عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ: حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينِ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللَّهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا خُلْف، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام: ١١٥] أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ"[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأعظم نعمته عليهم أن أمرهم بالإيمان وهداهم إليه، فهؤلاء هم أهل النعمة المطلقة المذكورين في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]"[٢].

وقال أيضا: "فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَأَشْرَفِ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ: أَنْ أَرْسَلَ إلَيْهِمْ رُسُلَهُ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ؛ وَبَيَّنَ لَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ بَلْ أَشَرَّ حَالًا مِنْهَا فَمَنْ قَبِلَ رِسَالَةَ اللَّهِ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَخَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ وَأَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ "[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَأعظم نعْمَة أنعمها الله على الْعباد هِيَ

---

(١) "تفسير ابن كثير" (٣/٢٦).
(٢) "جامع المسائل" (٤/٢٨٤).
(٣) "مجموع الفتاوى" (١٩/١٠٠).

الْإِيمَان، وَهُوَ قَول وَعمل يزِيد وَينْقص يزِيد بِالطَّاعَةِ والحسنات وَينْقص بالفسوق والعصيان، فَكلما ازْدَادَ الْإِنْسَان عملا للخير ازْدَادَ إيمَانه؛ هَذَا هُوَ الايمان الْحَقِيقِيّ الْمَذْكُور فِي قَوْله تَعَالَى اهدنا الصِّرَاط الْمُسْتَقيم صِرَاط الَّذين أَنْعَمت عَلَيْهِبل نعم الدُّنْيَا نعْمَة الدّين؛ وَهل هِيَ نعْمَة أم لَا؟ فِيهِ قَولَانِ مشهوران لْلعُلَمَاء من أَصْحَابنَا وَغَيرهم؛ وَالتَّحْقِيق: أَنَّهَا نعْمَة من وَجه، وَإِن لم تكن نعْمَة تَامَّة من كل وَجه. وَأما الإنعام بِالدّينِ، من فعل الْمَأْمُور وَترك الْمَحْظُور: فَهُوَ الْخَيْر كُله، وَهُوَ النِّعْمَة الْحَقِيقِيَّة عِنْد أهل السّنة؛ إِذْ عِنْدهم أَن الله هُوَ الَّذِي أنعم بِالْخَيرِ كُله... "[١].

قال أبو حازم: "كلّ نعمة لا تقرّب من الله عَزَّوَجَلَّ فهي بليّة"[٢].

وعن أبي حازم قال: "إذا رأيت الله عَزَّوَجَلَّ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذرْه"[٣].

قَالَ رُفَيْعٌ أَبُو الْعَالِيَةِ: "إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَهْلِكَ عَبْدٌ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: نِعْمَةٍ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَذَنْبٍ يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ"[٤].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "متى رأيت تكديرا في حال، فاذكر نعمة ما شكرت، أوزلة قد فعلت، واحذر من نفار النعم ومفاجأة النقم، ولا تغتر بانبساط الحلم فربما عجل انقباضه"[٥].

---

(١) "مختصر الفتاوى المصرية" (٢٦٨).

(٢) صفوة الصفوة ١ /٣٨٦.

(٣) صفوة الصفوة ١ /٣٨٦.

(٤) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٣٢.

(٥) صيد الخاطر ٢٠/١.

- قال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) رحمه الله في مقدمة كتاب العلو: "الحمد لله العلي العظيم رب العرش العظيم على نعمه السابغة الظاهرة والباطنة والحمد لله على نعمة التوحيد"(١).

- قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[النَّحل: ٧٥]، وقيل: أراد الحمد لله على ما أنعم به على أوليائه من نعمة التوحيد"(٢).

٤٩.ومما يدل على أهميته أن التوحيد منة من الله على عباده الموحدين.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[آلعِمرَان: ١٦٤].

قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحُجُرَات: ١٧].

- قال الطبري: "فإن الله هو الذي منّ عليكم بأن هداكم له، فلا تمنوا عليّ بإسلامكم"(٣).

---

(١) العلو للعلى الغفار ص: ٧.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني (سورة النحل: الآية: ٧٥).

(٣) تفسير الطبري (سورة الحجرات الآية: ١٧).

وقال ابن سعدي: "فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم من كل شيء"(١).

قال ابن تيمية: "المنة تقع بالهداية إلى الإيمان"(٢).

وقال ابن تيمية: "والله سبحانه بعث محمدا بالكتاب والسنة، وبهما أتم على أمته المنة. قال تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠﴾ [البَقَرَة: ١٥٠] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آلعِمْرَان: ١٦٤]"(٣).

قال الشيخ ابن باز: "المنة لله سبحانه في كل شيء، كما قال تعالى في آخر سورة الحجرات: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحُجُرَات: ١٧] فالمنة لله وحده في كل شيء من نعم الدنيا والآخرة"(٤).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٩٤﴾[النِّسَاء: ٩٤].

---

(١) تفسير السعدي (سورة الحجرات الآية: ١٧).

(٢) مجموع الفتاوى ٧/٣٧٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١/٦.

(٤) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٩/٣٠٦).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمع النبي ﷺ رجلا يقول: ((اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار فقال النبي ﷺ: ((لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب))[(١)].

❁ وقال الخطابي: "وأما (المنان) فهو كثير العطاء"[(٢)].

❁ وقال أبو بكر هو الأنباري: في شرح المنان: "معناه: المعطي ابتداء ولله المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، تعالى الله علوا كبيرا"[(٣)].

٥٠.ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد أبلغ الثناء.

❁ قال الإمام ابن تيمية ﷺ: "أبلغ الثناء: قول لاإله إلا الله، وأبلغ الدعاء: أستغفر الله"[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (٥٢/٣)، وابن ماجه (٣٨٥٨) واللفظ له، وأحمد (١٢٠/٣) (١٢٢٢٦)، والحاكم (٦٨٣/١). والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الترمذي: حديث غريب. وقال الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجة)): حسن صحيح.

(٢) ((شأن الدعاء)) (ص: ١٠٠)، وبنحوه قال البيهقي في ((الاعتقاد)) (ص: ٦٧).

(٣) ((اللسان)) (٤٢٧٩/٦).

(٤) مجموع الفتاوى ٦٩٧/١١.

٥١.ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد هي الكلمة الباقية.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزُّخْرُف: ٢٨].

قال الطبري: "وقوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[الزُّخْرُف: ٢٦-٢٧] وهو قول: لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريّته، فلم يزل في ذريّته من يقول ذلك من بعده.

وعن مجاهد ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[الزُّخْرُف: ٢٨] قال: لا إله إلا الله.

وعن قتادة ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾[الزُّخْرُف: ٢٨] قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها من بعده"(١).

عن السدي (ت: ١٢٨ هـ) رحمه الله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[الزُّخْرُف: ٢٨] قال: "لا إله إلا الله"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿جَعَلَهَا كَلِمَةً﴾[الزُّخْرُف:٢٨] يعني: لا إله إلا الله"(٣).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "روي عن كثير من المفسرين أنهم قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[الزُّخْرُف: ٢٨].

---

(١) تفسير الطبري (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٢) تفسير الطبري (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

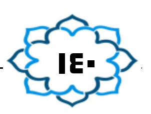
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الزخرف الآية: ٢٨) ٤/١٨٢.

أنها قول لا إله إلا الله. ويدل عليه وجوه:

الأول: مقدمة هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[الزُّخْرُف: ٢٦ - ٢٧] **وكان معنى قوله**: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ﴾ نفي الإلهية عن الأشياء التي كانوا يعبدونها. ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[الزُّخْرُف: ٢٧]. فكان فيه اثبات الإلهية للذي فطره، فإذا حصل هذان المعنيان كان مجموعهما هو قول: لا إله إلا الله. ثم قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾[الزُّخْرُف: ٢٨]. فثبت أن المراد من الكلمة الباقية قول لا إله إلا الله.

الثاني: أنه تعالى قال في سورة القصص: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القَصَص: ٨٨]. فبين أن كل شيء هالك إلا هو، فإنه واجب الدوام والبقاء. والسرمدية، وقد عرفت أن القول تبع المقول، والاعتقاد تبع المعتقد، فكان صدق لا إله إلا الله، وحقيقة لا إله إلا الله واجبي الثبوت والبقاء والدوام، وذلك هو المراد بكونها باقية.

الثالث: أنا بينا أن التوحيد لا يزول بسبب المعصية، والمعصية تزول بسبب التوحيد، وأيضًا التوحيد يبقى مع أهل الجنة، وسائر الطاعات لا تبقى، روى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ عن جبريل «أن الله يقول يوم القيامة: مالي أرى فلان بن فلان في صفوف أهل النار؟ فأقول: يا رب، أنا لم نجد له حسنة، فيقول الله تعالى: إني سمعته في الدنيا يقول: يا حنّان يا منّان، فاذهب إليه فسله. فيأتيه فيجده في زاوية من زوايا جهنم يقول: يا حنان يا منان، فيسأله



جبريل عن هذه الكلمة، فيقول: وهل حنان منان غير الله. قال جبريل: فأخذ بيده من صفوف أهل النار، فأدخله في صفوف أهل الجنة))(١)"(٢).

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: "﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو الله كلمة التوحيد. ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ في ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو إلى توحيده"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وهي: الكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٨﴾"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "أي جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: لا إله إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة"(٥).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٨﴾[الزُّخْرُف: ٢٨] أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي: "لا إله إلا الله" أي: جعلها دائمة

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في ((نوادر الأصول)) (٤٥٩) باختلاف يسير، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٦/٢١٠) واللفظ له. وفيه الفضل الرقاشي تفرد به ولم يتابع عليه.

(٢) عجائب القرآن للرازي صـ ٦٠-٦١.

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٤) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات. لابن تيمية. صـ ٢٩.

(٥) الجواب الكافي صـ ١٩٥.

في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم، عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ أي: إليها"[١].

٥٢.ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد هي الدعوة التامة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ((من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة))[٢].

قال الحافظ ابن حجر: "الدعوة التامة المراد بها: دعوة التوحيد، كقولة: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[الرَّعْد: ١٤] وقيل لدعوة التوحيد تامة لأن الشركة نقص، وقال ابن التين: وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو: لا إله إلا الله"[٣].

٥٣.ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد هي القول السديد.

قال تعالى: ﴿لْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾[النِّسَاء: ٩].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[الأَحْزَاب: ٧٠ - ٧١].

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٢) رواه البخاري (٦١٤).

(٣) فتح الباري (٢/١١٢- ١١٣).

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "القول السداد: لا إله إلا الله"[(١)].

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله: قال: "قولوا: لا إله إلا الله"[(٢)].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾[الأَحْزَاب: ٧٠] يعني قولا عدلا، وهو التوحيد" [(٣)].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠] أي: عدلًا؛ وهو: لا إله إلا الله"[(٤)].

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) رحمه الله: "القول السديد كلمةُ الإخلاص، وهي الشهادتان عن ضميرٍ صادق"[(٥)].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "وقوله ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾أي

---

(١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١، تفسير القرطبي (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).

(٢) تفسير الطبري (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير الهداية في بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة الأحزاب: الآية: ٧٠) وقال: وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمةفي قوله ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠] قال: قولوا لا إله إلا الله".

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الأحزاب الآية: ٧٠) ٤١٥/٣.

(٥) تفسير لطائف الإشارات للقشيري (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).



حقا وصوابا قيل هو لا إله إلا الله"(١).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) ﵀: "﴿سَدِيدًا ۝٧٠﴾ عدلاً، أو صدقاً، أو صوباً، أو قول لا إله إلا الله، أو يوافق باطنه ظاهره، أو ما أريد به وجه الله تعالى دون غيره"(٢).

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧ هـ) ﵀: "يعنى كلمة التوحيد"(٣).

٥٤.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أصل في إقامة الدين.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الرُّوم: ٣٠].

قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) ﵀: "قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾أي: أخلص دينك لله"(٤).

قال السدي (ت: ١٢٨) ﵀: "﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، يعني: التوحيد"(٥).

---

(١) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).
(٢) تفسير العز بن عبد السلام (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/٣٠٦.
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الروم: الآية: ٣٠).
(٥) تفسير يحيى بن سلام. (سورة الروم: الآية: ٣٠).

قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، يعني: التوحيد"(١).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: " ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾،: يعني فأخلص دينك الإسلام لله عَزَّوَجَلَّ "(٢).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإقامة الوجه: إقامة الدين"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإقامة وجهة الدين حنيفا عبادة الله وحده لا شريك له وذلك يجمع الإيمان بكل ما أمر الله به وأخبر به أن يكون الدين كله لله.

ثم قال الله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾[الرُّوم: ٣١ - ٣٢]، وذلك أنه إذا كان الدين كله لله حصل الإيمان والطاعة لكل ما أنزله وأرسل به رسله وهذا يجمع كل حق ويجمع عليه كل حق، وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يكون لكل قول ما يمتازون به مثل معظم مطاع أو معبود لم يأمر الله بعبادته وطاعته ومثل قول ودين ابتدعوه لم يأذن الله به ولم يشرعه فيكون كل من الفريقين مشركا من هذا الوجه"(٤).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر

---

(١) تفسير يحيى بن سلام. (سورة الروم: الآية: ٣٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة الروم: الآية: ٣٠).

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الروم: الآية: ٣٠).

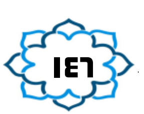
(٤) قاعدة في المحبة ص٤٤.

على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"(١).

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها: قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[الرُّوم: ٣٠]؛ "﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ أي: انصبه ووجِّهه ﴿لِلدِّينِ﴾ الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان؛ بأن تتوجَّه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ونحوها، وشرائعه الباطنة؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة، بأن تعبد الله فيها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، وخصَّ الله إقامة الوجه؛ لأن إقبال الوجه تبعٌ لإقبال القلب، ويترتَّب على الأمرين سعيُ البدن، ولهذا قال: ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: مُقْبِلاً على الله في ذلك، معرِضًا عمَّا سواه، وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠] ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها. فإن جميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميلَ إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفِطَر، ومَن خرج عن هذا الأصل، فلِعارِضٍ عرض لفطرته أفسدها؛ كما قال النبي ﷺ: ((كل

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة الروم: الآية: ٣٠).



مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه)). ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الرُّوم: ٣٠] ؛ أي: لا أحد يبدِّل خلق الله، فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمرناك به ﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ ؛ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، فإنَّ مَن أقام وجهه للدين حنيفًا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه؛ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأَعۡرَاف: ١٨٧] فلا يتعرَّفون الدين القيم، وإن عرفوه لم يسلكوه"(١).

٥٥.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أعظم ما أمر الله به.

قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [مُحَمَّد: ١٩].

قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإِسۡرَاء: ٢٣].

قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عَزَّوَجَلَّ... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب"(٢).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التوحيد أعظم المأمورات،

---

(١) "تفسير السعدي": (الروم: ٣٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/٢١-٢٣.

وكان العصيان فيه أعظم العصيان"(١).

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله: "أعظم ما أمر الله به التوحيد؛ وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك؛ وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦] "(٢).

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله: "أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء؛ ومليكه؛ ومدبّره بإرادته"(٣).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله معلِّقاً على قول الشيخ ابن عبدالوهاب: "وأعظم ما أمر الله به التوحيد: وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به"(٤).

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧ هـ) رحمه الله: "والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به؛ ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ونفي الشرك فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/١٧٥.

(٢) ثلاثة الأصول ص: ٨.

(٣) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ١/١٦.

(٤) شرح ثلاثة الأصول ص: ٤١.

ينهوا عن شيء قبل الشرك"(١).

قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم (ت: ١٣٩٢ هـ) رحمه الله في تعليقه على قوله تعالى ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النِّسَاء: ٣٦]: "وتسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة. لأنها اشتملت على حقوق عشرة. أحدها الأمر بالتوحيد ثم عطف عليه التسعة الباقية وابتداؤه تعالى بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك أدل دليل على أنه هو أهمها، فإنه لا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، فدلت على أن التوحيد أوجب الواجبات، وأن ضده وهو الشرك أعظم المحرمات"(٢).

٥٦.ومما يدل على أهميته أن ضد التوحيد الشرك وهو أعظم ما نهي الله عنه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لُقۡمَان: ١٣].

وسُئِل النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ فقال ﷺ: ((أن تجعل لله ندًّا، وهو خلقك))(٣).

عن ابن مسعود، قال: قال رجل، يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: ((من أحسن فى الإسلام، لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر))(١).

---

(١) كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول ٢/٤٨١.

(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص: ٣٤.

(٣) رواه البخاري: (٤٣٨٩/كتاب تفسير القرآن/باب: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفُرۡقَان: ٦٨].

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) رحمه الله: "قال المهلب: وأما حديث ابن مسعود فمعناه: من أحسن في الإسلام بالتمادى عليه ومحافظته، والقيام بشروطه؛ لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، وأجمعت الأمة أن الإسلام يجب ما قبله. وأما قوله: «من أساء في الإسلام» فمعناه: من أساء في عقد الإسلام والتوحيد، بالكفر بالله، فهذا يؤخذ بكل كفر سلف له في الجاهلية والإسلام، فعرضت هذا القول على بعض العلماء فأجازوه، وقالوا: لا معنى لحديث ابن مسعود غير هذا، ولا تكون هذه الإساءة إلا الكفر؛ لأجماع الأمة أن المؤمنين لا يؤاخذون بما عملوا في الجاهلية"[٢].

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) رحمه الله: "لا إثم أعظم من إثم الإشراك بالله، ولا عقوبة أعظم من عقوبته في الدنيا والآخرة؛ لأن الخلود الأبدي في النار لا يكون في ذنب غير الشرك بالله تعالى ولا يحبط الإيمان غيره؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] "[٣].

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله في التوحيد: "من خالف أصله كان كافرا، وعلى المسلمين مفارقته والتبرء منه؛ وذلك لأن أدلة التوحيد كثيرة ظاهرة متواترة، قد طبقت العالم وعم وجودها في كل مصنوع، فلم يعذر أحد بالذهاب عنها"[٤].

---

(١) رواه البخاري: (٦٩٢١)، ومسلم (١٢٠).
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/٥٧٠.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/٥٦٩.
(٤) قواطع الأدلة: ٢/٣٠٨.

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦ هـ) رحمه الله: " ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يُوسُف: ١٠٦] يعني الكفار كانوا يؤمنون بالله أنه الخالق، ومع ذلك يشركون الأصنام في العبادة والإيمان وهو التصديق بالله عَزَّوَجَلَّ لا ينافي الشرك، إنما الذي ينافي الشرك هو التوحيد وهم كانوا يؤمنون بالله عَزَّوَجَلَّ وجودا وخلقا وغير ذلك، ولكن لا يوحدونه عبادة"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فأعظم السيئات: جحود الخالق. والشرك به وطلب النفس أن تكون شريكة وندا له أو أن تكون إلها من دونه. وكلا هذين وقع فإن فرعون طلب أن يكون إلها معبودا دون الله تعالى. وقال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: ٣٨] وقال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٤﴾ [النَّازِعَات: ٢٤] وقال لموسى ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[الشُّعَرَاء: ٢٩] و﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزُّخْرُف: ٥٤]. وإبليس يطلب: أن يعبد ويطاع من دون الله. فيريد: أن يعبد ويطاع هو ولا يعبد الله ولا يطاع. وهذا الذي في فرعون وإبليس هو غاية الظلم والجهل. وفي نفوس سائر الإنس والجن: شعبة من هذا وهذا"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وأعظم الذنوب عند الله الشرك به وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والشرك منه

---

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٣٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/٣٢٣.

جليل ودقيق وخفي وجليكما في الحديث الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل فقال أبو بكر (ت: ١٣ هـ) ﷺ يا رسول الله إذا كان أخفى من دبيب النمل فكيف نصنع به؟ أو كما قال فقال: ((ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم))"(١).

٥٧.ومما يدل على أهميته أن التوحيد يحسم مواد الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وقد كان النبي، ﷺ، يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي تأله القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "عليك بالعناية بهذه الآية فقد سدت أبواب الشرك في الربوبية والألوهية.

قال تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سَبَإ: ٢٢ - ٢٣].

---

(١) قاعدة في المحبة صـ ٦٨.

(٢) مجموع. الفتاوى ١/١٣٦.

أما قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢﴾ [سَبَإ: ٢٢]. فهذا سد لباب الشرك في ربوبيته: بأن يجعل لغيره معه تدبيرًا ما فبين سبحانه أنهم:

- لا يملكون ذرة استقلالا،
- ولا يشركونه في شيء من ذلك.
- ولا يعينونه على ملكه.

ومن لم يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا، فقد انقطعت علاقته

وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سَبَإ: ٢٣].

فهدا سد لباب الشرك في الألوهية: بأن يدعى غيره دعاء عبادة، أو دعاء مسألة.

إذ قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه، ولا نسعتين إلا إياه.

وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه،

كقوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٥] وكقوله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأَنْعَام: ٥١]

وقوله تعالى: "﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأَنْعَام: ٧٠]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأَنْعَام: ٧١].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٩٤]

وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السَّجْدَة: ٤] وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزُّمَر: ٣] وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٣ - ٤٤].

وسورة الزمر أصل عظيم في هذا. ومن هذا قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحَج: ١١ - ١٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العَنكَبُوت: ٤١].



والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول. وهذا الذي ذكرناه كله من تحريم هذا الدعاء"(١).

٥٨.ومما يدل على أهميته أن الله عَزَّوَجَلَّ قَضَى، وَوَصَّى، وحَكَم، وأمر بالتوحيد.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإِسۡرَاء: ٢٣] فالله عَزَّوَجَلَّ قَضَى، وَوَصَّى، وحَكَم، وأمر بالتوحيد فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاءً دينيًا، وأمراً شرعيًّا، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ أحدًا: من أهل الأرض والسموات، الأحياء، والأموات، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ؛ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد"(٢).

٥٩.ومما يدل على أهميته أن التوحيد رأس المعروف.

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لُقۡمَان: ١٧].

وقد سُئِل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال ﷺ: ((إيمان بالله ورسوله))(٣).

وسُئِل النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ فقال ﷺ: ((أن تجعل لله ندًّا، وهو خلقك))(١).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٢٦-٢٢٧.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٧/٤١٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٠٧.

(٣) رواه البخاري: (٢٥/كتاب الإيمان/باب: من قال إن الإيمان هوالعمل).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "قال بعض العلماء: "المعروف" التوحيد، والمنكر الكفر، والآية نزلت في الجهاد.

قال الفقيه القاضي: ولا محالة أن التوحيد والكفر هما رأس الأمرين، ولكن ما نزل عن قدر التوحيد والكفر، يدخل في الآية ولا بد، المفلحون الظافرون ببغيتهم، وهذا وعد كريم"(٢).

قال عز الدين بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ) رحمه الله: " فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف. وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل، والأمر بإماطة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف، قال ﷺ: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "آصل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ورأس المعروف هو التوحيد ورأس المنكر هو الشرك"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له، وأشدها مقتا لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر

---

(١) رواه البخاري: (٤٣٨٩/كتاب تفسير القرآن/باب: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفُرْقَان: ٦٨].

(٢) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ٤٨٦/١.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١٢٤/١.

(٤) مجموع الفتاوى (٤٤٢/٢٧).

أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يتخذوهم عبيدا. وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفَتْح: ٦].

فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك؛ فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه؛ وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلا وندا يحبه، ويخافه، ويرجوه، ويذل له، ويخضع له، ويهرب من سخطه، ويؤثر مرضاته؟

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾ [الأنعَام: ١] ؛ أي يجعلون له عدلا في العبادة والمحبة والتعظيم"(١).

قال الشيخ: عبداللطيف بن عبدالرحمن النجدي الحنبلي (ت: ١٢٩٣هـ) رحمه الله: "وإنما أُرْسِلت الرُّسل وأُنْزِلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله

---

(١) إغاثة اللهفان ١/١٠١-١٠٢.

التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصلهالشرك"[١].

٦٠.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو الإكسير الأعظم.

قال ابن رجب: "التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع ذرة منها على جبال الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات، كما في "المسند" وغيره، عن أم هانئ، عن النبي ﷺ، قال: ((لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل))[٢]"[٣].

وفي المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال لأصحابه: ((ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، فوضع رسول الله ﷺ يده وقال: ((الحمد لله، اللهم بعثْتَني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني الجَنَّة وإنك لا تخلف الميعاد))، ثم قال: ((أبشروا؛ إن الله قد غفر لكم وهي أحسَن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا)) "[٤].

قال ابن تيمية: "فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء؛ وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إله إلا الله.

وأخبث الكلام والعقائد: كلمة الشرك وهو اتخاذ إله مع الله. فإن ذلك باطل لا حقيقة له"[٥].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" ص٥٥٥، ٥٥٦.

(٢) مسند الإمام أحمد برقم (٢٦٣٢٤)، رواه ابن ماجه، (٢/١٢٤٨).

(٣) تفسير ابن رجب ١/٣٤٠

(٤) الترغيب والترهيب"، (٢/٤١٥).

(٥) مجموع الفتاوى ٤/٧٤.

٦١.ومما يدل على أهميته أن النعم داعية إلى التوحيد وذاك داع إلى شكرها.

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النَّحل: ٥٣].

قال صالح الدمشقي (من القرن الثاني من الهجرة) رحمه الله، لابنه: "يا بني، إذا مرّ بك يوم وليلة قد سلم فيهما دينك، وجسمك، ومالك، وعيالك فأكثِر الشكرللّه تعالى"(١).

وقال الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ) رحمه الله: "كلما شكرت نعمة؛ تجدد لك بالشكر أعظم منها"(٢).

وقال الجنيد (ت: ٢٩٨ هـ) رحمه الله: "الشكر: أن لا يعصى الله عَزَّوَجَلَّ بنعمه"(٣).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، ليوحدوا رب هذه النعم، يعني بالنعم الخير والعافية، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾، يعني الشدة، وهو الجوع، والبلاء، وهو قحط المطر بمكة سبع سنين، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾، يعني تضرعون بالدعاء، لا تدعون غيره أن يكشف عنكم ما نزل بكم من البلاء

---

(١) سيرأعلامالنبلاء (٣/٢٢٢).

(٢) سراج الملوك ٢١٩/١.

(٣) سراج الملوك ٢١٨/١.

والدعاء حين قالوا في حم الدخان: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾ [الدُّخَان: ١٢] يعني مصدقين بالتوحيد"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "شكر العبد هو: إقراره بأن ذلك من الله دون غيره، وإقرار الحقيقة: الفعل، ويصدقه العمل، فأما الإقرار الذي يكذبه العمل، فإن صاحبه لا يستحق اسم الشاكر بالإطلاق، ولكنه يقال شكر باللسان، والدليل على صحة ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرًاۚ﴾ [سَبَإ: ١٣] ومعلوم أنه لم يأمرهم، إذ قال لهم ذلك، بالإقرار بنعمه؛ لأنهم كانوا لا يجحدون أن يكون ذلك تفضلا منه عليهم، وإنما أمرهم بالشكر على نعمه بالطاعة له بالعمل، وكذلك قال ﷺ حين تفطرت قدماه في قيام الليل: ((أفلا أكون عبدا شكورا))(٢)"(٣).

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي (ت: ٤٠٤هـ) رحمه الله: "فمعلوم أن النعم متفاوتة في مراتبها فأولاها بالشكر نعمة الله تعالى على العبد بالإيمان، والإرشاد إلى الحق، والتوفيق لقوله، لأنه هو الغرض الذي ليس بتابع لما سواه، وكل فرض سواه، فهو تابع له، فهو ممن جاء به، وثبت عليه شكره لفقره من النعم، والتيسير له نعمة عظيمة يقتضي الشكر لها بالإنهاء على المعاصي، وإتباع الإيمان حقوقه، لأن الإيمان بالله عهد بينه وبين العبد ولكل عهد وفاء. فالوفاء بالإيمان إتباعه ما بعده.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ٥٣).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).
(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠ /١٨٣، ١٨٤).

فإن قيل: إلا قلتم إن أولي النعم أولاها بالشكر، هو الحياة ثم العقل والبيان.

قيل: لأن هذه النعم كلها لتكون من المنعم عليه بها الإيمان، فصح إن أفضل النعم الإيمان، فمن شكر لله تعالى تيسيره للإيمان، فقد شكر عامة ما كان الإيمان به، فصارت هذه النعم التي ذكرتها ذا صلة في الشكر والله أعلم"[١].

قال ابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "ومعنى الآية: التذكير بأن الإنسان في جليل أمره ودقيقه، إنما هو في نعمة الله وأفضاله، إيجاده داخل في ذلك فما بعده، ثم ذكر تعالى بأوقات المرض، لكون الإنسان الجاهل يحس فيها قدر الحاجة إلى لطف الله تعالى"[٢].

وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "والمعنى: أنه تعالى بين أن جميع النعم من الله تعالى، ثم إذا اتفق لأحد مضرة توجب زوال شيء من تلك النعم فإلى الله يجأر، أي لا يستغيث أحدا إلا الله تعالى لعلمه بأنه لا مفزع للخلق إلا هو، فكأنه تعالى قال لهم فأين أنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة ؟"[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله شارحًا حديث: «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة»[٤]. قال رحمه الله: "وهذا السؤال متضمن للعفو عما مضى،

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/٥٥٤.

(٢) تفسير ابن عطية (سورة النحل: الآية: ٥٣).

(٣) تفسير الرازي (سورة النحل: الآية: ٥٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه برقم:(٣٥١٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي والسلسلة الصحيحة ٤/٢٩.وأورده الشوكاني في الفتح الرباني ١١/٥٥١٦ وقال:"روي بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير يزيد بن أبي زياد وهو حسن الحديث؛ وأخرجه أحمد (٥) و (١٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٧١٧)، وابن ماجة (٣٨٤٩).

والعافية في الحال، والمعافاة في المستقبل بدوام العافية واستمرارها"(١).

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ [النَّجم: ٥٥].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الْآلَاءُ: هِيَ النِّعَمُ؛ وَالنِّعَمُ كُلُّهَا مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ"(٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبْرَاهِيم: ٧].

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [النِّسَاء: ١٤٧].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فَإِنَّ الْعَبْدَ يَدْعُوهُ إلَى عِبَادَةِ اللَّهِ دَاعِي الشُّكْرِ وَدَاعِي الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَشْهَدُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذَاكَ دَاعٍ إلَى شُكْرِهَا"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وشكر العامة؛ على المطعم والمشرب والملبس وقوت الأبدان، وشكر الخاصة؛ على التوحيد والإيمان وقوت القلوب"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً"(٥).

---

(١) عدة الصابرين صـ ٢٧١.
(٢) مجموع الفتاوى ٨/٣١.
(٣) مجموع الفتاوى ٨/٣١.
(٤) مدارج السالكين ٢/٢٣٥.
(٥) مدارج السالكين ٢/٢٣٧.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "إنعام الرب تعالى على عبده: فإحسان إليه، وتفضل عليه، ومجرد امتنان. لا لحاجة منه إليه، ولا لمعاوضة، ولا لاستعانة به، ولا ليتكثر به من قلة، ولا ليتعزز به من ذلة، ولا ليقوى به من ضعف. سبحانه وبحمده.

وأمره له بالشكر أيضا: إنعام آخر عليه. وإحسان منه إليه. إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة. لا إلى الله. والعبد هو الذي ينتفع بشكره. كما قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النَّمْل: ٤٠] فشكر العبد إحسان منه إلى نفسه دنيا وأخرى. فلا يذم ما أتى به من ذلك، وإن كان لا يحسن مقابلة المنعم به. ولا يستطيع شكره. فإنه إنما هو محسن إلى نفسه بالشكر. لا أنه مكافئ به لنعم الرب. فالرب تعالى لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبدا، ولا أقلها، ولا أدنى نعمة من نعمه. فإنه تعالى هو المنعم المتفضل، الخالق للشكر والشاكر، وما يشكر عليه. فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناء عليه. فإنه هو المحسن إلى عبده بنعمه، وأحسن إليه بأن أوزعه شكرها. فشكره نعمة من الله أنعم بها عليه. تحتاج إلى شكر آخر. وهلم جرا"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرهما من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدا، ولهذا أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركا؛ فكلما كان الشرك في العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصا كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ

(١) مدارج السالكين ٢/٢٤١-٢٤٢.

﴿وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾ [يُوسُف: ٢٤] "[١].

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "قال بعض السلف: "الشكر أن لا يُستعان بشيءٍ من النعَم على معصيته"[٢].

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "الشكر على درجتين:

إحداهما: واجب، وهو أن يأتي بالواجبات، ويتجنب المحرمات، فهذا لا بد منه، ويكفي في شكر هذه النعم....

ومن هنا قال بعض السلف: "الشكر: ترك المعاصي".

وقال بعضهم: "الشكر أن لا يستعان بشيء من النعم على معصيته".

وذكر أبو حازم الزاهد شكر الجوارح كلها: "أن تكف عن المعاصي، وتستعمل في الطاعات"، ثم قال: "وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه: فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه، فلم يلبسه، فلم ينفعه ذلك من البرد، والحر، والثلج، والمطر".

الدرجة الثانية من الشكر: الشكر المستحب، وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم: بنوافل الطاعات، وهذه درجة السابقين المقربين"[٣].

وقال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "فكل عطاء الله فضل، فإنه لا واجب عليه، فكان لذلك واجبا على كل أحد إخلاص التوحيد له شكرا على فضله لما تظافر عليه دليلا العقل والنقل من أن شكر المنعم واجب"[٤].

---

(١) إغاثة اللهفان ١/١٠٦.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٤٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٢٤٥، ٢٤٦).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥/٨٦.

٦٢.ومما يدل على أهميته أن التوحيد يعزز مكارم الأخلاق.

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمُتْ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرِمْ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)). وفي رواية: ((فلا يؤذِ جاره))، وللبخاري: ((فليصِلْ رحمه))[(١)].

"وهذا الحديث عظيم تتفرع منه آداب الخير، وقيل فيه: إنه نصف الإسلام؛ لأن الأحكام تتعلق بالحق، أو الخلق، وهذا أفاد الثاني"[(٢)].

قال ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) رحمه الله: "وقوله: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)) المراد بقوله: ((يؤمن)) الإيمان الكامل، وخصه بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ أو المعاد؛ أي: من آمن بالله الذي خلَقه، وآمن بأنه سيجازيه بعمله، فليفعل الخصال المذكورات"[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، حديث (٤٧)، وأخرجه البخاري في "كتاب الأدب" "باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره" حديث (٦٠١٨)، وأخرجه ابن ماجه في "كتاب الفتن" "باب كف اللسان في الفتنة" حديث (٣٩٧١).

وحديث أبي شريح أخرجه مسلم، حديث (٤٨)، وأخرجه البخاري في نفس الباب السابق حديث (٦٠١٩)، وأخرجه أبو داود في "كتاب الأطعمة" "باب ما جاء في الضيافة" حديث (٣٧٤٨)، وأخرجه الترمذي في "كتاب البر والصلة" "باب ما جاء في الضيافة كم هو" حديث (١٩٦٧)، وأخرجه ابن ماجه في "كتاب الأدب" "باب حق الجوار" حديث (٣٦٧٢).

(٢) الجواهر اللؤلؤية شرح الأربعين النووية (١٤٩).

(٣) فتح الباري (١٠/٤٦٠ ح ٦٠١٩).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فالذي شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد، وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وظلم وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد. فإن الله تعالى أمر المؤمنين بعبادته والإحسان إلى عباده كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النِّسَاء: ٣٦] وهذا أمر بمعالي الأخلاق وهو سبحانه يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها. وقد روي عنه ﷺ أنه قال: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) رواه الحاكم في صحيحه"(١).

٦٣.ومما يدل على أهميته أن بالتوحيد تحرم الدماء والأعراض ويدخل المرء الإسلام.

عن ابن عمر (ت: ٧٣ هـ) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاةويؤتواالزكاةفإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقالإسلام، وحسابهم على الله))(٢).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: "دين الإسلام يحكم

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٩٥..

(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).



بشهادة أنلا إله إلا الله في الظاهر، فالله جَلَّوَعَلَا يقبل من المنافقين كلمة (لا إله إلا الله) ظاهرا، كما أرادوا أن يخدعوه فهو يخدعهم حيث يقبلها منهم ظاهرا في الدنيا، وهو يعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢] "(١).

٦٤.ومما يدل على أهميته أن التوحيد سبب النجاة.

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: ((مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ؛ نَفَعتْه يومًا من دهرِه، يُصيبُه قبلَ ذلكَ ما أصابَه))(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ: " ﴿ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غَافِر: ٤١]: إلى الإيمان بالله ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾ [غَافِر: ٤١]: إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ: "وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم"(٤).

---

(١) العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير ١/٢٨٨.

(٢) أخرجه البزار (٨٢٩٢)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٦٣٩٦) واللفظ لهما، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١٢٦/٧)، وصححه الألباني. في صحيح الترغيب برقم: (١٥٢٥).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٣٥/٤.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ٨٣/١.

وأوصى ابنُ قُدامَة (ت: ٦٢٠ هـ) رحمه الله أحد إخوانه: "واعلم أنّ مَن هوَ في البَحرِ على اللوحِ، ليسَ بأحوَجَ إلى اللهِ وإلى لُطفه ممن هوَ في بيتِه بينَ أهلِه ومالِه، فإذا حققتَ هذا في قَلبِك فاعتمد على الله اعتمادَ الغريقِ الذي لا يعلمُ له سبب نجاةٍ غير الله!"[1].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به"[2].

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رحمه الله: "والتوحيد الحقيقى الذى هو سبب النجاة ومادة السعادة في الدار الآخرة ما بينه الله تعالى وهدانا في كتابه العزيز بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عِمۡرَان: ١٨] "[3].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "التوحيد جعله الله موصلا إلى كل خير دافعا لكل شر ديني ودنيوي، وجعل الشرك به والكفر سببا للعقوبات الدينية والدنيوية، ولهذا إذا ذكر تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصين، وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٨] أي: لعبرة يعتبر بها

(١) الوصية المباركة ص ٧٧.
(٢) منهاج السنة ٥/٣٤٧.
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/١٧١.



المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك"[١].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: "لم يضمن الله لأحد ألا يكون ضالا في الدنيا ولا شقيا في الآخرة إلا لمتبعي الوحي وحده. قال تعالى في طه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣] وقد دلت آية طه هذه على انتفاء الضلال والشقاوة عن متبعي الوحي. ودلت آية البقرة على انتفاء الخوف والحزن عنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣] "[٢].

٦٥.ومما يدل على أهميته أن التوحيد يعين صاحبه على حسن الخاتمة.

فالإنسان في حالة وفاته يرى عليه أحيانا أشياء تدل على حسن خاتمته، من أفضل ما يدل على ذلك قول: لا إله إلا الله عند وفاته.

عن معاذ بن جبل (ت: ١٨ هـ) رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))[٣]، فهذه من علامات حسن الخاتمة.

عن حذيفة (ت: ٣٦ هـ) رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من قال: لا إله إلا

(١) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران الآية: ١٨).

(٢) أضواء البيان ٧/٣٠٢.

(٣) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦٨٧).

الله ابتغاء وجه الله، ختم له بها، دخل الجنة»[١]، أي: ختم الله له بهذه الكلمة فيدخل الجنة بسببها.

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ﵀: "يقول تعالى ذكره: ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [يُونُس: ١٣] يقول: لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه، ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم﴾ [يُونُس: ١٣] من عند الله، ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [يُونُس: ١٣]، وهي الآيات والحجج التي تُبين عن صِدْق من جاء بها. ومعنى الكلام: وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق، ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ [يُونُس: ١٣] يقول: فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدِّقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٣﴾ [يُونُس: ١٣]، يقول تعالى ذكره: كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسَهم، وتكذيبهم رسلهم، وردِّهم نصيحتَهم، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدًا ﷺ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تُنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي، أن أهلكه بسَخَطي في الدنيا، وأورِدُه النار في الآخرة"[٢].

قال الحافظ الإشبيلي (ت: ٥٨١ هـ) ﵀: "إنّ سوء الخاتمة لا يكون لمن استقام ظاهره وصلُح باطنُه، ما سُمع بهذا قطُّ ولا عُلم به والحمد للهوإنما يكون

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٩١)، وإسناده صحيح، قال المنذري (٢/٦١) "لا بأس به"..

(٢) تفسير الطبري (سورة يونس الآية: ١٣).

لمن كان له فسادٌ في العقل أو إصرار على الكبائر وإقدام على العظائم أو لمن كان مستقيما ثم تغيّرت حاله وخرج عن سُننه وأخذ في غير طريقه"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة"(٢).

ومن أعظم صور سوء الخاتمة ما حل بالمكذبين بتوحيد الله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يُونُس: ١٣].

٦٦.ومما يدل على أهميته أن التوحيد زينة لصاحبه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَ﴾ [الأنفَال: ٢]

قال الإمام أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي (ت: ٤٠٤هـ) رحمه الله: "العبد كلما ازداد تأملاً للآيات؛ زادته هداية ودلالة، تقرَّبت بصيرته، وخلصت من الخواطر والهواجس عقيدته"(٣).

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه؛ فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر"(٤).

---

(١) الاعتصام ١/٢٢٤.

(٢) الداء والدواء ص: ٣٩٠.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان ٢/٥٥١.

(٤) صيد الخاطر ص: ٢٨٧.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحُجُرَات: ٧ - ٨].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: " ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ فجعله أحب الأديان إليكم، ﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسنه، ﴿فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ حتى اخترتموه، وتطيعون رسول الله ﷺ ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ﴾.

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): يريد الكذب ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ جميع معاصي الله. ثم عاد من الخطاب إلى الخبر، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ المهتدون"(١).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي ﷺ ولا يخبرون بالباطل، أي: جعل الإيمان أحب الأديان إليكم. وزينه بتوفيقه. في قلوبكم أي: حسنه إليكم حتى اخترتموه"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وَهَذَا الْحسن وَالْجمال الَّذِي يكون عَن الْأَعْمَال الصَّالِحَة فِي الْقلب يسري إِلَى الْوَجْه، والقبح والشين الَّذِي يكون عَن الْأَعْمَال الْفَاسِدَة فِي الْقلب يسري إِلَى الْوَجْه كَمَا تقدم، ثمَّ إِن ذَلِك يقوى بِقُوَّة الْأَعْمَال الصَّالِحَة والأعمال الْفَاسِدَة، فَكلما كثر الْبر وَالتَّقوى قوى الْحسن

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الحجرات الآية: ٧).

(٢) تفسير القرطبي (سورة الحجرات الآية: ٧).



وَالْجمال وَكلما قوى الْإِثْم والعدوان قوى الْقبْح والشين، حَتَّى ينْسَخ ذَلِك مَا كَانَ للصورة من حسن وقبح، فكم مِمَّن لم تكن صورته حَسَنَة وَلَكِن من الْأَعْمَال الصَّالِحَة مَا عظم بِهِ جماله وبهاؤه حَتَّى ظهر ذَلِك على صورته، وَلِهَذَا ظهر ذَلِك ظهورا بَينا عِنْد الْإِصْرَار على القبائح فِي آخر الْعُمر عِنْد قرب الْمَوْت فنرى وُجُوه أهل السّنة وَالطَّاعَة كلما كبروا ازْدَادَ حسنها وبهاؤها حَتَّى يكون أحدهم فِي كبره أحسن واجمل مِنْهُ فِي صغره، ونجد وُجُوه أهل الْبِدْعَة وَالْمَعْصِيَة كلما كبروا عظم قبحها وشينها حَتَّى لَا يَسْتَطِيع النّظر إِلَيْهَا من كَانَ منبهرا بهَا فِي حَال الصغر لجمال صورتهَا، وَهَذَا ظَاهر لكل أُحْدُ فِيمَن يعظم بدعته وفجوره مثل الرافضة وَأهل الْمَظَالِم وَالْفَوَاحِش من التّرْك وَنَحْوهم، فَإِن الرافضي كلما كبر قبح وَجهه وَعظم شينه حَتَّى يقوى شبهه بالخنزير وَرُبمَا مسخ خنزيرا وقردا كَمَا قد تَوَاتر ذَلِك عَنْهُ"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: قال بعض السلف: "قوة المؤمن في قلبه، وضعفه في جسده، وقوة المنافق في جسمه، وضعفه في قلبه"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة"(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "خير الْقُلُوب مَا كَانَ واعيا للخير

---

(١) الاستقامة ١/٣٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/٣٩٤.

(٣) الاستقامة، لابن تيمية ١ /٤٤١.

ضابطا لَهُ. وَلَيْسَ كالقلب القاسي الَّذِي لا يقبله"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الذِكر نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأَنْعَام : ١٢٢] "(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإنابة إليه"(٤).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: "ويهمنا هنا: أنه لا يتم تحقيق الإيمان وحبه في القلب حتى يخلو القلب من شوائب الكفر؛ لأن الكفر والإيمان لا يجتمعان أبدا"(٥).

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٢٤.

(٢) روضة المحبين١/٢٢٠.

(٣) الوابل الصيب ص٧٢.

(٤) تفسير ابن سعدي (سورة الحجرات الآية: ٧).

(٥) تفسير أضواء البيان (سورة الحجرات الآية: ٧).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري (ت: ١٤٣٩ هـ) رحمه الله: "من أكبر النعم على المؤمنين تحبيب الله تعالى الإيمان إليه وتزيينه في قلبه، وتكريه الكفر إليه والفسوق والعصيان وبذلك أصبح المؤمن أرشد الخلق بعد أصحاب رسول الله ﷺ"(١).

وفي الحديث صلَّى عمَّارُ بنُ ياسرٍ بالقومِ صلاةً أخفَّها، فَكأنَّهم أنْكروها! فقالَ: ألم أُتمَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ؟ قالوا: بلى، قالَ أمَّا أنِّي دعوتُ فيها بدعاءٍ كانَ النَّبيُّ ﷺ يدعو بِهِ ((اللَّهمَّ بعِلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي، وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ، وَكلمةَ الإخلاصِ في الرِّضا والغضبِ، وأسألُكَ نعيمًا لاَ ينفدُ، وقرَّةَ عينٍ لاَ تنقطعُ، وأسألُكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ، وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ، ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهِكَ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ، وأعوذُ بِكَ من ضرَّاءٍ مُضرَّةٍ وفتنةٍ مضلَّةٍ؛ اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعَلنا هداةً مُهتدين))(٢).

قال عبد الله بن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما في بيان معانٍ من هذه الزينة: "إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق"(٣).

---

(١) أيسر التفاسير (سورة الحجرات الآية: ٧).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وأحمد (١٨٣٥١) باختلاف يسير.

(٣) روضة المحبين لابن القيم ص: ٤٤١.ونسبه ابن القيم في روضة المحبين ص٤٤١ لأنس بن مالك، وابن عباس رضي الله عنهم

وجاء مسنداً عند ابن أبي شيبة في المصنف ١٨٧/٧ عن الحسن البصري، وفي حلية الأولياء ٢٨٧/٦ عن مالك بن دينار رحمه الله

قال بعض الحكماء: "ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرآة، فإن رأى صورته حسنة؛ لم يشنها بقبيح فعله، وإن رآها قبيحة؛ لم يجمع بين قبح الصورة، وقبح الفعل"(١).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) ﵀ في شرح حديث النبي ﷺ: ((اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين)): "أما زينة الإيمان؛ فالإيمان قول وعمل ونية؛ فزينة الإيمان تشمل زينة القلب بتحقيق الإيمان له، وزينة اللسان بأقوال الإيمان، وزينة الجوارح بأعمال الإيمان"(٢).

فللإيمان زينة جميلة لصاحبه في الدنيا والآخرة، ولن يبدو صاحبه جميلاً بدونه، وهذه الزينة يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده، ويضاعفها عليهم، ويقذفها في قلوبهم.

والزينة زينتان: زينة البدن وزينة القلب "وهي أعظمها"، وإذا حصلتْ فيرد به مَن يعاملهم مِن الناس، فيعظم ما عظّمه الله ومَن يعظمه الله، ويحقِّر ما حقره الله ومَن حقره الله.

فمن زينة الإيمان ما يجعله الله عَزَّوَجَلَّ في القلب، وهي البصيرة التي يلقيها الله عَزَّوَجَلَّ في قلب العبد حتى يبصر حقائق الوجود، ويعرف ما تئول إليه هذه الحياة ويتعظ بمن مضى، ويتذكر ما هو مقبل عليه من الآخرة.

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ص: ٤٤١.ونسبه ابن القيم في روضة المحبين ص٤٤١ لأنس بن مالك، وابن عباس ﵃

وجاء مسنداً عند ابن أبي شيبة في المصنف ١٨٧/٧ عن الحسن البصري، وفي حلية الأولياء ٢٨٧/٦ عن مالك بن دينار ﵀

(٢) شرح حديث عمار بن ياسر ص ٤٨.

٦٧.ومما يدل على أهميته أن التوحيد شرط لقبول العمل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص(ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما قال: إن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها، فإذا قال: الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله أحد حتى يقولها، فإذا قال: الله أكبر فهي كلمة تملأ ما بين السماء والأرض، فإذا قال: سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدا حتى قرره بالصلاة والتسبيح، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: استسلم عبدي"[(١)].

قال أبو محمد عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي (ت: ١٩٤ هـ) رحمه الله: "لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان صواباً، ومن صوابها إلا ما كان خالصاً، ومن خالصها إلا ما وافق السنة"[(٢)].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/١٣٩-١٤٠..

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/٦٦.

شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية"(١).

قال أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت ٤٢٧هـ) ﷺ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠]: "العمل الصالح هو الخالص، يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأعمال، دليله قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكَهۡف: ١١٠]، أي: خالصا، ثم قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكَهۡف: ١١٠] فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء، وقال قوم: هذه الكناية راجعة إلى العمل، يعني أن الكلم الطيب يرفع العمل، فلا يرفع ولا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا عن التوحيد"(٢).

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) ﷺ: "الرياء ينقسم قسمين: فإن كان الرياء فى عقد الإيمان فهو كفر ونفاق، وصاحبه فى الدرك الأسفل من النار. وإن كان الرياء لمن سلم له عقد الإيمان من الشرك، ولحقه شيء من الرياء في بعض أعماله، فليس ذلك بمخرج من الإيمان إلا أنه مذموم فاعله، لأنه أشرك في بعض أعماله حمد المخلوقين مع حمد ربه، فحرم ثواب عمله ذلك"(٣).

---

(١) تفسير الطبري (سورة الكهف: الآية: ١١٠).

(٢) تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (سورة فاطر: الآية: ١٠).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/١١٣.

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) رحمه الله: "قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧﴾ [الزُّمَر: ٤٧] قال: أعمال كانوا يحسبونها حسنات بدت لهم سيئات، وإنما لحقهم ذلك لعدم المراعاة وقلة الإخلاص، أو لتعديهم السنة وركوبهم بالتأويل وجوه الفتنة"(١)

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "فإن الله جعل الإخلاص والمتابعة سَبَبًا لقبول الأعمال، فإذا فقدا لم تُقبل الأعمال"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: " وقوله: «فإن الله لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصا». والأعمال أربعة: واحد مقبول، وثلاثة مردودة. فالمقبول ما كان لله خالصا وللسنة موافقا، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما. وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه، وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عمل لوجهه. وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها، بل يمقتها ويمقت أهلها.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلْك: ٢]. قال الفضيل بن عياض: هو أخلص العمل وأصوبه. فسئل عن معنى ذلك، فقال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. فالخالص أن يكون لله،

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/١١٠.
(٢) الروح (ص ١٣٥).

والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]" [(١)].

فإن قيل: فقد بان بهذا أن العمل لغير الله مردود غير مقبول، والعمل للهوحده مقبول. فبقي قسم آخر، وهو أن يعمل العمل لله ولغيره، فلا يكون لله محضا ولا للناس محضا، فما حكم هذا القسم؟ هل يبطل العمل كله أم يبطل ما كان لغير الله، ويصح ما كان لله؟

قيل: هذا القسم تحته أنواع ثلاثة:

أحدها: أن يكون الباعث الأول على العمل هو الإخلاص، ثم يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثنائه. فهذا المعول فيه على الباعث الأول، ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله؟ فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها، أعني قطع ترك استصحاب حكمها.

الثاني عكس هذا، وهو أن يكون الباعث الأول لغير الله، ثم يعرض له قلب النية لله، فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل، ويحتسب له من حين قلب نيته. ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة، كالصلاة، وإلا لم تجب كمن أحرم لغير الله، ثم قلب نيته لله عند الوقوف والطواف.

الثالث: أن يبتدئها مريدا بها الله والناس، فيريد أداء فرضه، والجزاء والشكور من الناس. وهذا كمن يصلي بالأجرة، فهو لو لم يأخذ الأجرة صلى، ولكنه يصلي

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٩٥) دون الآية الأخيرة.

لله وللأجرة؛ وكمن يحج ليسقط الفرض عنه، ويقال: فلان حج؛ أو يعطي الزكاة لذلك؛ فهذا لا يقبل منه العمل.

وإن كانت النية شرطا في سقوط الفرض وجبت عليه الإعادة. فإن حقيقة الإخلاص التي هي شرط في صحة العمل والثواب عليه لم توجد، والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه، فإن الإخلاص هو تجريد القصدطاعة للمعبود، ولم يؤمر إلا بهذا. وإذا كان هذا هو المأمور به فلم يأت به بقي في عهدة الأمر.

وقد دلت السنة الصريحة على ذلك، كما في قوله ﷺ: ((يقول الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فهو كله للذي أشرك به))(١)، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]"(٢).

❁ قال عمر بن علي الأنصاري المعروف بـ ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الإخلاص شرط في العبادة، فمن غلب باعثه الدنيوي، فقد خسر ومن غلب الديني ففائز عند الجمهور خلافا للحارث المحاسبي"(٣).

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إله واحد، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) إعلام الموقعين ٢/٥١٦-٥١٨.

(٣) كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٣/٦٣٤.

قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكَهۡف: ١١٠] وهو الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه"[(١)].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ﷺ: "قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإِسۡرَاء: ١٩]. في الآية الدليل على أن الأعمال الصالحة لا تنفع إلا مع الإيمان بالله. لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة، لأنه شرط في ذلك قوله: ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإِسۡرَاء: ١٩] "[(٢)].

٦٨.ومما يدل على أهميته أن التوحيد قرين السنة كما أن البدعة قرينة الشرك.

قال ابن القيم: "البدعة قرينة الشرك في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾

---

(١) تفسير السعدي (سورة الكهف: الآية: ١١٠).

(٢) أضواء البيان ٣/٨١.

[الأَعْرَاف: ٣٣] فالإثموالبغى قرينان، والشرك والبدعة قرينان"[١].

قال ابن القيم: "تفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر بحسب تفاوت درجات المشتهفشهوة الكفر والشرك كفر، وشهوة البدعة فسق، وشهوة الكبائر معصية"[٢].

٦٩.ومما يدل على أهميته أن كلمة التوحيد هي الموجبة.

عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، ما الموجِبَتانِ؟ فقالَ: ((من ماتَ لا يُشرِكُ باللَّهِ شيئًا دخلَ الجنَّةَ، ومن ماتَ يشرِكُ باللَّهِ شيئًا دخلَ النَّارَ))[٣].

قال الفيروزأبادي: "والكلمة الموجبة: لا إله إلا الله"[٤].

((ما الموجبتان؟))، أي: ما الخصلتان من الخير والشر اللتان إذا فعلت إحداهما أوجبت لصاحبها الجنة أو أوجبت له النار.

٧٠.ومما يدل على أهميته أن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "كل آية في القرآن فهي متضمنة

(١) إغاثة اللهفان ١/٦٣.

(٢) مدارج السالكين١/١٣٣.

(٣) (مسلم: ٩٣).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/١٦١.

للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن: إمَّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمَّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"(١).

❀ قال ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٧ هـ) رحمه الله: "المراد بالقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى، ولذلك انحصرت سوره وآياته في ستة أقسام:

ثلاثة منها هي الأصول، وثلاثة هي الفروع.

أما الأصول:

فالأول منها: تعريف المدعوّ إليه، وهو الله تعالى، ويشتمل هذا الأصل على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله.

والأصل الثاني: تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إلى الله تعالى ويشتمل هذا الأصل على التّبتّل بعبادة الله بأفعال القلب وأفعال الجوارح؛

والأصل الثالث: تعريف الحال بعد الوصول إلى الله تعالى، أعني بعد الموت، ويشتمل هذا الأصل على تفصيل أحوال الدار الآخرة من الجنة والنار والصراط

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤٥٠.

والميزان والحساب، وأشباه ذلك؛ فهذه الأصول الثلاثة.

وأما الفروع

فالأول منها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة، ولطائف صنع الله بهم من النّصرة والإدالة، وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمحادّين لها، وكيفية صنع الله في التّدمير عليهم والتنكير بهم،

والفرع الثاني: ذكر مجادلة الخصوم ومحاجّتهم، وحملهم بالمجادلة والمحاجّة على طريق الحق، وهؤلاء هم اليهود والنصارى ومن يجري مجراهم من أرباب الشرائع، والفلاسفة والملحدة من غير أرباب الشرائع؛

والفرع الثالث: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة للاستعداد، وذاك قياس الشريعة، وتبيين الحكمة في أوامرها التي تتعلق بأفعال أهل التكليف.

فهذه الأقسام الستة المشار إليها هي التي تدور معاني القرآن عليها ولا تتعداها"(١).

٧١.ومما يدل على أهميته أن سور التوحيد أفضل من غيرها.

قال أبو عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي (ت: ٤٠٤هـ) رحمه الله: "الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسه أفضل أو خير، بمعنى أن يتعين أنها أسنى وأجل قدرا"(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "الآيات المشتملة على دلائل

---

(١) المثل السائر ٢/٦٨.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/٢٤٤.

علم الأصول أشرف من الآيات المشتملة على دلائل علم الفروع، بدليل أنه قد جاء في فضيلة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]. و ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وآية الكرسي، و ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] ما لم يجيء في فضيلة قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الآية. ولذلك فإن الزهاد والعباد يواظبون في شرائف الأوقات على قراءة هذه الآيات المشتملة على الإلهيات، دون الآيات المشتملة على الأحكام.

والآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية، وأما اللواتي في بيان التوحيد والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين، وفي إثبات النبوات والمعاد، ومسألة القضاء والقدر فكثيرة. "[١].

قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) رحمه الله: "القرآن توحيد وأحكام ووعظ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] فيها التوحيد كله. وبهذه المعاني وقع البيان في قوله ﷺ لأبي بن كعب: ((أي آية في القرآنأعظم؟)) قال: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: ((ليهنك العلم يا أبا المنذر))[٢]. وإنما كانت أعظم؟ لأنها توحيد كلها، كما صار قوله: "أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله" الحديث[٣]، أفضل الذكر؛

---

(١) عجائب القرآن صـ ١٧-١٨.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٥٧٢) رواية يحيى، وأحمد: ٢/٢١٠، والترمذي (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه". وصححه من المعاصرين الألباني في سلسلته الصحيحة (١٥٠).



لأنها كلمة حوت علوم جميع التوحيد، والفاتحة تضمنت التوحيد كله والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله، فإن الله جمع التوحيد كله في آية الكرسي، ثم جمعه في أقل حروفا منها التوحيد، وهو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإِخْلَاص: ١]. ثم جمعه لرسوله في كلمات يوم عرفة المتقدمة. ثم جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأَحْقَاف: ٣]. وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المُؤْمِنُون: ١١٥]"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "ولهذا كانت سورة "الأنعام" أفضل من غيرها وكذلك سورة "يس" ونحوها من السور التي فيها أصول الدين التي اتفق عليها الرسل كلهم صلوات الله عليهم. ولهذا كانت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإِخْلَاص: ١] مع قلة حروفها تعدل ثلث القرآن؛ لأن فيها التوحيد فعلم أن آيات التوحيد أفضل من غيرها"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٥]. وقال ﷺ ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))(٣)"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "النبي ﷺ سأل أبيًا ((أي آية في كتاب الله

(١) كتاب المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي المالكي ٢/٣٧٠.
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/١٩٠).
(٣) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦٨٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/٤٠٠).

أعظم؟» فأجابه أبيّ بأنها آية الكرسي، فضرب بيده في صدره وقال «ليهنك العلم»، ولم يستشكل أبيّ ولا غيره السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض، بل شهد النبي بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض؛ وعرف أفضل الآيات"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي؛ المتضمنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، وقد ثبت عنه ﷺ من غير وجه أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن"[٢].

٧٢.ومما يدل على أهميته أن التوحيد يعدل ثلث القرآن.

قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) رحمه الله: "وقوله: "إنها لتعدل ثلث القرآن"، أي: في الفضيلة والأجر، وليس يجوز تفضيل شيء من القرآن على شيء منه لذاته، فإن المفضول منقوص، وإنما فضلت هذه السورة في فضل ثوابها، إذ هي سورة الإخلاص ليس فيها شيء من العمل، إنما هي التوحيد والتفريد لاغير"[٣].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقال ﷺ: «إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». قال: بما فيها من التوحيد"[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٩٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٣/٦١.

(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي. ٤/٢٨٣.

(٤) تفسير ابن عطية ٥/٥٣٧.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وقوله ﷺ للناس: ((احتشدوا حتى أقرأ عليكم ثلث القرآن فحشدوا حتى قرأ عليهم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] قال: ((والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن)).

وأما توجيه ذلك: فقد قالت طائفة من أهل العلم: إن القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد وثلث قصص وثلث أمر ونهي. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ هي صفة الرحمن ونسبه وهي متضمنة ثلث القرآن، وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى والكلام إما إنشاء وإما إخبار فالإنشاء هو الأمر والنهي وما يتبع ذلك كالإباحة ونحوها وهو الإحكام.

والإخبار: إما إخبار عن الخالق، وإما إخبار عن المخلوق.

فالإخبار عن الخالق: هو التوحيد وما يتضمنه من أسماء الله وصفاته.

والإخبار عن المخلوق: هو القصص وهو الخبر عما كان وعما يكون ويدخل فيه الخبر عن الأنبياء وأممهم ومن كذبهم والإخبار عن الجنة والنار والثواب والعقاب.

قالوا: فبهذا الاعتبار تكون ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن لما فيها من التوحيد الذي هو ثلث معاني القرآن"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]. ولهذا كانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن؛ لأنها صفة الرحمن.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٢٠٧).

والقرآن ثلثه توحيد، وثلثه قصص، وثلثه أمر ونهي؛ لأنه كلام الله، والكلام إما إنشاء وإما إخبار، والإخبار إما عن الخالق وإما عنالمخلوق، فصار ثلاثة أجزاء: جزء أمر ونهي وإباحة وهو الإنشاء، وجزء إخبار عن المخلوقين، وجزء إخبار عن الخالق، ف " ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ " صفة الرحمن [محضا].

وقد بسطنا الكلام على تحقيق قول النبي ﷺ «إنها تعدل ثلث القرآن» في مجلد، وفي تفسيرها في مجلد آخر"(١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ﵀ في إشارته إلى الحيّز الكبير الذي تشغله النصوص المتضمنة للعلم بالله تعالى وعبادته من القرآن؛ عن التوحيد العلمي الخبري: "لا تكاد تخلو ورقة من المصحف منه"(٢).

٧٣.ومما يدل على أهميته أن آيات التوحيد أكثر ورودًا في القرآن من آيات الأحكام.

من التقسيم الذي قال به بعضُ أهل العلم أن القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد، وأخبار، وأحكام، وهذه الأقسام عند التحقيق كلها تعود إلى التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "والقرآن فيه من ذِكْر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذِكر الأكل والشُّرب والنكاح في الجنة، والآياتُ المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظمُ قدرًا من آيات المعاد؛ فأعظمُ آيةٍ في القرآن آيةُ الكرسي المتضمنة لذلك...، وأعظم سورةٍ سورةُ أمّ القرآن.. "(٣).

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/٢٩٠-٢٩١.

(٢) العذب النمير من مجالسالشنقيطي في التفسير ٢/٢٥٣.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، (٣/٦١)،

بل إن أغلب آيات الأحكام تختم بذكر أسماء الله وصفاته، والمتدبِّر لكلام الله جل ذكره يجد أن الآياتِ المختومةَ ببعض أسماء الله تعالى لا تنتهي إلا بما يناسِبُها من الأسماء، ولنكتفِ بمثال واحد؛ قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾ [المَائـِدَة: ٣٨ - ٣٩]

قال الأصمعي رحمه الله تعالى: "قرأتُ هذه الآيةَ وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم أي بدلاً من "وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" سهوًا، فقال الأعرابيُّ: كلامُ من هذا؟ قلت: كلامُ الله، قال: أعِدْ، فأعَدْتُ والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلامَ الله، فتنبَّهْتُ، فقلت: "وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" فقال: أصَبْتَ، هذا كلامُ الله، فقلت: أتقرأُ القرآن؟ قال: لا، فقلت: فمن أين علِمْتَ أني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عزَّ فحكَم فقطَع، ولو غفَر ورحِم ما قطَع"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به. ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقته إخلاص الدين كله لله"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "جماع الدين هو عبادة الله وحده، وأعظم الذنوب الشرك، والقرآن مملوء من تعظيم التوحيد بالدعاء إليه والترغيب

---

(١) ذكَر هذه القصة ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره المسمى زاد المسير (تفسير سورة المائدة الآية: ٣٨-٣٩)
(٢) منهاج السنة ٥/٣٤٧.

فيه، وبيان سعادة أهله، وتعظيم الشرك بالنهي عنه والتحذير منه وبيان شقاوة أهله"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها كيف تجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها وأنه المتفرد بذلك الكمال فليس له فيه شبه ولا مثال"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "الله سبحانه نصب الأدلة على التوحيد، وأقام البراهين وأظهر الآيات، وأمرنا أن نشهد الأدلة والآيات، وننظر فيها ونستدل بها، ولا يجتمع هذا الإثبات وذلك النفي البتة، والمخلوقات كلها آيات للتوحيد، وكذلك الآيات المتلوة أدلة على التوحيد"(٣).

٧٤.ومما يدل على أهميته أن التوحيد نور والشرك ظلمات.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧].

فالتوحيد نور يوفق الله له من يشاء من عبادهوقد بيّن الله عَزَّوَجَلَّ أنه أنزل على محمد ﷺ الآيات الواضحات والدلائل الباهرات، وأعظمها القرآن الكريم؛

(١) الرد على الإخنائي صـ ١٧٢..
(٢) كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٣/٩١٦.
(٣) مدارج السالكين ٣/٤٦٥.

ليخرج الناس بإرسال الرسول ﷺ وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة: من ظلمات الضلالة والشرك، والجهل، إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى.

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله في تفسيرها: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. وإنما عنى ب ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ في هذا الموضع، الكفر. وإنما جعل ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ للكفر مثلا لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه.

فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر عن أبصار القلوب.

ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، يعني الجاحدين وحدانيته ﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ﴾، يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾، يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، يعني بـ ﴿ٱلنُّورِ﴾ الإيمان، على نحو ما بينا ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، ويعني بـ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمات الكفر وشكوكه، الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسبله"[١].

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (تفسير سورة البقرة الآية ٢٥٧).

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت:٣٢٠ هـ) رحمه الله: "ثم خص المؤمنين بنور العقل، فجعل مسكنه في الدماغ، وجعل له بابا من دماغه إلى صدره، ليشرق شعاعه بين عيني الفؤاد، ليدبر الفؤاد بذلك النور الأمور، فيميز بين الأمور ما حسن منها وما قبح، ووضع نور التوحيد في باطن هذه البضعة، وهي القلب، وفيه نور الحياة فحيي القلب بالله تبارك وتعالى، وفتح عيني الفؤاد، فأشرق نور التوحيد إلى الصدر من باب القلب، فأبصر عينا الفؤاد بنور الحياة التي فيهما نور التوحيد، فوحد الله عَزَّوَجَلَّ، وعرفه"(١).

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النُّور: ٣٥].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "الله سبحانه هادي أهل السماء وأهل الأرض، فمثل هداه في قلب المؤمن كمثل الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء، كذلك يكون قلب المؤمن يعمل فيه الهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "جاءت النصوص الإلهية في أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات إلى النور"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ومن عقوبات المعاصي أنها توقع الوحشة العظيمة في القلب، فيجد المذنب نفسه مستوحشا، قد وقعت الوحشة

(١) كتاب رياضة النفس ص: ٣٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/٢٢٥.

(٣) مجموع لفتاوى ٢/١٦.

بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، وبينه وبين نفسه. وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "تعوق القلب عن سيره إلى الله وتقطع عليه طريقه ثلاثة أمور:

شرك، وبدعة، ومعصية؛ فيزول عائق الشرك بتجريد التوحيد. وعائق البدعة بتحقيق السنة. وعائق المعصية بتصحيح التوبة"(٢).

قال إسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ) رحمه الله: "واعلم أن التوحيد أفضل الفضائل كما أن الشرك أكبر الكبائر، وللتوحيد نور كما أن للشرك نارًا وأن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين كما أن نار الشرك أحرق لحسنات المشركين، ولكون التوحيد أفضل العبادات وذكر الله أقرب القربات لم يقيد بالزمان والأوقات بخلاف سائر الأعمال من الصيام والصلوات فالخلاص من الضلالة إنما هو بالهداية إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله الحميد"(٣).

٧٥.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو العدل وعليه مدار الأمور كلها.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾

---

(١) جامع الرسائل ١/٢٣٠-٢٣١.

(٢) الفوائد ص: ١٥٤.

(٣) كتاب روح البيان لإسماعيل حقي ٧٢/٧.

[الأَعۡرَاف: ٢٩]. ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لأهل الكتاب: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عِمۡرَان: ٦٤].

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النَّحۡل: ٩٠]

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣ هـ) ﵀: "العدل قول لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والاقتداء بسنة نبيه ﷺ"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والإشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد؛ إذ التوحيد أصل العدل؛ وإرادة العلو مقرونة بالفساد؛ إذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالملزوزين في قرن فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل؛ ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات؛ وهو البر؛ وهو العدل. والذنوب التي فيها تفريط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده هي فساد وظلم؛ ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقا لله تعالى لاجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ؛ إذ ليس كونك عاليا عليه بأولى من كونه عاليا عليك وكلاكما من جنس واحد فالقسط والعدل أن يكونوا إخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك. والتوحيد وإن كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا

---

(١) تفسير التستري صـ ٩٢.

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] ولهذا كان تخصيصهبالذكر في مثل قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأَعْرَاف: ٢٩] لا يمنع أن يكون داخلا في القسط كما أن ذكر العمل الصالح بعد الإيمان لا يمنع أن يكون داخلا في الإيمان كما في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: ٩٨] و﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ [الأَحْزَاب: ٧] هذا إذا قيل: إن اسم الإيمان يتناوله. سواء قيل: إنه في مثل هذا يكون داخلا في الأول فيكون مذكورا مرتين أو قيل: بل عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران. لكن المقصود: أن كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم. ولهذا كان العدل أمرا واجبا في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرما في كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظالما بل الظلم إنما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ﴾ [المَائـِدَة: ٨] أي: لا يحملنكم شنآن أي: بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل؛ ﴿قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المَائـِدَة: ٨ وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النَّحل: ١٢٦] وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشُّورَى: ٤٠]. وقد دل على هذا قوله في الحديث: " ((يا

عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)) فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحد أحدا وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال؛ والأبضاع والأنساب؛ والأعراض"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "فلا أعدل من توحيد الرسل، ولا أظلم من الشرك. فهو سبحانه قائم بالعدل في هذه الشهادة قولا وفعلا، حيث شهد بها وأخبر، وأعلم عباده وبين لهم تحقيقها وصحتها، وألزمهم بمقتضاها، وحكم به، وجعل الثواب والعقاب عليها، وجعل الأمر والنهي من حقوقها وواجباتها.

فالدين كله من حقوقها. والثواب كله عليها. والعقاب كله على تركها. وهذا هو العدل الذي قام به الرب تعالى في هذه الشهادة.

فأوامره كلها تكميل لها. وأمر بأداء حقوقها. ونواهيه كلها صيانة لها عما يهدمها ويضادها.

وثوابه كلها عليها. وعقابه على تركها، وترك حقوقها.

وخلقه السموات والأرض وما بينهما كان بها ولأجلها.

وهي الحق الذي خلقت به المخلوقات. وضدها: هو الباطل والعبث الذي نزه الله نفسه عنه، وأخبر أنه لم يخلق به السموات والأرض.

قال تعالى ردا على المشركين المنكرين لهذه الشهادة ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

(١) مجموع الفتاوى ١٨/١٦٥-١٦٦.

مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ [ص: ٢٧]◉ وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأَحْقَاف: ١ - ٣] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يُونُس: ٥] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الرُّوم: ٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الدُّخَان: ٣٨ - ٣٩] وهذا كثير في القرآن.

والحق الذي خلقت به السموات والأرض، ولأجله: هو التوحيد وحقوقه: من الأمر والنهي. والثواب والعقاب، والشرع والقدر، والخلق، والثواب والعقاب: قائم بالعدل. والتوحيد صادر عنهما. وهذا هو الصراط المستقيم الذي عليه الرب سبحانه وتعالى. قال تعالى حكاية عن نبيه هود أنه قال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ [هُود: ٥٦].

فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وفعله. فهو يقول الحق ويفعل العدل ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأَنْعَام: ١١٥] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأَحْزَاب: ٤].

فالصراط المستقيم الذي عليه ربنا تبارك وتعالى: هو مقتضي التوحيد والعدل.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النَّحل: ٧٦] "(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٨].

تضمنت الآية توحيده وعدله، وعزته وحكمته، فالتوحيد: يتضمن ثبوت صفات كماله، ونعوت جلاله، وعدم المماثل له فيها وعبادته وحده لا شريك له، والعدل يتضمن وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئًا منها إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقا، والعزة تتضمن كمال قدرته وقوته وقهره، والحكمة تتضمن كمال علمه، وخبرته، وأنه أمر ونهى، وخلق وقدر، لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد.

فاسمه العزيز يتضمن الملك، واسمه الحكيم يتضمن الحمد، وأول الآية يتضمن التوحيد، وذلك حقيقة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وذلك أفضل ما قاله رسول الله ﷺ والنبيون من

---

(١) التفسير القيم ص: ١٨٢-١٨٣.

قبله، والحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسنا في نفسه وإذا نهى عن شيء كان قبيحا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقا، وإذا فعل فعلا كان صوابا، وإذا أراد شيئا كان أولى بالإرادة من غيره، وهذا الوصف على الكمال لا يكون إلا لله وحده.

فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة: الدلالة على وحدانيته المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد، والعدل، والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة"(١).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ [اللَّيل: ٦]: "﴿وَصَدَّقَ﴾ أي أوقع التصديق للمخبر ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ أي وهي كلمة العدل التي هي أحسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه"(٢).

فالإسلام يتضمن العدل، وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المتفاضلين من المخلوقات، إذ ذلك من الإسلام لله رب العالمين وحده، فإنه إذا كان الدين كله لله وكانت كلمة الله هي العليا كان الله يأمر بالعدل وينهى عن الظلم. وأصل العدل هو القسط، والقسط هو الإقساط في حق الله تعالى بأن لا يعدل به غيره ولا يجعل له شريك، كما قال النبي ﷺ لمعاذ: «حق الله على عباده أن يعبدوه

(١) مدارج السالكين ٣/٤٢٧..

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (سورة الليل: الآية: ٦).

لا يشركون به شيئا)) فإذا لم يسلموا له بل عدلوا به غيره كان ذلك ظلما عظيما، وإذا فعلوا هذا الظلم في حق الله فهم في حقوق العباد أظلم"(١).

وقيل في بعض المواعظ: "عجبا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي، وعجبا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل"(٢).

٧٦.ومما يدل على أهميته أن التوحيد مركوزٌ في الفِطَر والشرك طارئ ودخيل عليها.

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنَّما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسَب بالإرادة والفعل، ألاَ ترى أنه يقول: ((فأبواه يهوِّدانه))؟ فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكومٌ له بحكم أبويه الكافرين، وهذا معنى قوله ﷺ: ((يقول الله تعالى: إني خلقتُ عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم))، ويحكى معنى هذا عن الأوزاعي، وحماد بن سلمة، وحُكِي عن عبدالله بن المبارك، أنه قال: معنى الحديث: أن كل مولود يولد على فطرته؛ أي: على خلقته التي جُبِل عليها في علم الله تعالى من السعادة أو الشقاوة، فكلٌّ منهم صائرٌ في العاقبة إلى ما فطر عليها، وعامل في الدنيا بالعمل المشَاكِل لها، فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديَّين أو نصرانيَّين، فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما، وقيل: معناه: أن كل مولودٍ يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة؛ أي: على الجبلَّة السليمة

---

(١) الداءوالدواءص:١٨٢.

(٢) أدبالدنياوالدين١/١٢١.

والطبع المتهيِّئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمرَّ على لزومها؛ لأن هذا الدين موجودٌ حسنُه في العقول، وإنَّما يعدل عنه مَن يعدل إلى غيره؛ لآفةٍ من آفات النشوء والتقليد، فلو سَلِم من تلك الآفات لم يعتقد غيره"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فإن النفس خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته. وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك. وهذا كله من فضل الله وإحسانه"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فأخبر أنه فطر عباده على إقامة الوجه حنيفًا، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، فهذه من الحركة الفطرية الطبيعية المستقيمة المعتدلة للقلب، وتركها ظلم عظيم اتَّبع أهلُه أهواءَهم بغير علم، ولا بُدَّ لهذه الفطرة والخلقة وهي صحة الخلقة من قوت وغذاء يمدُّها بنظير ما فيها مما فطرت عليه علمًا وعملاً؛ ولهذا كان تمام الدين بالفطرة المكمَّلة بالشريعة المنزَّلة، وهي مأدُبة الله كما قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: ((إنَّ كل آدبٍ يحبُّ أن تُؤتى مأدُبته، وإن مأدُبَة الله هي القرآن))، ومثله كماءٍ أنزله الله من السماء، كما جرى تمثيله بذلك في الكتاب والسُّنَّة، والمحرِّفون للفطرة المغيِّرون للقلب عن استقامته، هم ممرضون القلوبَ مسقمون لها، وقد أنزل الله كتابه شفاءً لما في الصدور"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فإن صعب عليهم ترك الذنوب

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (الروم: ٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى ٣١٦/١٤.

(٣) "مجموع الفتاوى": (١٤٦/١٠).

فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "فإن الله فَطَرَ القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة به، والسكون إليه ومحبته، وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه والريبة به وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفِطَر على حالها لما آثرت على الحقِّ سواه، ولما سكنت إلاَّ إليه، ولا اطمأنَّت إلا به، ولا أحبَّت غيره"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلومًا بالفطرة السليمة والعقول الصحيحة، والعلم بقبحه أظهر من العلم بقبح سائر القبائح"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١) ﵀: "معرفة الله والشهادة له بالتوحيد، وإثبات أسمائه وصفاته، ورسالة رسله، والبعث للجزاء مسطورة مثبتة في الفطرة"(٤).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) ﵀: "فسدِّد وجهك واستمِرَّ على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكمَّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها،

---

(١) كتاب الفوائد ص: ١٦٩.

(٢) "مدارج السالكين": ٤٧١/٣.

(٣) "إغاثة اللهفان"؛ لابن القيم: ٢٧١/٢، ط دار إحياء الكتب العربية

(٤) مفتاح دار السعادة: ٧٩٨/٢.

فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره؛ كما تقدَّم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأَعْرَاف: ١٧٢]، وفي الحديث: ((إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم))[(١)].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها: قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الرُّوم: ٣٠] ؛ " ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ ؛ أي: انصبه ووجِّهه ﴿لِلدِّينِ﴾ الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان؛ بأن تتوجَّه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ونحوها، وشرائعه الباطنة؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة، بأن تعبد الله فيها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، وخصَّ الله إقامة الوجه؛ لأن إقبال الوجه تبعٌ لإقبال القلب، ويترتَّب على الأمرين سعيُ البدن، ولهذا قال: ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: مُقْبِلاً على الله في ذلك، معرِضًا عمَّا سواه، وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠]، ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها. فإن جميع أحكام الشرع، الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميلَ إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفِطَر، ومَن خرج عن هذا الأصل، فلِعارِضٍ عرض لفطرته أفسدها؛ كما قال النبي ﷺ: ((كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه)). ﴿لَا

---

(١) "تفسير ابن كثير": (الروم: ٣٠).

﴿تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ ؛ أي: لا أحد يبدِّل خلق الله، فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أمرناك به ﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾؛ أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، فإنَّ مَن أقام وجهه للدين حنيفًا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه؛ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الرُّوم: ٣٠] فلا يتعرَّفون الدين القيم، وإن عرفوه لم يسلكوه[١].

قال الشيخ صالح الفوزان: "والنفس بفطرتها إذا تُرِكت كانت مُقِرَّة لله بالإلهية، مُحِبَّةً لله، تعبدُه لا تُشرك به شيئًا، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يُزيِّنُ لها شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا، فالتوحيد مركوزٌ في الفِطَر والشرك طارئ ودخيل عليها"[٢].

٧٧.ومما يدل على أهميته أن حسن التوحيد وقبح الشرك معلومان بالعقل.

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "التوحيد والشرك ضدان، وكلما كان أحد الضدين أشرف وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل، ولما كان التوحيد أشرف الأسماء كان الشرك أخس الأشياء، والآتي بأحد الضدين يكون تاركا للضد الثاني، فالآتي بالتوحيد الذي هو أفضل الأشياء يكون تاركا للشرك الذي هو أخس الأشياء وأرذلها، فلهذا المعنى وصف المصدقين بكونهم متقين"[٣].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "إن شرف الشيء قد يظهر

---

(١) "تفسير السعدي": (الروم: ٣٠).

(٢) "كتاب التوحيد": ص٧، وانظر: "مجموعة رسائل في التوحيد"، ص٢١٧، ط دار العقيدة.

(٣) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (سورة الزمر: الآية: ٣٣).

بواسطة خساسة ضده، فكلما كان ضده شئيًا أخس، كان هو أشرف، ولا شك أن ضد علم الأصول هو الكفر والبدعة، وهما من أخس الأشياء، فوجب أن يكون علم الأصول من أشرف العلوم"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "ذنوب المشركين في نوعين: أمر بما لم يأمر الله به كالشرك، ونهي عما لم ينه الله عنه كتحريم الطيبات. فالأول شرع من الدين لما لم يأذن الله به، والثاني تحريم لما لم يحرمه الله"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "واعلم أنه إن لم يكن حسن التوحيد وقبح الشرك معلومان بالعقل، مستقرا في الفطر، فلا وثوق بشيء من قضايا العقل، فإن هذه القضية من أجل القضايا البديهيات، وأوضح ما ركب الله في العقول والفطر، ولهذا يقول سبحانه عقيب تقرير ذلك أفلا تعقلون أفلا تذكرون وينفي العقل عن أهل الشرك، ويخبر عنهم بأنهم يعترفون في النار: أنهم لم يكونوا يسمعون ولا يعقلون، وأنهم خرجوا عن موجب السمع والعقل، وأخبر عنهم أنهم ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البَقَرَة: ١٧١] وأخبر عنهم أن سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم لم تغن عنهم شيئا، وهذا إنما يكون في حق من خرج عن موجب العقل الصريح والفطرة الصحيحة، ولو لم يكن في صريح العقل ما يدل على ذلك لم يكن في قوله تعالى " انظروا " و " اعتبروا " و " سيروا في الأرض فانظروا " فائدة، فإنهم يقولون: عقولنا لا تدل على ذلك، وإنما هو مجرد

---

(١) عجائب القرآن للرازي صـ ١٦.

(٢) جامع المسائل ٨/٤٥.

إخبارك، فما هذا النظر والتفكر والاعتبار والسير في الأرض؟ وما هذه الأمثال المضروبة، والأقيسة العقلية والشواهد العيانية؟ أفليس في ذلك أظهر دليل على حسن التوحيد والشكر؟

وقبح الشرك والكفر مستقر في العقول والفطر، معلوم لمن كان له قلب حي، وعقل سليم، وفطرة صحيحة؟ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٧] وقال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العَنكَبُوت: ٤٣] وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] وقال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحَج: ٤٦] "(١).

❀ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات؛ لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثاً كما كان، كالكلب إذا دخل البحر، ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة"(٢).

❀ قال ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) رحمه الله: "واتبعْ ما أمرك الشارع به في

(١) مدارج السالكين ٣/٤٥٥. وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٣/٤٥٤) ما نصه: "وقد ذكرنا هذه المسألة مستوفاة من كتاب مفتاح دار السعادة وذكرنا هناك نحوا من ستين وجها، تبطل قول من نفى القبح العقلي".

(٢) زاد المعاد ١/٦٨.

اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك، لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، وأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك رجلٌ رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود"(١).

٧٨.ومما يدل على أهميته أن عبودية التوحيد أسمى المقامات.

قال ابن كثير: "وقد سمى الله رسوله بعبده في أشرف مقاماته فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الكَهْف: ١]
﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجِن: ١٩]
﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإِسْرَاء: ١] فسماه عبدا عند إنزاله عليه وقيامه في الدعوة وإسرائه به"(٢).

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٦٨٨.
(٢) تفسير ابن كثير ١/١٣٦

٧٩.ومما يدل على أهميته أن التوحيد هو الكلمة السواء التي بيننا وبين أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦٤].

قال أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) رحمه الله: "الكلمة السواء"، لا إله إلا الله"[١].

قال مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله: "﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤] كلمة التوحيد: لا إله إلا الله"[٢].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "﴿تَعَالَوْا۟﴾ هلمّوا ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ يعني إلى كلمة عدل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والكلمة العدل: هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا. وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له، كما يسجد لربه. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: اشهدوا بأنا مسلمون"[٣].

---

(١) تفسير الطبري (سورة آل عمران: الآية: ٦٤)، تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٣٨/٦.

(٣) تفسير الطبري (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).



قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] أي: عدل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] يعني: لا إله إلا الله"(١).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤]. الكلمة ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] وما بعده. وقيل: الكلمة لا إله إلا الله. والسواء: النَصَفَة والعدل والقصد"(٢).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة، ومنه سميت القصيدة كلمة (سواء) عدل بيننا وبينكم مستوية، أي أمر مستو يقال: دعا فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ [الصَّافَّات: ٥٥] وإنما قيل للنصفة سواء لأن أعدل الأمور وأفضلها أوسطها سواء نعت لكلمة إلا أنه مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإذا فتحت السين مددت، وإذا كسرت أو ضممت قصرت، كقوله تعالى ﴿مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ [طه: ٥٨] ثم فسر الكلمة فقال: قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] ومحل (أن) رفع على إضمار هي، وقال الزجاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بنزع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلا الله، وقيل: محله خفض بدلاً من الكلمة، أي تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله.

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة: ٣١]

وقال عكرمة (ت: ١٠٥هـ): هو سجود بعضهم لبعض، أي لا نسجد لغير الله، وقيل معناه: لا نطيع أحدا في معصية الله.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] أي فقولوا أنتم يا أمة محمد ﷺ لهم اشهدوا.

قوله تعالى: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] مخلصون بالتوحيد"(١).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "فالمعنى أجيبوا إلى ما دعيتم إليه، وهو الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق. وقد فسرها بقوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] "(٢).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا وَثَنا، ولا صنما، ولا صليبا ولا طاغوتا، ولا نارًا، ولا شيئًا بل نُفْرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

﴿إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبِيَاء: ٢٥]. وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦]. ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤]

وقال ابن جُرَيْج (ت: ١٥٠ هـ): يعني: يطيع بعضنا بعضا في معصية الله.
وقال عكرمة (ت: ١٠٥ هـ): يعني: يسجد بعضنا لبعض.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عِمرَان: ٦٤] أي: فإن تولوا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشْهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم"(١).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) ﷺ: "هذه الآية الكريمة كان النبي ﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ أحياناً في الركعة الأولى من سُنَّة الفجر: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦] ويقرأ بها في الرَّكعة الآخرة من سنَّة الصبح؛ لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد قد اتَّفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الإلهية المبنيّ على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق كلهم في طور البشرية لا يستحقُّ منهم أحدٌ شيئًا من خصائص الرُّبوبية ولا من نعوت الإلهية، فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، المعروف بـ"تفسير السعدي": (آل عمران: ٦٤).

٨٠.ومما يدل على أهميته أن العبادة لا تُسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد.

قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إلَهَ إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ يقول: فأخلص العبادة لي دون كلّ ما عبد من دوني ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ "[١].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: أي: أوحي إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد، والتوحيد محذوف"[٢].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "وقوله﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أوحي إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يقول: لئن أشركت بالله شيئًا يا محمد، ليبطل عملك، ولا تنال به ثوابًا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله"[٣].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: " ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزُّمَر: ٦٥]

---

(١) تفسير الطبري (سورة طه: الآية: ١٤).

(٢) تفسير القرطبي (سورة الزمر: الآية: ٦٥).

(٣) تفسير الطبري (سورة الزمر: الآية: ٦٥).

وهذه كقوله: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٨٨] "[١].

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله: "فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تُسمَّى عبادةً إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة"[٢].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد"[٣].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: " ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت"[٤]..

٨١.ومما يدل على أهميته أن التوحيد إحسان للظن بالله.

قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [فُصِّلَت: ٢٣].

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله قال: "الظنّ ظنان،

(١) تفسير ابن كثير (سورة الزمر: الآية: ٦٥).

(٢) رسالة "القواعد الأربعة" من: "متون العقيدة": ص٨٥، ط دار الآثار.

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص: ٣٦.

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص: ٢٤.

فظنّ منج، وظنّ مُرْدٍ قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٦] قال ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: ٢٠] وهذا الظنّ المنجي ظنا يقينا، وقال ها هنا: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فُصِّلَت: ٢٣] هذا ظنّ مُرْدٍ"[١].

❁ سئل الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ) رحمه الله، كيف يكون سوء الظن بالله؟ قال: الوسوسة، والخوف الدائم من وقوع مصيبة، وترقب زوال النعمة كلها من سوء الظن بالرحمن الرحيم"[٢].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "قال الحسن: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم؛ فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل؛ وأما الكافر والمنافق، فأساءا الظن فأساءا العمل"[٣].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله، ولهذا قال إمام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافَّات: ٨٦ - ٨٧]، وإن كان المعنى: ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به، وقد عبدتم معه غيره، وجعلتم له ندا؟ فأنت تجد تحت هذا التهديد: ما ظننتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره؟

---

(١) تفسير الطبري (سورة فصلت الآية: ٢٣).

(٢) حلية الأولياء ٩/١٢٣.

(٣) تفسير الطبري (سورة فصلت الآية: ٢٣).

فإن المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عون، وهذا أعظم التنقيص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته، وإما أن يظن أنه سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشريك، وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة، أو لايرحم حتى تجعله الواسطة يرحم، أو لا يكفي وحده، أو لا يفعل ما يريد بالعبد حتى يشفع عنده الواسطة، كما يشفع المخلوق عند المخلوق، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع وانتفاعه به، وتكثره به من القلة، وتعززه به من الذلة، أو لا يجيب دعاء عباده، حتى يسألوا الواسطة أن ترفع تلك الحاجات إليه، كما هو حال ملوك الدنيا، وهذا أصل شرك الخلق، أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم، حتى ترفع الوسائط إليه ذلك، أو يظن أن للمخلوق عليه حقا؛ فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه، ويتوسل إليه بذلك المخلوق، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا يمكنهم مخالفته.

وكل هذا تنقص للربوبية، وهضم لحقها، ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك؛ بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به، فينقص ويضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء؛ بسبب صرف أكثره أو بعضه إلى من عبده من دونه.

فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته ألا يغفره، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم، ويجعله أشقى البرية، فلا تجد مشركا قط إلا وهو متنقص لله

سبحانه، وإن زعم أنه يعظمه بذلك"(١).

وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفَتْح: ٦].

قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا الظن به لوحدوه حق التوحيد"(٢).

٨٢.ومما يدل على أهميته أن التوحيد أول الحقوق.

قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

قال عبدالرحمن بن قاسم (ت: ١٣٩٢ هـ) رحمه الله " قوله ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: "وتسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة، وابتداؤه تعالى بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك أدل دليل على أنه هو أهمها. فإنه لا يبدأ إلا بالأهم فالأهم. فدلت على أن التوحيد أوجب الواجبات"(٣).

فتسمية هذه الآية بآية الحقوق العشرة لأنها جمعت عشرة حقوق أولها حق الله

---

(١) إغاثة اللهفان ١/١٠٣-١٠٤.

(٢) إغاثة اللهفان ١/١٠٣.

(٣) حاشية الأصول الثلاثة ص ٣٤.

تعالى وهو التوحيد، وحق الوالدين، وحق ذي القربى، وحق اليتامى، وحق المساكين، وحق الجار ذي القربى، وحق الجار الجنب، وحق الصاحب، وحق ابن السبيل، وحق ملك اليمين وتلك هي عشرة حقوق"(١).

٨٣.ومما يدل على أهميته أن التوحيد نظامه القدر.

عَنِ ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﵄، قَالَ: "الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، نَقْضَ التَّوْحِيدَ"(٢).

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) ﵀: "فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ للذى رفع صوته بلا إله إلا الله، ((ألا أدلك على كنز الجنة)). فقال: ((لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا إله إلا الله تغنى عن غيرها، وهى المنجية من النار؟))(٣)، فالجواب: أن النبي ﷺ كان معلما لأمته، وكان لا يراهم على حالة من الخير، إلا أحب لهم الزيادة عليها فأحب للذى رفع صوته بكلمة الإخلاص والتوحيد أن يردفها بالتبرؤ من الحول والقوة لله تعالى وإلقاء القدرة

---

(١) منهم من صنف فيها وسمى كتابه باسمها مثل كتاب آية الحقوق العشرة من تأليف الدكتور عقيل عبد الرحمن العقيل وكتاب آية الحقوق العشرة من تأليف سليمان ابراهيم اللاحم.

(٢) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، تحت رقم (٩٢٥، ٩٢٨)، القدر للفريابي تحت رقم (٢٠٥)، والشريعة للآجري صـ ١٩٧، وابن بطة في: الإبانة تحت رقم (١٦١٨، ١٦١٩)، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي تحت رقم (١١١٢-١٢٢٤). ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٣٠٣)، وابن ماجه (٣٨٢٥)، وأحمد (٢١٢٩٨) باختلاف يسير، والكلاباذي في ((بحر الفوائد)) (ص٢٨٦) واللفظ له.

إليه، فيكون قد جمع مع التوحيد الإيمان بالقدر"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "لا بد من الإيمان بالقدر فإن الإيمان بالقدر من تمام التوحيد كما قال ابن عباس ﵄: هو نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله، وكذب بالقدر نقض توحيده"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﵀: "وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس ﵄: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد"[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "إن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه"[٤].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﵀: "والذي دل عليه قول ابن مسعود ﵁، وهو قول الصحابة كلهم وأئمة السنة من التابعين ومن بعدهم هو إثبات القدر الذي هو نظام التوحيد؛ إثبات فعل العبد الاختياري، الذي هو نظام الأمر والنهي، وهو متعلق المدح والذم والثواب والعقاب والله أعلم"[٥].

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٣٩/١٠.
(٢) مجموع الفتاوى ١١٣/٣.
(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٦٥).
(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٦١).
(٥) حاشيته على تهذيب السنن (١٠٥/٦).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "النبي ﷺ أرشد الأمة في القدر إلي أمرين هما سببا السعادة:

الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع.

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر؛ فأبى المنحرفون إلا القدح بإنكاره في أصل التوحيد، أو القدح بإثباته في أصل الشرع، ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر.

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والنبي ﷺ شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: ((أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز))[١]. وإن العاجز من لم يتسع للأمرين"[٢].

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد كما أن الإيمان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره هي نظام الشرع، ولا ينتظم أمر الدين ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع، كما قرر النبي ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لمن قال له: "أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له))[٣]، فمن نفى القدر

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) شفاء العليل ١/٢٦.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

زاعما منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته وجعل العبد مستقلا بأفعالهخالقا لها، فأثبت مع الله تعالى خالقا، بل أثبت أن (جميع المخلوقين خالقون)، ومن أثبته محتجا به على الشرع محاربا له به نافيا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها وكلفه بحسبها زاعما أن الله كلف عباده ما لا يطاق، كتكليف الأعمى بنقط المصحف، فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وكان إمامه في ذلك إبليس لعنه الله تعالى إذ يقول: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأَعْرَاف: ١٦] وأما المؤمنون حقا فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله خالق ذلك كله، وينقادون للشرع أمره ونهيه ويحكمونه في أنفسهم سرا وجهرا، والهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النَّجْم: ٣٠] وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركا على القدر، وإنما يعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب، فإذا وفقوا لحسنه عرفوا الحق لأهله فقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأَعْرَاف: ٤٣] ولم يقولوا كما قال الفاجر: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القَصَص: ٧٨] وإذا اقترفوا سيئة قالوا كما قال الأبوان: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأَعْرَاف: ٢٣] ولم يقولوا كقول الشيطان الرجيم: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحِجْر: ٣٩] وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٦] ولم يقولوا كما قال الذين كفروا: ﴿وَقَالُوا۟

لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٦] "[١].

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة صـ ٩١-٩٢.



ثمرات التوحيد

١. من ثمراته أن التوحيد سببٌ في منع وقوع النفوس في العلو وحب الرئاسة.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون غير أن فرعون قدر فأظهر. وغيره عجز فأضمر. وذلك: أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف نفسه والناس وسمع أخبارهم: رأى الواحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب قدرته. فالنفس مشحونة بحب العلو والرياسة بحسب إمكانها فتجد أحدهم يوالي من يوافقه على هواه ويعادي من يخالفه في هواه. وإنما معبوده: ما يهواه ويريده.

قال تعالى ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفُرْقَان: ٤٣] "(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فمن كان من المطاعين من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك متبعا للرسل: أمر بما أمروا به. ودعا إلى ما دعوا إليه. وأحب من دعا إلى مثل ما دعا إليه. فإن الله يحب ذلك. فيحب ما يحبه الله تعالى. وهذا قصده في نفس الأمر: أن تكون العبادة لله تعالى وحده وأن يكون الدين كله لله.

وأما من كان يكره أن يكون له نظير يدعو إلى ذلك: فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود. فله نصيب من حال فرعون وأشباهه. فمن طلب أن يطاع دون

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣٢٧.

الله: فهذا حال فرعون. ومن طلب أن يطاع مع الله: فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادايحبونهم كحب الله. والله سبحانه وتعالى أمر: أن لا يعبد إلا إياه وأن لا يكون الدين إلا له وأن تكون الموالاة فيه والمعاداة فيه. وأن لا يتوكل إلا عليه ولا يستعان إلا به.

فالمؤمن المتبع للرسل: يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل ليكون الدين كله لله لا له. وإذا أمر أحد غيره بمثل ذلك: أحبه وأعانه وسر بوجود مطلوبه. وإذا أحسن إلى الناس فإنما يحسن إليهم: ابتغاء وجه ربه الأعلى. ويعلم أن الله قد من عليه بأن جعله محسنا ولم يجعله مسيئا فيرى أن عمله لله وأنه بالله. وهذا مذكور في فاتحة الكتاب التي ذكرنا أن جميع الخلق محتاجون إليها أعظم من حاجتهم إلى أي شيء. ولهذا فرضت عليهم قراءتها في كل صلاة دون غيرها من السور ولم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها. فإن فيها ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَةِ: ٥]. فالمؤمن يرى: أن عمله لله لأنه إياه يعبد وأنه بالله. لأنهإياه يستعين. فلا يطلب ممن أحسن إليه جزاء ولا شكورا. لأنه إنما عمل له ما عمل لله كما قال الأبرار ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسَان: ٩] ولا يمن عليه بذلك ولا يؤذيه. فإنه قد علم أن الله هو المان عليه إذ استعمله في الإحسان. وأن المنة لله عليه وعلى ذلك الشخص. فعليه هو: أن يشكر الله. إذ يسره لليسرى. وعلى ذلك: أن يشكر الله. إذ يسر له من يقدم له ما ينفعه من رزق أو علم أو نصر أو غير ذلك. ومن الناس: من يحسن إلى غيره ليمن عليه أو يرد الإحسان له بطاعته

إليه وتعظيمه أو نفع آخر. وقد يمن عليه. فيقول: أنا فعلت بك كذا. فهذا لم يعبد الله ولم يستعنه. ولا عمل لله ولا عمل بالله. فهو المرائي. وقد أبطل الله صدقة المنان وصدقة المرائي. قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البَقَرَةِ: ٢٦٤] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٦٥] "(١).

٢. من ثمراته أن التوحيد جزاؤه الإحسان من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرَّحْمَٰن: ٦٠].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما والمفسرون: هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة"(٢).

❁ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وحكى النقاش أن النبي ﷺ فسر هذه الآية: «هل جزاء التوحيد إلا الجنة»"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣٢٨-٣٣٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٤٦٦؛ تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الرحمن الآية: ٦٠).

(٣) تفسير ابن عطية (سورة الرحمن الآية: ٦٠)، ٥/٢٣٤.

٣. من ثمراته أن التوحيد سببٌ في حلول البركة:

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأَعْرَاف: ٩٦]

قال الشيخ السعدي: "لما ذكر تعالى أنَّ المكذِّبين للرسل يبتلون بالضَّرَّاء موعظة وإنذارًا، وبالسَّرَّاء استدراجًا ومكرًا، ذكر أن أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيمانًا صادقًا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهرًا وباطنًا بترك جميع ما حرّم الله لفتح عليهم بركات السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارًا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمُهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كدٍّ ولا نَصَب، ولكنَّهم لم يؤمنوا ويتقوا: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلاَّ فلو آخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الرُّوم: ٤١] (١).

٤. من ثمراته أن التوحيد يجعل النفوس سماوية علوية.

قال عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري: (ت: ٣٥٢هـ) ﷺ: "أوثق عملي في نفسي ملامة صدري، إني آوي إلى فراشي ولا يأوي إلى صدري غائلة لمسلم"(٢)

---

(١) "تفسير السعدي": ص٢٩٨.

(٢) الصلة لابن بشكوال ١/٢٣٧.

قال ابن القيم: "النفوس ثلاثة:

نفس سماوية علوية: فمحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل والكمالات الممكنة للإنسان، واجتناب الرذائل، وهي مشغوفة بما يقربها من الرفيق الأعلى وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤها فاشتغالها بغيره هو داؤها.

ونفس سبعية غضبية: فمحبتها منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل فلذتها في ذلك وشغفها به.

ونفس حيوانية شهوانية: فمحبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب والمنكح وربما جمعت الأمرين فانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض والفسادكما قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: ٤].

والحب في هذا العالم دائر بين هذه النفوس الثلاثة، فأي نفس منها صادفت ما يلائم طبعها استحسنته ومالت إليه ولم تصغ فيه لعاذل ولم تأخذها فيه لومة لائم"(١).

قال الإمام ابن القيم ﷺ: "فالقلب الطاهر لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن، ولا يتغذَّى إلا بحقائقه، ولايتداوى إلا بأدويته"(٢).

---

(١) روضة المحبين ٢٥٨/١.

(٢) إغاثة اللهفان ٥٥/١.

٥. من ثمراته أن التوحيد لا يقبل من قلب الموحد أن يكون لغير الله.

قال ابن القيم: "وكما أن السماوات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا كما قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٢] فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادًا لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه"(١).

٦. من ثمراته أن التوحيد طهر لصاحبه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]

قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ): "التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب"(٢).

قال مقاتل بن حيان (ت: في حدود ١٥٠ هـ) رحمه الله: "يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك"(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الوَاقِعَة: ٧٧ - ٧٩].

قال طلق بن حبيب (ت: قبل سنة ١٠٠ هـ) رحمه الله: "إن حقوق الله تعالى

---

(١) إغاثة اللهفان ١/٤٩.

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البقرة. الآية: ٢٢٢).

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البقرة. الآية: ٢٢٢).

أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين"(١).

❁ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "المؤمن على طهارة التوحيد من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأَعْرَاف: ١٧٢] غير أنه لما خالط أوساخ الهوى تدنست ثياب، وليس لها تنظف إلا بماء العلم في بيت العزلة"(٢).

❁ قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ): "قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإِسْرَاء: ٧٠] فإذا كان الأصل فيه كونه مكرمًا، كان كونه مطهرًا على وفق الأصل، وكونه منسجما على خلاف الأصل، ثم إنا رأينا الإنسان متى أشرك صار نجسًا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التَّوْبَة: ٢٨]۞ فإذا كان الشرك يقتضي كونه نجسًا مع ذلك خلاف الأصل، فكونه موحدًا بأن يقتضي كونه طاهرًا أولى، لأنه على وفق الأصل. وإذا ثبت أن الموحد كامل في كونه طاهرًا وجب أن يكون من خواص الله تعالى، لقوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النُّور: ٢٦] "(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهرون فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة. وإذا كان المَلَك لا يدخل بيتًا فيه كلب، فالمعاني التي تحبها الملائكة لا تدخل قلبًا فيه أخلاق الكلاب المذمومة"(٤).

---

(١) حلية الأولياء ٣/٦٥.

(٢) كتاب اللطائف صـ. ٢٩

(٣) عجائب القرآن صـ. ٤٤-٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى (٥/٥٥٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "فنجد كثيرًا من المتفقهة والمتعبدة، إنما همته طهارة البدن فقط، ويزيد فيها على المشروع اهتماما وعملا. ويترك من طهارة القلب ما أمر به؛ إيجابا، أو استحبابا، ولا يفهم من الطهارة إلا ذلك. ونجد كثيرا من المتصوفة والمتفقرة، إنما همته طهارة القلب فقط؛ حتى يزيد فيها على المشروع اهتماما وعملا؛ ويترك من طهارة البدن ما أمر به إيجابا، أو استحبابا.

فالأولون يخرجون إلى الوسوسة المذمومة في كثرة صب الماء، وتنجيس ما ليس بنجس، واجتناب ما لا يشرع اجتنابه مع اشتمال قلوبهم على أنواع من الحسد والكبر والغل لإخوانهم، وفي ذلك مشابهة بينة لليهود.

والآخرون يخرجون إلى الغفلة المذمومة، فيبالغون في سلامة الباطن حتى يجعلون الجهل بما تجب معرفته من الشر –الذي يجب اتقاؤه من سلامة الباطن، ولا يفرقون بين سلامة الباطن من إرادة الشر المنهي عنه، وبين سلامة القلب من معرفة الشر المعرفة المأمور بها ثم مع هذا الجهل والغفلة قد لا يجتنبون النجاسات، ويقيمون الطهارة الواجبة مضاهاة للنصارى.

وتقع العداوة بين الطائفتين بسبب ترك حظ مما ذكروا به والبغي الذي هو مجاوزة الحد إما تفريطا وتضييعا للحق، وإما عدوانا وفعلا للظلم. والبغي تارة يكون من بعضهم على بعض وتارة يكون في حقوق الله، وهما متلازمان"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀ "دلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرامٌ على القلب المتلوث بنجاسة

---

(١) مجموعالفتاوى ١/١٥-١٦.

البدع والمخالفات أن ينال معانيَه، وأن يفهمه كما ينبغي"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷺ: "إن الطهر طهران: طهر بالماء من الأحداث والنجاسات، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷺ: "للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل. فكل وقت عصيت الله فيه، أو مال عصي الله به، أو بدن، أو جاه، أو علم، أو عمل، فهو على صاحبه، ليس له. فليس عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله إلا ما أطاع الله به"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷺ: "ذِكرُ الله، والإقبالُ عليه، والإنابةُ إليه، والفزعُ إلى الصلاة، كم قد شُفِيَ به من عليلٍ، وكم قد عُوفِيَ به من مريض"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷺ: "ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار؛ فقد هُدي لأعظم الشيم"(٥).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) ﷺ: "من أسباب دواعي الإيمان: الإكثار من ذكر الله كل وقت، ومن الدعاء الذي هو مخ العبادة؛ فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها وينميها"(٦)..

(١) التبيان في أيمان القرآن٢٣.
(٢) بدائع الفوائد ١٣٥.
(٣) الجواب الكافي ٢٠٣/١.
(٤) مفتاح دارالسعادة ٢٥٠/١.
(٥) إغاثة اللهفان ٩٥٤/٢.
(٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٧٨.

(

٧. من ثمراته أن السعادة تنال بالتوحيد.

قال ابن حزم (ت: ٣٨٤ هـ) رحمه الله: "كل أملٍ ظفرت به فعقباه حزنٌ؛إما بذهابه عنكوإما بذهابك عنه، ولابد من أحد هذين السبيلين.

إلا العمل لله عَزَّوَجَلَّ، فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل؛أما في العاجل، فقلة الهم بما يهتم به الناس، وأنك به معظم من الصديق والعدو، وأما في الآجل فالجنة"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "في القرآن في مواضع يبين أن الرسل أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه وأنأهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين هم أهل الشقاوة ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر فالثلاثة متلازمة"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل

---

(١) الأخلاق والسير ٧٥.

(٢) منهاج السنة ٣٤٧/٥.

(٣) مجموع الفتاوى (٥٥/١٨-٥٦).

محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل: لا إله إلا الله، ولهذا بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب، ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا، كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧] أي لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد، والإيمان. وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] "(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ويكون أحب إليها مما سواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيا معذبا كما هو حال الكافرين.

فالله تبارك خلق هذا الإنسان وركبه من الجسد والروح وشاء أن يكون خلق الجسد من التراب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحَج: ٥] وجعل قوام الجسد وحياته من التراب، فهو يأكل ويشرب ويكتسي من الأرض وما فيها، وجعل في هذا الجسد الروح، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ /٣٢).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٦/٢٩.

رُّوحِي﴾ [الحِجْر: ٢٩] وشاء أن يكون قوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته، فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه ودوام ذكره والسعي في مرضاته، لذلك فإن من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هوالكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل وقامت السموات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ولأجله شرعت الشرائع، وأسست الملة، ونصبت القبلة، وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارهما عليه.

وهو بحق أفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "السعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم، ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله، لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله، لا منهم"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "لا يزول فقر العبد وفاقته إلا

(١) الفتوى الحموية ص: ٢٨-٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٥١/١.

بالتوحيد، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار؛ حصل للعبد غناه، وسعادته، وزال عنه ما يعذبه"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وهو أكبر من كل شيء، وهو المستحق للتحميد والتنزيه، هو متصف بذلك كله في نفس الأمر. فالعباد لا يثبتون له بكلامهم شيئًا لم يكن ثابتا له، بل المقصود بكلامهم تحقيق ذلك في أنفسهم، فإنهم يسعدون السعادة التامة، إذاصار أحدهم ليس في نفسه إله إلا الله خلص من شرك المشركين"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وَأَمَّا الْحُزْنُ فَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهُ فِي مَوَاضِعَ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِأَمْرِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَة: ٤٠] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦] ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحَدِيد: ٢٣].

وَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ لَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ، نَعَمْ وَلَا يَأْثَمُ بِهِ صَاحِبُهُ إذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِحُزْنِهِ مُحَرَّمٌ

---

(١) مجموع الفتاوى (١/٥٩).

(٢) مدارج السالكين ١/٤٣١.

(٣) جامع المسائل لابن تيمية ٣/٢٧٨-٢٧٩.

وَقَدْ يَقْتَرِنُ الْحُزْنُ بِمَا يُثَابُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ وَيُحْمَدُ عَلَيْهِ فَيَكُونُ مَحْمُودًا مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ لَا مِنْ جِهَةِ الْحُزْنِ، كَالْحَزِينِ عَلَى مُصِيبَةٍ فِي دِينِهِ وَعَلَى مَصَائِبِ الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا، فَهَذَا يُثَابُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ وَبُغْضِ الشَّرِّ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْحُزْنَ عَلَى ذَلِكَ إذَا أَفْضَى إلَى تَرْكِ مَأْمُورٍ مِنْ الصَّبْرِ وَالْجِهَادِ وَجَلْبِ مَنْفَعَةٍ وَدَفْعِ مَضَرَّةٍ نُهِيَ عَنْهُ وَإِلَّا كَانَ حَسْبَ صَاحِبِهِ رُفِعَ الْإِثْمُ عَنْهُ مِنْ جِهَةِ الْحُزْنِ، وَأَمَّا إذَا أَفْضَى إلَى ضَعْفِ الْقَلْبِ وَاشْتِغَالِهِ بِهِ عَنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ كَانَ مَذْمُومًا وَمَرْدُودًا عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ وَإِنْ كَانَ مَحْمُودًا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى"(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحدا إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد. "(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية٢/٢٧٧.

(٢) الفوائد ص: ٢٠٢.

سبحانه وتعالى رسله عليهم الصلاة والسلام وإليهما رغب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم، من أولهم إلى آخرهم.

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به ربا وإلها ووليا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما: سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ المتضمنة للتوحيد الخبري العلمي.

فسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال، وسورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فيها إيجاب عبادته وحده، والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والوتر، اللتين هما فاتحة العملوخاتمته، ليكون مبدأ النهار توحيدا وخاتمته توحيدا"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فالنعمة المطلقة: هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة، وهي النعمة التي أمرنا الله سبحانه أن نسأله

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/٨٤-٨٦.

في صلواتنا؛ أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النِّسَاء: ٦٩]. فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها"[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل"[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاحهم هي معرفة الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وهي حقيقة قول العبد لا اله إلا الله وبها بعث الرسل ونزلت جميع الكتب ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك"[٤].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/٣.

(٢) الفوائد: ص: ٢٠٢.

(٣) الصواعق المرسلة "١/٣٦٥-٣٦٧.

(٤) مفتاح دار السعادة ٢/١٢٠.

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧ هـ) رحمه الله: "هي سبيل السعادة في الدارين أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة"(١)..

٨. من ثمراته أن التوحيد يرسخ في الإنسان أنه عبد لله وأنه إليه راجع وهذا معنى إنا لله وإنا إليه راجعون.

❀ قال الحسين بن علي (ت: ٦١ هـ) رضي الله عنهما: "من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له"(٢).

❀ قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧ هـ) رحمه الله لرجل: كم أتت عليك ؟ قال: ستون سنة. قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال الفضيل: أتعرف تفسيره؟ تقول: أنا لله عبد.. وإليه راجعفمن علم أنه لله عبد.. وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف.. ومن علم أنه موقوف.. فليعلم أنه مسؤول. ومن علم أنه مسؤول.. فليعد للسؤال جوابا. فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة. فقال الرجل: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي.. يغفر لك ما مضفإنك إن أسأت فيما بقي.. أخذت بما مضى وبما بقي"(٣).

❀ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئا فما دان الله دينا،

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ الحكمي. ص ٢٢١.
(٢) مدارج السالكين ٢/١٧٥.
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/٣٨٣.

ومن لا دين له فهو كافر"(١).

قال إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله: "المقصد الشرعي مِن وضْع الشريعة هو إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد الله اضطراراً"(٢).

.

٩. من ثمراته أن التوحيد يورث المحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء وتوابع ذلك.

قال عمر (ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه في وصيته: "وشاور في أمورك الذين يخشون الله تعالى"(٣).

قال الحافظ عبيد الله بن أبي جعفر (ت: ١٣٤ هـ) رحمه الله: "ما استعان عبد على دينه بمثلالخشية من الله"(٤).

قال أبو علي الجوزجاني (ت: في القرن الرابع للهجرة) رحمه الله: "ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف، والرجاء، والمحبة"(٥).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "التوحيد للخالق بالرغبة إليه والرجاء له، والتوكل عليه، والحب له ...فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة

---

(١) شرح العمدة ٢/٨٦.

(٢) الموافقات ٢/١١٤.

(٣) قوت القلوب ١/٣٤٥، مجمع الأمثال للميداني ١/٣٧٤.

(٤) سير أعلام النبلاء، (٦/٩).

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (٢/٧٣).

المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرّب إليه بما يحبّه، ولا تتمّ محبّة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبِيَاء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السَّجْدَة: ١٦] ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ ومحبوبه لَا يفعل مَا يبغضه الْحق ويسخطه من الْكفْر والفسوق والعصيان"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "مرض القلب يكون بالحب والبغض الخارجين عن الاعتدال، وهي الأهواء التي قال الله فيها: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القَصَص: ٥٠] وقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الرُّوم: ٢٩] "(٥).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ،

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٣٢.

(٣) الفتاوى الكبرى ٥/٢٢٠.

(٤) العبودية (١/١١٣).

(٥) مجموع الفتاوى ١٠/١٤٣.

ومحبوبه لَا يفعل مَا يبغضه الْحق ويسخطه من الْكفْر والفسوق والعصيان"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وقال الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦﴾ [الزُّخْرُف: ٢٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزُّخْرُف: ٢٧] والبراءة ضد الولاية وأصل البراءة البغض وأصل الولاية الحب وهذا لأن حقيقة التوحيد ألا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله لله فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥]"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الحنيفية: هي الاستقامة بإخلاص الدين لله وذلك يتضمن حبه تعالى والذل له لا يشرك به شيئا لا في الحب ولا في الذل فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل وذلك لا يستحقه إلا الله وحده وكذلك الخشية والتقوى لله وحده والتوكل على الله وحده"(٣).

قال ابن القيم: (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة، والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجي سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب

---

(١) العبودية ١/١١٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/٤٦٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/٤٦٦.

إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا بإسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣﴾ [المَعَارِج: ٣٣] "[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فَاطِر: ٢٨] أي العلماء به، وقال النبي ﷺ: ((أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية))[٢]"[٣].

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "إنّ تحقق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصدقه فيها، وإخلاصه بها يقتضي أن يرسخ فيه تألّه الله وحده، إجلالاً، وهيبة، ومخافة، ومحبة، ورجاء، وتعظيماً، وتوكلاً، ويمتلئ بذلك، وينتفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين، ومتى كان كذلك، لم يبق فيه محبة، ولا إرادة، ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه، وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفوس وإراداتها، ووساوس الشيطان، فمن أحبّ شيئاً وأطاعه، وأحبّ عليه وأبغض

---

(١) زاد المعاد ٢/٢٢.

(٢) رواه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦). بلفظ: ((إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية)). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) روضة المحبين (ص: ٤٠٦).

عليه فهو إلهه، فمن كان لا يحبّ ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي ولا يعادي إلا له، فالله إلهه حقّاً، ومن أحبّ لهواه، وأبغض لهواه، ووالى عليه، وعادى عليه، فإلهه هواه"(١).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "رقة القلوب تنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب الغفلة عنه"(٢).

قال محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣هـ) رحمه الله: "قوله ((أفضل الذكر لا إله إلا الله)) لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء وهي الفارقة بين الكفر والإيمان ولأنها أجمع للقلب مع الله وأنفى للغير وأشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من خبث النفس وأطرد للشيطان"(٣).

١٠. التوحيد مقرون بالعدل والعزة والحكمة في منهج السلف.

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "الحمد معناه الثناء الكامل، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، وهو أعم من الشكر، لأن الشكر إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر، وشكره حمد ما، والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئا، فالحامد من

---

(١) جامع العلوم والحكم، ١/٥٢٤.

(٢) لطائف المعارف ١ /١٣.

(٣) تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ٩/٢٢٩.

الناس قسمان: الشاكر والمثني بالصفات"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وعلى مذهب السلف: له الملك وله الحمد تامين. وهو محمود على حكمته كما هو محمود على قدرته ورحمته. وقد قال ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عِمْرَان: ١٨] فله الوحدانية في إلهيته وله العدل وله العزة والحكمة. وهذه الأربعة إنما يثبتها السلف وأتباعهم. فمن قصر عن معرفة السنة فقد نقص الرب بعض حقه. والجهمي الجبري لا يثبت عدلا ولا حكمة ولا توحيد إلهية. بل توحيد ربوبيته. والمعتزلي أيضا لا يثبت في الحقيقة توحيد إلهية ولا عدلا في الحسنات والسيئات ولا عزة ولا حكمة في الحقيقة وإن قال: إنه يثبت الحكمة بما معناها يعود إلى غيره. وتلك لا يصلح أن تكون حكمة من فعل لا لأمر يرجع إليه بل لغيره هو عند العقلاء قاطبة بها ليس بحكيم بل سفيه. وإذا كان الحمد لا يقع إلا على نعمة فقد ثبت: أنه رأس الشكر. فهو أول الشكر. والحمد وإن كان على نعمته وعلى حكمته فالشكر بالأعمالهو على نعمته. وهو عبادة له لإلهيته التي تتضمن حكمته. فقد صار مجموع الأمور داخلا في الشكر. ولهذا عظم القرآن أمر الشكر. ولم يعظم أمر الحمد مجردا إذ كان نوعا من الشكر. وشرع الحمد الذي هو الشكر المقول أمام كل خطاب مع التوحيد. ففي الفاتحة: الشكر والتوحيد. والخطب الشرعية لا بد فيها من الشكر والتوحيد. والباقيات الصالحات نوعان.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٦٦.

فسبحان الله وبحمده: فيها الشكر والتنزيه والتعظيم. ولا إله إلا الله. والله أكبر: فيها التوحيد والتكبير. وقد قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غَافِر: ٦٥] "(١).

١١. التوحيد مورث لخشية الله تعالى.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فَاطِر:٢٨]

قال مطرف بن عبد الله الشخير (ت: ٩٥ هـ) ﵀: "لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا؛ أحب إلي من أن أبيت قائمًا فأصبح معجبًا"(٢).

قال أحمد بن صالح الأنطاكي ﵀: "من كان بالله أعرف؛ كان له أخوف"(٣).

قال عبدالله بن المبارك (ت: ١٨١ هـ) ﵀: "إن البُصَرَاء لا يأمنون من أربع: ذنبٍ قد مضى؛ لا يُدرَى ما يصنع فيه الربُّ عَزَّوَجَلَّ، وعمرٍ قد بقي؛ لا يُدرى ما فيه من الهَلَكةِ، وفضل قد أُعطي العبدُ؛ لعله مكرٌ واستدراجٌ، وضلالة قد زُيِّنت؛ يراها هدىً، وزيغِ قلب ساعة؛ فقد يُسلب المرءُ دينه ولا يشعر"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ): ﵀ "ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣٠٩-٣١١.
(٢) الزهد، لعبد الله بن المبارك، (ص ١٥١).
(٣) بغية الطالب ٢/٨٥٠.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٦.

في قلبه، كما ذكروا أن رجلًا شكى إلى الإمام أحمد بن حنبل ﷀ خوفه من بعض الولاة، فقال: لو صححت لم تخف أحدًا، أي: خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ): ﷀ: "المشرك يخاف المخلوقين، ويرجوهم، فيحصل له رعب كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عِمْرَان: ١٥١] والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأَنْعَام: ٨٢] وقد فسر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﷀ: "من خاف من الله خاف منه كل شيء، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﷀ: "فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه. وخرج من قلبه اهتمامه به، واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلا، واشتغالا به عن غيره"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﷀ: "إنك إن تبيت نائما وتصبح نادما؛

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٤٤٨.
(٢) الفتاوى الكبرى ٥/٢٣٢.
(٣) بدائع الفوائد ٢/٢٧٤.
(٤) التفسير القيم ص: ٦٥٦.

خير من أن تبيت قائما وتصبح معجبا، فإن المعجب لا يصعد له عمل. وإنك إن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل. وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين. ولعل الله سقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلا هو فيك ولا تشعر"(١).

١٢.من ثمراته أنه كلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه.

قال الإمام ابن حبان: "الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وهو قرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جَلَّوَعَلَا من صحة قلبه حتى كان الله جَلَّوَعَلَا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده، إلا لم يكله الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب"(٢).

قال ابن تيمية: "والعبد إذا أنعم الله عليه بالتوحيد فشهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه، والإله هو المعبود الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالإجلال والإكرام والخوف والرجاء يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه ودعائه والتوكل عليه وسؤاله عما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواهحلاه الله بالأمن والسرور والحبور والرحمة للخلق؛ والجهاد في سبيل الله؛ فهو يجاهد ويرحم. له الصبر والرحمة قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البَلَد:١٧]

---

(١) مدارج السالكين، (١/١٧٧).

(٢) روضة العقلاء – صفحة (٢٠٩).

وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه.

والخوف الذي يحصل في قلوب الناس هو الشرك الذي في قلوبهم قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٥١]. وكما قال الله جل جلاله في قصة الخليل عليه السلام ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِ﴾ [الأَنۡعَام: ٨٠] إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأَنۡعَام: ٨٢]. وفي الحديث الصحيح: "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلةتعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش"(١).

فمن كان في قلبه رياسة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك. فلما خوفوا خليله بما يعبدونه ويشركون به الشرك الأكبر كالعبادة قال الخليل: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَـٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأَنۡعَام: ٨١] يقول: إن تطيعوا غير الله وتعبدوا غيره وتكلمون في دينه ما لم ينزل به سلطانا: فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ أي تشركون بالله ولا تخافونه وتخوفوني أنا بغير الله فمن ذا الذي يستحق الأمن إلى قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأَنۡعَام: ٨٢] أي: هؤلاء الموحدون المخلصون؛ ولهذا قال الإمام أحمد لبعض الناس: لو صححت لم تخف أحدا"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨ /٣٦).

وقال ابن تيمية: "فالتوحيد والإشراك يكون في أقوال القلب، ويكون في أعمال القلب؛ ولهذا قال الجنيد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب أراد بذلك التوحيد الذي هو التصديق، فإنه لما قرنه بالتوكل جعله أصله، وإذا أفرد لفظ التوحيد فهو يتضمن قول القلب وعمله، والتوكل من تمام التوحيد"(١).

قال ابن تيمية: "والتوكل معنى يلتئم من معنى التوحيد والعقل والشرع، فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يثق بها، ولا يرجوها، ولا يخافها؛ فإنه ليس في الوجود سبب يستقل بحكم، بل كل سبب فهو مفتقر إلى أمور أخرى تضم إليه، وله موانع وعوائق تمنع موجبه، وما ثم سبب مستقل بالإحداث إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما شاء خلقه بالأسباب التي يحدثها ويصرف عنه الموانع، فلا يجوز التوكل إلا عليه"(٢).

❁ قال الإمام ابن تيمية ﵀: "كلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحريته مما سواه"(٣).

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يُوسُف: ٧٦]. " ... وفيها تنبيه على أن المؤمنَ المتوكّلَ على الله إذا كاده الخلقُ فإنّ اللهَ سبحانه يَكيدُ له وينتصِرُ له بغير حول منه ولا قوة"(٤).

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٤٠.

(٢) منهاج السنة ٥/٣٦٦-٣٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٤.

(٤) الفتاوى الكبرى (٦ /١٣٢).

١٣.من ثمراته أن التوحيد يصحح عمل القلب.

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) ﵄ قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ))(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "فالقلب الصحيح: هو الذى همه كله فى الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه، والخلوة به آثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له.. قرة عينه به، وطمأنينته وسكونه إليه، فهو كلما وجد من نفسه التفاتا إلى غيره تلا عليها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفَجر: ٢٧ - ٣٠]"(٢).

قال علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (ت: ٤٤٩ هـ) ﵀: "فينبغي للمؤمن أن لا يزهد في قليلٍ من الخير يأتيه، ولا يستقل قليلاً من الشرّ يجتنبُه فيحسبه هيناً؛ وهو عند الله عظيمٌ، فإنّ المؤمن لا يعلم الحسنةَ التي ي ﵀ بها، ولا يعلم السيئة التي يسخط الله عليه بها"(٣).

---

(١) رواه الحاكم النيسابوري، في المستدرك على الصحيحين، عن عبد الله بن عمرو، الصفحة أو الرقم:٥، صحيح.

(٢) إغاثة اللهفان ١ /٧٣.

(٣) شرح البخاري لابن بطال ١٠/١٩٨.

١٤.من ثمراته أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحُجُرَات: ٧].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "هؤلاء الذين حبَّب الله إليهم الإيمان، وزيَّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون السالكون طريق الحق"(١).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "ومن فضائل التوحيد: أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه، فالتوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين"(٢).

قال ابن أبي زيد القيرواني (المتوفى: ٣٨٥هـ) رحمه الله: "تفضل الله على من أطاعه فوفقه، وحبب الإيمان إليه فيسره له، وشرح له صدره فهداه، و ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾ [الكَهۡف: ١٧]. وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره لذلك فحجبه

---

(١) تفسير الطبري (سورة الحجرات: الآية: ٧).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص: ٢٤.

وأضله، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "كلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والقرآن يعطي العلم المفصل فيزيد الإيمان كما قال جندب بن عبد الله (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه، وغيره من الصحابة: "تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمهالله: "وكمال العبد بحسب هاتين القوتين العلم والحب، وأفضل العلم العلم بالله، وأعلى الحب الحب له، وأكمل اللذة بحسبهما والله المستعان"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "علامة موت القلب أنه لا تؤلمه جراحات القبائح"(٥).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمهالله: "القلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع"(٦).

---

(١) كتاب الجامع ص: ١١٠.
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٣٥.
(٣) مجموع الفتاوى ٤/٣٨.
(٤) كتاب الفوائد ص: ٥٣.
(٥) إغاثةاللهفان: (١/١١٣).
(٦) الفوائد ص: ١١٨.

١٥.من ثمراته أن التوحيد يحيط الله صاحبه بما يؤدبه ويهذبه.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأَنْعَام: ٤٢].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المُؤْمِنُون: ٧٦]

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "تأمّلتُ وقوعَ الشّدائد بالمؤمنِ، ووجه الحكمة في ذلك؛ فوجدتُ المرادَ إقَامَةَ القَلْبِ على بابِ الرّبِّ سبحانه وتعالى"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "من الخير الذي يحصل بالمصيبة: دعاء الله والتضرع إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأَنْعَام: ٤٢] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المُؤْمِنُون: ٧٦] ودعاء الله والتضرع إليه من أعظم النعم"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "كل من حدثته نفسُه بذنبٍ فكرهه ونفاه عن نفسه وتركه لله، ازداد صلاحاً وبِرّاً وتقوى"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته؛ ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما

---

(١) صيد الخاطر (٤٠٢).

(٢) جامع المسائل ٤٠٨/٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٧٦٧/١٠..

يكره؛ ونفس مستعدة قابلة لينة، متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا"[(١)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "يؤدب الله عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة أو هفوة، فلا يزال مستيقظا حذرا، وأما من سقط من عينه وهان عليه فإنه يخلي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنبا أحدث له نعمة، والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة، وأنه يريد به العذاب الشديد، والعقوبة التي لا عاقبة معها "[(٢)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "إذا ابتلى الله عبده بشيء من أَنواع البلايا والمحن؛ فإن ردّه ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به.

وإن لم يردّه ذلك البلاء إليه بل شرد قلبه عنه وأنساه ذكر ربه والرجوع إليه فهو علامة شقاوته وإرادة الشر به"[(٣)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله "أنواع الأدب مع الله:

- أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.
- الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.
- الثالث: صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه"[(٤)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ماهو سبب هلاكه عاجلا وآجلاً"[(٥)].

---

(١) مدارج السالكين ٢/٣٦٥.

(٢) زاد المعاد ٣/٥٠٦.

(٣) طريق الهجرتين ١/٢٥٩.

(٤) مدارج السالكين ٢/٣٧٦.

(٥) زاد المعاد ٤/١٧٩.

قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﵀: "الشوق إلى الله ولقائه نسيمٌ يهب على القلب؛ يروح عنه وهج الدنيا"(١).

١٦.من ثمراته أن التوحيد يفتح أبواب الخير.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﵀: "وقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] تحقيق لتوحيد الإلهية، فإن الخير لا موجب له إلا مشيئة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والمعوق له من العبد هو ذنوبه، وما كان خارجا عن قدرة العبد فهو من الله، وإن كانت أفعال العباد بقدر الله تعالى، لكن الله جعل فعل المأمور وترك المحظور سببا للنجاة، والسعادة، فشهادة التوحيد تفتح باب الخير، والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر.

ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلق رجاءه إلا بالله ولا يخاف من الله أن يظلمه؛ فإن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون؛ بل يخاف أن يجزيه بذنوبه، وهذا معنى ما روي عن علي ﵁ أنه قال: لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه.

وفي الحديث المرفوع: إلى النبي ﷺ ((أنه دخل على مريض فقال: كيف تجدك؟ فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال: ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف)).

فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابا فالسبب لا

---

(١) الفوائد ص٩٨.

يستقل بنفسه، بل لا بد له من معاون، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "المسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿مَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المَائـِدَة: ٥٠] "وهل تركت الشريعة خيرا ومصلحة إلا جاءت به وأمرت به وندبت إليه وهل تركت شرا ومفسدة إلا نهت عنه"(٣).

قال محمد بن عبد الرؤف المناوي (ت: ١٠٣١ هـ) رحمه الله: "أشرف العِبادات ولب الطّاعات: أن يتوجه القلب بهمومه كُلّها إلى مولاه، فإذا نزل به ضيق انتظر فرجه منه؛ لا من سواه"(٤).

١٧.من ثمراته أن التوحيد صفاء للعيش وطيب للحياة.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه؛ إلا الله سبحانه؛ ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه

(١) الفتاوى الكبرى ٥/٢٣١-٢٣٢.

(٢) الاستقامة (١/١٠٠٧).

(٣) شفاء العليل ١/١٢٦.

(٤) فيض القدير ٢/٤٤.

أعظم من مفسدة أكل الطعام المسموم"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "ينبغي للإنسان أن تكون له ساعات يناجي فيها ربه، ويخلو فيها بنفسه ويحاسبها، ويكون فعله ذلك أفضل من اجتماعه بالناس ونفعهم، ولهذا كانت خلوة الإنسان في الليل بربه أفضل من اجتماعه بالناس"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله نقلاً عن بعض الصالحين: "من عرف الله تعالى صفا له العيش، فطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله "[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك"[٤].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء: أن يكون ظاهره خيرا من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره"[٥].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "الذكر: هو قوت قلوب القوم، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم،

---

(١) مجموع الفتاوى ١/٢٣.

(٢) شرح العمدة لابن تيمية ٢/٦٥٠.

(٣) مدارج السالكين ٣/٣١٧.

(٤) الفوائد ص ١٦٤.

(٥) مدارج السالكين ٢/٩١.

يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم"(١).

قال الإمام ابن رجب(ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "فمن أنس بالله في الدنيا، واشتاق إِلَى لقائه، فقد فاز بأعظم لذّة يمكن لبشر الوصول إليها في هذه الدار"(٢).

١٨.من ثمراته أن التوحيد يدعو إلى محبة الله.

عن عائشة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنها ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فلما رجعوا؛ ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟)). فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أخبروه أن الله يحبه))(٣).

عن أنس بن مالك (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه قال: كانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ يَؤُمُّهُمْ في مَسْجِدِ قُباءٍ، وكانَ كُلَّما افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بها لهمْ في الصَّلاَةِ ممَّا يَقْرَأُ به افْتَتَحَ: بقُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ حتَّى يَفْرُغَ مِنْها، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى معها، وكانَ يَصْنَعُ ذلكَ في كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أصْحابُهُ، فقالوا: إنَّكَ تَفْتَتِحُ بهذِه السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى أنَّها تُجْزِئُكَ حتَّى تَقْرَأَ بأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بها وإمَّا أنْ تَدَعَها، وتَقْرَأَ بأُخْرَى فقالَ: ما أنا بتارِكِها، إنْ أحْبَبْتُمْ أنْ أؤُمَّكُمْ بذلكَ فَعَلْتُ، وإنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وكانُوا يَرَوْنَ

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٩٦)

(٢) مجموع الرسائل ١/١٨١.

(٣) رواه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

أنَّه مِن أفْضَلِهِمْ، وكَرِهُوا أنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أتاهُمُ النبيُّ ﷺ أخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فقالَ: ((يا فُلانُ، ما يَمْنَعُكَ أنْ تَفْعَلَ ما يَأْمُرُكَ به أصْحابُكَ، وما يَحْمِلُكَ علَى لُزُومِ هذِه السُّورَةِ في كُلِّ رَكْعَةٍ)) فقالَ: إنِّي أُحِبُّها، فقالَ: ((حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ))(١).

❁ قال الصحابي الجليل أبو الدرداء (ت: مابين ٣٢ ٣٨ هـ) رضي الله عنه: "إن شئتم لأُقسمنَّ لكم؛ إنَّ أحب العباد إلى الله: الذين يحبُّون الله، ويحببون الله إلى عباده"(٢).

❁ قال الربيع بن أنس (ت: ١٣٩ هـ) رحمه الله: "علامة حب الله: كثرة ذكره، فإنك لا تحب شيئا إلا أكثرت من ذكره"(٣).

❁ قال إبراهيم الحربي (ت: ٢٥٨ هـ) رحمه الله: سمعت أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) رحمه الله يقول: "إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فدم له على ما يحب"(٤).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٧٧٤)، وأخرجه موصولاً الترمذي (٢٩٠١).

(٢) المصنف، لابن أبي شيبة (٣٤٦٠٣).

(٣) مدارج السالكين ١٦٣/٢.

(٤) البداية والنهاية ٣٦٣/١٠.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٢/٢٨.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فَمن كَانَ الله يُحِبهُ اسْتَعْملهُ فِيمَا يُحِبهُ، ومحبوبه لَا يفعل مَا يبغضه الْحق ويسخطه من الْكفْر والفسوق والعصيان"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "العبادة تتضمن: كمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الرجاء، والخشية، والإجلال، والإكرام"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "ومحبة التوحيد إنما تكون لله وحده على متابعة رسوله؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمْرَان: ٣١] فلهذا يكون أهل الاتباع فيهم جهاد ونية في محبتهم؛ يحبون لله ويبغضون له. وهم على ملة إبراهيم. والذين معه ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [المُمْتَحنَة: ٤] وأولئك محبتهم فيها شرك وليسوا متابعين للرسول ولا مجاهدين في سبيل الله فليست هي المحبة الإخلاصية. فإنها مقرونة بالتوحيد"(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فالمحب الصادق: إن نطق نطق لله وبالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فسكونه استعانة على مرضاة الله، فهو لله وبالله ومع الله"(٤).

---

(١) العبودية (١/١١٣)

(٢) مجموعالفتاوى١٠ /٤٨٨.

(٣) مجموعالفتاوى١٥/٦١٤.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/٤٥٣.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "إن الحديد إذا لم يستعمل غشيه الصدأ حتى يفسده كذلك القلب إذا عطل من حب الله والشوق إليه وذكره غلبه الجهل حتى يميته ويهلكه"(٢).

١٩.من ثمراته أن التوحيد حامل على تعظيم الله والحياء منه.

قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نُوح: ١٣].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته"(٣).

قال الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ) رحمه الله: "ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة(٤).

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ما لكم لا ترجون لله عاقبة؛ كأن المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان.

قال وهب بن كيسان (ت: ١٢٧ هـ) رحمه الله: "ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيرا"(١).

---

(١) الفوائد: ص: ٢٠٢.

(٢) روضة المحبين ١/١٦٦.

(٣) تفسير ابن كثير (سورة نوح الآية: ١٣).

(٤) تفسير القرطبي (سورة نوح الآية: ١٣).

قال ابن زيد (ت: ١٨٢ هـ) رحمه الله: "ما لكم لا تؤدون لله طاعة"[٢].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ): "معنى ذلك: ما لكم لا تخافون لله عظمة"[٣].

قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت: ٣٢٢ هـ) رحمه الله: إن الوقار الثبات لله عَزَّوَجَلَّ ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأَحْزَاب: ٣٣] أي اثبتن. ومعناه ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وأنه إلهكم لا إله لكم سواه؛"[٤].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "والوقار: العظمة. والتوقير: التعظيم، وقيل: ما لكم لا توحدون الله؛ لأن من عظمه فقد وحده"[٥].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره"[٦].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "من وقارِهِ أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحي من أكابر النّاس"[٧].

---

(١) تفسير القرطبي (سورة نوح الآية: ١٣).

(٢) تفسير القرطبي (سورة نوح الآية: ١٣).

(٣) تفسير الطبري (سورة نوح الآية: ١٣).

(٤) تفسير القرطبي (سورة نوح الآية: ١٣).

(٥) تفسير القرطبي (سورة نوح الآية: ١٣).

(٦) الجواب الكافي، لابن القيم، ص١٣٤.

(٧) الفوائد ١٨٨.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: قال بعض السلف: "أكبر الكبائر الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب. وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالا"(٢).

قال محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣ هـ) رحمه الله: "إِنَّ اللَّهَ بِحَمْدِهِ نَزَّهَ الْإِسْلَامَ عَنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ وَرَفَعَهُ عَنْ كُلِّ دَنِيئَةٍ، وَشَرَّفَهُ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَجَعَلَ سِيمَا أَهْلِهِ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ"(٣).

قال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رحمه الله: "فإذا رأيت إنساناً لا يبالي بما أصابه في دينه؛ من ارتكاب الذنوب، وفوات الجمعة والجماعة، وأوقات الطاعات؛ فاعلم أنه ميت لا يحس بألم المصيبة، فإنك لا تُسمع الموتى"(٤).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نُوح: ١٣]: " أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر"(٥)

---

(١) الفوائد ص: ١٧٩.

(٢) مدارج السالكين ٣/٤٦٣.

(٣) الآداب الشرعية١/٣٥٩.

(٤) غذاءالألباب٢/٣٣٤.

(٥) تفسير السعدي (سورة نوح الآية: ١٣).

٢٠.من ثمراته أن التوحيد إظهار لكمال سلطان الله وغلبته وقهره وهيمنته على كل شيء.

قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ [مَرْيَم: ٩٣ - ٩٤].

قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [آل عِمْرَان: ٨٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﷺ: "ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإله المستحق للعبادة. فالذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيء، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيءٍ، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكّر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشرك معه غيره"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﷺ:: "فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها كيف تجدها كلها قد أثبتت

---

(١) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي.، ٢٣٧/١، ٧١/٣، ٨٨/٢، ٣٧٢، وتفسير ابن كثير، ٣٠٩/١، ٤٢/٥٧٢،٣/٢، ١٢٧/٢، ٤٣٥، ٥٧٠، ٣٤٤/١، ١٣٨/٢، وتفسير السعدي، ٣١٣/١، ٣٨١/٦٨٦،٢/٧، ٣٩٧/٣، ٢٠٤/٤، ٣٦٤/٦، ٣٥٦/١، ٣٧٢/٢، وأضواء البيان، ١٨٧/٢، ٢٧١/٣.

الكمال للموصوف بها وأنه المتفرد بذلك الكمال فليس له فيه شبه ولا مثال"(١).

٢١.من ثمراته أن التوحيد يستفتح به النهار ويختتم.

❁ فعَنْ أبي بن كعب (ت: ٣٠ هـ تقريبًا) ﷺ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))(٢).

❁ عَنِ ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ: بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))(٣).

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ((قَرَأَ فِي رَكعَتَي الفَجرِ "قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ " و " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "))(٤).

ومما يدل على أهمية التوحيد أن المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يستفتح يومه بالتوحيد حيث يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الكافرون والإخلاص، ويختم أيضا بالتوحيد حيث كان يقرأ في الشفع والوتر بسورة الكافرون والإخلاص.

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله عن سورة قل يا أيها الكافرون: "كان النبي

---

(١) الصواعق المرسلة ٣/٩١٦.

(٢) رواه النسائي (١٧٣٠)، ورواه ابن ماجة (١١٧١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة.

(٣) رواه أحمد (٢٧١٥)، ورواه الترمذي (٤٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ورواه أبو داود (٤/٢٩٩)، ورواه ابن ماجة (١١٧٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، وانظر صفة صلاة النبي ﷺ (٩٧).

(٤) رواه مسلم (١/٥٠٢) برقم (٧٢٦) ورواه ابن عمر الترمذي (٢/٤٧٠).

ﷺ يقرنها بسورة قل هو الله أحد في سنة الفجر وسنة المغرب. فإن هذين السورتين سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد، وأنه إله أحد صمد لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل ولم يكن له كفوا أحد فيكون له نظير. ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها. فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلا وفرعا ونظيرا. فهذا توحيد العلم والاعتقاد. والثاني: توحيد القصد والإرادة وهو: ألا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود. وسورة قل يا أيها الكافرون مشتملة على هذا التوحيد. فانتظمتالسورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له، فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر، ويختتمه بهما في سنة المغرب. وفي السنن «أنه كان يوتر بهما» فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار"(١).

٢٢.من ثمراته أن التوحيد دعوة للإقرار بنعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية.

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النَّحل: ٥٣]

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) التفسير القيم صـ ٥٩٤.

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لُقْمَان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجَاثِيَة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النَّحْل: ١٤ - ١٨]

فقد أسبغ على عباده جميع النعم وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتنَّ بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسّيّة والمعنوية، فجميع ما في السموات والأرض قد سُخِّر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السموات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر، والكواكب، والثوابت، والسيارات، والجبال، والبحار، والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلّة عقلية لا تقبل ريبًا ولا شكًا على أن الله هو الحق، وأن ما يُدعَى من دونه هو الباطل"[١].

"ومن المعلوم قطعًا أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يُحصيما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسّة من حواسّه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوّعها واختلاف أجناسها؟"[٢].

ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئًا؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝﴾ [الحج: ٦٢].

قال الشيخ صالح آل الشيخ: "الواجب على العبد أن يعلم أنَّ كل النعم من الله جَلَّوَعَلَا وأنَّ كمال التوحيد لايكون إلا بإضافة كل نعمة إلى الله جَلَّوَعَلَا وأنَّ إضافة النعم إلى غير الله نقص في كمال التوحيد"[٣].

---

(١) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي، ١/٥٩، ٣/٧٢، وابن كثير، ٣/٤٥١، ٤/١٤٩، والشوكاني، ١/٦٠،٤/٤٢٠، والسعدي، ١/٦٩، ٦/١٦١، ٧/٢١، وأضواء البيان للشنقيطي، ٣/٢٢٥ – ٢٥٣.

(٢) انظر: تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني، ٣/١٥٤، ٣/١١٠، وأضواء البيان، ٣/٢٥٣.

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد /٤٤٦.

٢٣.من ثمراته أن التوحيد تقرير بأن النفع والضر بيد الله.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [الأَنْعَام: ١٧]. فالنافع الضار هو المستحق للعبادة وحده.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يُونُس: ١٠٦ ١٠٧].

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزُّمَر: ٣٨] هي شبيهة بقول إبراهيم: ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٣] وقول صاحب يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾ [يس: ٢٣] وهو استدلال على التوحيد، ونفي إلهية الشركاء بعدم ملكهم التصرف بالضر والنفع أي: هؤلاء لا تصرف لهم، وكل من لا تصرف له؛ فليس بإله، فهؤلاء ليسوا آلهة"(١).

---

(١) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٤٢.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم مع أن هذا أمر لم يأمر به الله ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب كان مبتدعا في الدين، مشركًا برب العالمين، متبعًا غير سبيل المؤمنين"[(١)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين؛ أن ينزل بهم من الشدّة والضر ما يلجؤهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه ولايرجون أحداً سواه، فتتعلق قلوبهم به لابغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف"[(٢)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "التوكل: حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يَضره في دينه ودنياه. ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلَّا كان معطلًا للحكمة والشرع؛ فلا يجعل العبد عجزه توكلًا ولا توكله عجزًا"[(٣)].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "وهذا وصف لكل مخلوق، وأنه لا ينفع ولا يضرّ، وإنما النافع الضارّ هو الله، ومن دعا ما لا يضرّه ولا ينفعه فقد ظلم نفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله لكان من الظالمين المشركين، فكيف بغيره؟[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى: ٣١٢/١.

(٢) المستدرك على الفتاوى ١٥/١.

(٣) زاد المعاد (١٥/٤).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٣١.

٢٤.من ثمراته أن كلمة التوحيد تخرق لها الحجب وتفتح لها أبواب السماء.

كلمة التوحيد تخرق الحُجب؛ حتى تصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وليس دونه حجاب

عن معاذ بن جبل (ت: ١٨ هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كلمتان إحداهما ليس لها ناهية دون العرش، وألاخرى تملأ ما بين السماء وألارض، لا اله إلا الله، والله أكبر)).

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ: ((ما قال عبدٌ لا إلهَ إلَّا اللهُ قطُّ مخلِصًا، إلَّا فُتِحَتْ له أبوابُ السماءِ، حتى تُفْضِيَ إلى العرشِ، ما اجتُنِبَتِ الكبائرُ)).

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: ((التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه، ولا اله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه».

عن أنس (ت: ٩٠ هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس شيء إلا بينه وبين الله حجاب إلا قول: لا اله إلا الله، ودعاء الوالد)).

٢٥.من ثمراته أن التوحيد سبب لإجابة الدعاء.

عن فضالة بن عبيد (ت: ٥٣ هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعَ النبيُّ ﷺ رجلًا يَدْعُو في صلاتِهِ فلمْ يُصَلِّ على النبيِّ ﷺ فقال النبِيُّ ﷺ ((عَجِلَ هذا)) ثُمَّ دعاهُ فقال لهُ أوْ لغيرِهِ ((إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لَيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ ثُمَّ لَيَدْعُ بَعْدُ بِما شاءَ))[1].

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، وأحمد (٢٣٩٣٧) باختلاف يسير، والترمذي (٣٤٧٧) واللفظ له، والنسائي (١٢٨٤) بنحوه.



قال رجلٌ لعامر بن عبد قيس (ت: في زمن معاوية) رحمه الله: ادعُ لي.

فقال عامر: "أطعِ الله، ثم ادعه؛ يستجب لك"(١).

قال علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري الحنبلي (المتوفى: ٥١٣هـ) رحمه الله: "يقال: لا يستجاب الدعاء بسرعة إلا لمخلص أو مظلوم"(٢).

قَالَ ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "إِذَا أرادَ الله بِعَبدٍ خيراً، أَلهَمَهُ دُعاءَهُ والاستِعَانَةُ بِه، وَجَعَلَ استِعانَتَهُ وَدُعاءَهُ سَبباً للخَيرِ الذي قَضَاهَ لَه"(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝١٤﴾ [الرَّعْد: ١٤] أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صاد لإجابة الدعاء"(٤).

٢٦.من ثمراته أن التوحيد دعوة للتوكل على الله في كل الأحوال.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧﴾ [البَقَرَة: ١٠٧].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٩].

---

(١) حلية الأولياء ٢/٩٣.

(٢) الفنون لابن عقيل ٢/٧٥٠.

(٣) اقتِضَاءُ الصِّراط المستَقِيم (٢/٢٢٩).

(٤) تفسير تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (سورة الرعد: الآية: ١٤).

قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨﴾ [المُؤۡمِنُون: ٨٨].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هُود: ١٢٣].

قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [الأَحۡزَاب: ١٧].

قال تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾ [السَّجۡدَة: ٥].

فمن يتأمل النصوص الشرعية الواردة في التوحيد والدالة على عظمة الله فإنها تشعر العبد المؤمن بالطمئنينة وتحثه على حسن التوكل عليه، والقرآن دعوة لتثبت الإيمان في القلوب قال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هُود: ١٢٠].

فمن يقرأ عن عظمة الله في القرآن فإنه يشعر بطمأنينة وسكينة لأن آيات القرآن تقرر أن كل كل شيء عنده سبحانه، وهو كتوب وبمشيئته وتحت ملكه، فهو المتصرف في الكون كله

فإذا آمن العبد بذلك كله فإن ذلك يجعل من المؤمن لا يخاف، فالموحد لا يخشى أحدًا إلا الله، فالتوحيد الحقيقي أنك لا ترى مع الله أحدًا أبدًا، وذلك بأن تعلم وتتيقن بأن كل شيء وقع وتحقق فقد أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، فالله غني عن العالمين.



فهل يعقل أن الله يأمرك بعبادته ويأمرك أن تتوكل عليه ويجعل مصيرك في يد أحد من البشر. الإجابة.

٢٧.من ثمراته أن التوحيد يدعوك للافتقار والتذلل بين يدي الله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: ١٥].

فإن من أخص خصائص العبودية: الافتقار المطلق لله تعالى، فهو: حقيقة العبودية ولبُّها.

وقال سهل التستري (ت: ٢٨٣ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجِن: ٢٢] قال: "أمره بالافتقار واللجوء إليه، ثم بإظهارهما بقوله، ليزيد بذلك للكافرين ضلالا وللمؤمنين إرشادا، وهي كلمة الإخلاص في التوحيد. إذ حقيقة التوحيد هو النظر للحق لا غير، والإقبال عليه، والاعتماد، ولا يتم ذلك إلا بالإعراض عما سواه، وبإظهار الافتقار واللجوء إليه"(١).

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت: نحو ٣٢٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "من شرط التوحيد ألا تطمع للعباد فيما توحد الله تعالى به وتفرد"(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: "الإعجاب ضرب من

---

(١) تفسير التستري صـ ١٧٩.

(٢) الأمثال من الكتاب والسنة ص: ٢٠٧.

التكبر، والتكبر يُحْبِط الأعمال"(١).

❁ سئل محمد بن عبد الله الفرغاني (لم أقف على تأريخ وفاته) رحمه الله عن الافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به أيهما أكمل؟ فقال: "إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الاستغناء به، واذا صح الاستغناء به صح الافتقار إليه، فلا يقال أيهما أكمل لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر"(٢).

❁ قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦ هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النَّحل: ٧٥] دليل آخر على التوحيد، وتقريره أن الله عَزَّوَجَلَّ غني له ملك السماوات والأرض، وآلهتكم عبيد فقراء، فلا يساوونه في رتبة الإلهية، ولا يستحقون معه صفة المعبودية، كما لا يستوي العبد الفقير منكم والموسر الذي ينفق من يساره سرا وجهرا.

ويحتج بهذه على أن العبد لا يملك بالتمليك، لأن الفقر جعل وصفا له لازما في دليل التوحيد؛ فلا يجوز زواله، كما لا يزول التوحيد"(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارا إليه وخضوعا له: كان أقرب إليه، وأعز له، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق:

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (سورة الأنفال: الآية: ٤).
(٢) طريق الهجرتين ١/٩٧.
(٣) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٣٨٢.

أعظمهم عبودية لله. وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ليس له نظير فيقاس به؛ لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرةفإن حقيقة العبد قلبه، وروحه، وهى لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذى لا إله إلا هو، فلا تطمئن فى الدنيا إلا بذكره، وهى كادحة إليه كدحا فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه.

ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا فى وقت وفى بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذى يتنعم به والتذ غير منعم له ولا ملتذ له، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده، ويضره ذلك. وأما إلهه فلابد له منه فى كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه؛ ولهذا قال إمامنا [إبراهيم] الخليل ﷺ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأَنْعَام: ٧٦]. وكان أعظم آية فى القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] وقد بسطت الكلام فى معنى [القيوم] فى موضع آخر، وبينا أنه الدائم الباقىالذى لا يزول ولا يعدم، ولا يفنى بوجه من الوجوه"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٩/١).

(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله صـ ٣٥.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "إذا توجه العبد إلى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصا له الدين؛ أجاب دعاءه، وأزال ضرره، وفتح له أبواب الرحمة. فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُعِينُ اللَّهُ الْعَبْدَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَا يَنْفَعُ. فَمَا لَا يَكُونُ بِهِ لَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ لَهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَدُومُ فَلِذَلِكَ أَمَرَ الْعَبْدَ أَنْ يَقُولَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] "(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "كثيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ تدفع الكبرياء، فإذا عوفي من مرض الرياء بـ﴿إياك نعبد﴾، ومن مرض الكبرياء والعجب بـ﴿إياك نستعين﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]؛ عوفي من أمراضه وأسقامه"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فإن الدعاء عبودية لله وافتقار إليه وتذلل بين يديه فكلما كثره العبد وطوله وأعاده وأبداه ونوع جمله كان ذلك أبلغ في عبوديته وإظهار فقره وتذلله وحاجته وكان ذلك أقرب له من ربه وأعظم لثوابه.

فالله يغضب إن تركت سؤاله * وبني آدم حين يسأل يغضب**"(٤).

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله صـ ٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/٧٦.

(٣) مدارج السالكين ١ /٧٨.

(٤) جلاء الأفهام صـ ٢٩٨-٢٩٩.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور؛ وهي:

١ الإخلاص في العمل.

٢ والنصيحة لله فيه.

٣ ومتابعة الرسول فيه.

٤ وشهود مشهد الإحسان فيه.

٥ وشهود منة الله عليه.

٦ وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ليس العجب من مملوك يتذلل لله.. مع حاجته وفقره إليه.

إنما العجب من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه.. مع غناه عنه!"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "مَن عرف نَفسَه اشتغل بإصلاحها عن

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٨٢).

(٢) الفوائد لابن القيم ٣٧.

(٣) الفوائد لابن القيم ١١٨.

عُيوب الناس، ومَن عرف رَبَّه اشتغل به عن هَوى نَفسِه"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "الافتقار إلى الله تعالى يتخلى بفقره أن يتألهغير مولاه الحق، وأن يضيع أنفاسه في غير مرضاته، وأن يفرق همومه في غيرمحابه، وأن يؤثر عليه في حال من الأحوال، فيوجب له هذا الخلق وهذه المعاملةصفاء العبودية، وعمارة السر بينه وبين الله، وخلوص الود، فيصبح ويمسي ولاهم له غير ربه، فقد قطع همه بربه عنه جميع الهموم، وعطلت إرادته جميعالإرادات، ونسخت محبته له من قلبه كل محبة لسواه"(٢).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: ١٥]، أي: هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فَاطِر: ١٥] أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "إذا فالناس فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٧).

(٢) طريق الهجرتين، (ص ١٨).

(٣) تفسير ابن كثير (سورة فاطر الآية ١٥).

على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها"(١).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمة الله: "في قصة أصحاب الكهف دليلٌ على أن من فر بدينه من الفتن سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه الله، وجعله هداية لغيره. ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩٨]"(٢).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) ﵀ عند تفسير قال تعالى: ﴿تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ [الكَهۡف: ٢٧]: "لن تجد من دون ربك ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به، فإذا تعيّن أنه وحده الملجأ في كل الأمور؛ تعيّن أن يكون هو المألوه المرغوب إليه في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسؤول في جميع المطالب"(٣).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) ﵀: "يجب على الإنسان اللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ ؛ لأنه هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض، فلا تعتمد علىٰ ما في قلبك من رسوخ الإيمان مثلاً، وتعتقد أنه لن يتسلط عليك الشيطان ولن يتسرب إليك هوىٰ النفس الأمارة بالسوء، بل كن دائماً لاجئاً إلىٰ الله سائلاً الثبات"(٤)!"(٥).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٤٣٦.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٤٧٣.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٤٧٥.
(٤) تفسير سورة يس ص٢٦.
(٥) الفوائد لابن القيم ٣٧.

٢٨.من ثمراته أن التوحيد يدعوك للانكسار بين يدي الله.

قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٨٧].

عَنْ سَعْد بن أبي وقاص (ت: ٥٥ هـ) رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ))(١).

❁ قيل لسعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) رحمه الله: من أعبد الناس؟فقال: رجل اقترف ذنبًا فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله وانكسر لربه"(٢).

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فصاحب الحوت ومن أشبهه، لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب؟

فيقال: لأن المقام مقام اعتراف بأن ما أصابني من الشر كان بذنبي، فأصل الشر هو الذنب، والمقصود دفع الضر، والاستغفار جاء بالقصد الثاني، فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره أنه مسيء ظالم، وهو الذي أدخل الضر على نفسه، فناسب حاله أن يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه، ولم يذكر صيغة طلب المغفرة؛ لأنه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني؛ بخلاف كشف الكرب فإنه مقصود له في حال وجوده بالقصد الأول، إذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة إليه من زوال الضرر الحاصل في الحال، قبل طلبها زوال ما تخاف

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، والإمام أحمد في "المسند" (٣ /٦٥)، وحسنه محققو المسند، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢ /٢٨٢).

(٢) البداية والنهاية: ٩/٩٩.

وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني، والمقصود الأول في هذا المقام هو المغفرة، وطلب كشف الضر، فهذا مقدم في قصده وإرادته، وأبلغ ما ينال به: رفع سببه، فجاء بما يحصل مقصوده... "(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور! وما أدنالنصر والرحمة والرزق منه! وما أنفع هذا المشهد وأجداه عليه! وذرة من هذاونفس منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهموعلومهم وأحوالهم. وأحب القلوب إلى الله سبحانه: قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه، لا يرفع رأسه إليه حياءوخجلا من الله"(٢).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "أن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت!.

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات؛ فإن يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه فلذلك يسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، على قدر الكسر يكون الجبر"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "فأقر لله

(١) مجموع الفتاوى (١ /٢٤٧ - ٢٤٨).

(٢) مدارج السالكين، (١/٤٢٨-٤٢٩)، وانظر: الوابل الصيب (ص ٢٠ - ٢٣).

(٣) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس ص: ١٧٤.

تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته"(١).

قال تعالى: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القَصَص: ٢٤].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "السرُّ في استجابة دعوة المظلوم، والمسافر، والصائم؛ للكسْرة التي في قلب كُلِّ واحدٍ منهم"(٣).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ينبغي للإنسان أن يستتر بستر الله عَزَّوَجَلَّ وأن يحمد الله على العافية وأن يتوب فيما بينه وبين ربه من المعاصي التي قام بها وإذا تاب إلى الله وأناب إلى الله ستره الله في الدنيا والآخرة"(٤).

٢٩.من ثمراته أن التوحيد تثبيت لإلهية الحق في قلب المؤمن.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأَنْعَام: ١٤].

قال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) تفسير ابن سعدي (سورة الأنبياء الآية: ٨٧).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/٢٢٥).

(٣) مدارج السالكين" (١ /٣٠٧).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٧/٣.

مُفَصَّلًا﴾ [الأَنْعَام: ١١٤].

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [الزُّمَر: ٦٤ - ٦٦].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأَنْعَام: ١٦١ - ١٦٤]

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يقول: إذا قام يصلي من الليل، وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير: ((اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت ؛ فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق في قلبك، وتنفي إلهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فتقول:

(١) البخاري ٢/٤٨-٤٩. مسلم ١/٥٣٢-٥٣٤.

لا إله إلا الله، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء. وحقيقته أن تفنى بعبادته عما سواه، ومحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاته عن موالاة ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبالاستعاذة به عن الاستعاذة بما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل علىما سواه، وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه، وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه، وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه، وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه"(١).

٣٠.من ثمراته أن التوحيد موجب لحمد الله والثناء عليه.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القَصَص: ٧٠].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ﵀: "وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد، المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا معبود تجوز عبادته غيره ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ﴾ يعني: في الدنيا ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ يقول: وله القضاء بين خلقه ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالحقّ"(٢).

❁ وقال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ﵀: " ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ

(١) منهاج السنة ٥/٣٤٧-٣٤٩.
(٢) تفسير الطبري (سورة القصص. الآية: ٧٠).

﴿فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ تقدم معناه، وأنه المنفرد بالوحدانية، لأن جميع المحامد، إنما تجب له وأن لا حكم إلا له وإليه المصير"(١).

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ويختار سواه ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ أي: في جميع ما يفعله هو المحمود عليه، لعدله وحكمته ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: الذي لا معقب له، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ أي: جميعكم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، من خير وشر، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال"(٢).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غَافِر: ٦٥]

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما قال: من قال: "لا إله إلا الله" فليقل على أثرها: "الحمد لله رب العالمين" فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ "(٣).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: "لا إله إلا الله" أن يتبعها ب "الحمد لله رب العالمين"، عملا بهذه الآية"(٤).

---

(١) تفسير القرطبي (سورة القصص. الآية: ٧٠).
(٢) تفسير ابن كثير (سورة القصص. الآية: ٧٠).
(٣) تفسير ابن كثير (سورة غافر الآية: ٦٥)، تفسير ابن عطية (سورة غافر. الآية: ٦٥)؛ ٤/ ٥٦٧.
(٤) تفسير الطبري (سورة غافر الآية: ٦٥).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقال نحو هذا سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) ثم قرأ هذه الآية"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "ففي لا إله إلا الله إثبات محامده، فإنها كلها داخلة في إثبات إلهيته"(٢).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: " ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الحي أزلا وأبد، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، ﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا نظير له ولا عديل له، ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾"(٣).

قال محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣هـ) رحمه الله: "اعلم أن لإجابة الدعاء شروطا منها الإخلاص لقوله تعالى ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غَافِر: ١٤] "(٤).

٣١.من ثمراته أن التوحيد حرز من الوقوع في ضلال الشرك.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأَحْقَاف: ٥ ٦].

---

(١) تفسير ابن عطية (سورة غافر. الآية: ٦٥)؛ ٤/٥٦٧.

(٢) الفتاوى الكبرى ٥/٢٢٩-٢٣٠؛ مجموع الفتاوى ١٥/٢٥٣.

(٣) تفسير ابن كثير (سورة غافر الآية: ٦٥).

(٤) تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ٩/٢٢٨.



قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ﴾ يقول: فلا أحد أضل ممن يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ أبدا إذا دعاء يقول: لا تجيبهم الآلهة يعني الأصنام بشيء أبدا ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

ثم قال: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾ آية يعني الآلهة غافلون عن من يعبدها، فأخبر الله عنها في الدنيا"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وأيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبدا، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك"(٢).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي لا أحد أضل وأجهل ﴿مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وهي الأوثان. ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾ يعني لا يسمعون ولا يفهمون"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "بطلان الشرك وقبحه معلومًا بالفطرة السليمة والعقول الصحيحة، والعلم بقبحه أظهر من العلم بقبح سائر القبائح"(٤).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (الأحقاف: الآية: ٥)

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (الأحقاف: الآية: ٥)

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (الأحقاف: الآية: ٥)

(٤) إغاثة اللهفان: ٢/٢٧١.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فعلم عدو الله أن من اعتصم بالله، عَزَّوَجَلَّ، وأخلص له وتوكل عليه لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله، فهؤلاء رعيته وهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحِجْر: ٣٩ - ٤٢].

وقال في سورة النحل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النَّحْل: ٩٩ - ١٠٠].

فتضمن ذلك أمرين:

- أحدهما: نفي سلطانه وإبطاله على أهل التوحيد والإخلاص.
- والثاني: إثبات سلطانه على أهل الشرك وعلى من تولاه.

ولما علم عدو الله أن الله لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

فعلم عدو الله أن من اعتصم بالله، وأخلص له، وتوكل عليه لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع الله، فهؤلاء رعيته،

---

(١) إغاثة اللهفان ١/٩٩.

وهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم"(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: " وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: ٥] أي: لا أضل ممن يدعو أصناما، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجَارة صُمّ"(٢).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: فهل هناك أضل من هؤلاء الذين يعبدون من لا يستجيب لهم مدة مقامهم في الدنيا، لا ينتفعون بهم مثقال ذرة، وهم لا يسمعون منهم دعاءً، ولا يجيبون لهم نداءً، وهذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويكونون لهم أعداء يلعن بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض"(٣).

٣٢.من ثمراته أن كلمة التوحيد حرز من الشيطان.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "ثم استثنى إبليس، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٣] أي بالتوحيد، فإني لا أستطيع أن أغويهم"(٤).

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/١٧٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (الأحقاف: الآية: ٥).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي. (الأحقاف: الآية: ٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة: ص: الآية: ٨٣).

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٣] يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلا، فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه"(١).

❁ قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) رحمه الله: "قال بعضهم: المخلصين للتوحيد. فإن كان ذلك فيكون قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ لأهلكنهم. وقال بعضهم: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ من كل ذنب وكل معصية. لكن الوجهين الأولين أشبه وأقرب، والله أعلم"(٢).

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا عِبَادَكَ﴾ فأضافهم إليه سبحانه تنبيهاً على أن غيرهم قد انسلخوا من التشرف بعبوديته بالنسبة إلى من أطاعوه. ولما كان يمكن أن يكون المستثنى، من غير البشر قيد بقوله: ﴿مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ أي الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته فأخلصوا قصدهم لها، وعرف من الاستثناء أنهم قليل وأن الغواة هم الأصل"(٣).

❁ قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٣] وهم الذين أخلصَهم الله تعالى لطاعتِه وعصمَهم من الغوايةِ. وقرئ المخلِصين على صيغةِ الفاعلِ أي الذينَ أخلصُوا قلوبَهم وأعمالَهم لله تعالى"(٤).

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القران للطبري. (سورة: ص: الآية: ٨٣).

(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي. (سورة: ص: الآية: ٨٣).

(٣) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. (سورة: ص: الآية: ٨٣).

(٤) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود. (سورة: ص: الآية: ٨٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٣] علم أن الله سيحفظهم من كيده. ويحتمل أن الباء للاستعانة، وأنه لما علم أنه عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحدا إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقا"(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحِجْر: ٤٢]

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: " وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحِجْر: ٤٢] يقول تعالى ذكره: إن عبادي ليس لك عليهم حجة، إلا من اتبعك على ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: لا تستطيع أن تضل من هدى الله ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ "(٣).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ [الحِجْر: ٤٢] يعني الذين هداهم واجتباهم ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجْر: ٤٢] قوة وحجة في

---

(١) تفسير تيسر الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة: ص: الآية: ٨٣).
(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القران للطبري. (سورة: الحجر: الآية: ٤٢).
(٣) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة: الحجر: الآية: ٤٢).

إغوائهم ودعائهم إلى الشرك والضلال"(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: " وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجْر: ٤٢] أي: الذين قدرت لهم الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم"(٢).

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ المراد بالعباد هنا: هم المخلصون، والمراد أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به، ولا يتوبون منه، فلا ينافي هذا ما وقع من آدم وحواء ونحوهما، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة عنه ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحِجْر: ٤٢] استثنى سبحانه من عباده هؤلاء. وهم المتبعون لإبليس من الغاوين عن طريق الحقّ الواقعين في الضلال، وهو موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحِجْر: ٣٩ - ٤٠] ويمكن أن يقال: إن بين الكلامين فرقاً فكلام الله سبحانه فيه نفي سلطان إبليس على جميع عباده إلاّ من اتبعه من الغاوين، فيدخل في ذلك المخلصون وغيرهم ممن لم يتبع إبليس من الغاوين؛ وكلام إبليس اللعين يتضمن إغواء الجميع إلاّ المخلصين، فدخل فيهم من لم يكن مخلصاً ولا تابعاً لإبليس غاوياً. والحاصل أن بين المخلصين والغاوين التابعين لإبليس طائفة لم تكن مخلصة ولا غاوية تابعة لإبليس. وقد قيل: إن الغاوين المتبعين لإبليس هم

(١) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة: الحجر: الآية: ٤٢).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة: الحجر: الآية: ٤٢).



المشركون. ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النَّحل: ١٠٠] "(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾ [الإِسْرَاء: ٦٥].

عن مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإِسْرَاء: ٦٥] قال: عبادي الذين قضيت لهم بالجنة، ليس لك عليهم أن يذنبوا ذنباً، إلا أغفر لهم"(٢).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المخلصين، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ ملك في الكفر والشرك أن تضلهم عن الهدى، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾ [الإِسْرَاء: ٦٥] آية، يعنى حرزًا ومانعًا، فلا أحد أمنع من الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يخلص إليهم إبليس"(٣).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾ [الإِسْرَاء: ٦٥]. يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني. فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس. ليس لك عليهم حجة.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾ [الإِسْرَاء: ٦٥] يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ:

---

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة: الحجر: الآية: ٤٢).
(٢) تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي. (سورة: الإسراء: الآية: ٦٥).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة: الإسراء: الآية: ٦٥).

وكفاك يا محمد ربك حفيظا، وقيما بأمرك. فانقَدْ لأمره. وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين. ولا تخف أحدا، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك"(١).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥] أي حافظاً من يوكل الأمر إليه"(٢).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] قال ابن عباس: هم المؤمنون ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥] أي عاصما من القبول من إبليس، وحافظا من كيده وسوء مكره"(٣).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]: إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين، وحفظه إياهم، وحراسته لهم من الشيطان الرجيم؛ ولهذا قال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أي: حافظًا ومؤيدًا وناصرًا"(٤).

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة،

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القران للطبري. (سورة: الإسراء: الآية: ٦٥).
(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم. (سورة: الإسراء: الآية: ٦٥).
(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة: الإسراء: الآية: ٦٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة: الإسراء: الآية: ٦٥).

وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه))[١].

عن أبي عياش الزرقي (ت: قيل بعد الأربعين من الهجرة) ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ((من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإذا أمسى فمثل ذلك حتى يصبح))[٢].

قال النووي (ت: ٦٧٦ هـ) رحمه الله: "وَظَاهِرُ إِطْلَاقِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُحَصِّلُ هَذَا الْأَجْرَ الْمَذْكُورَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَالَ هَذَا التَّهْلِيلَ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَوْمِهِ سَوَاءٌ قَالَهُ مُتَوَالِيَةً، أَوْ مُتَفَرِّقَةً فِي مَجَالِسَ، أَوْ بَعْضَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ وَبَعْضَهَا آخِرَهُ.

لَكِنَّ الْأَفْضَلَ: أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مُتَوَالِيَةً، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ؛ لِيَكُونَ حِرْزًا لَهُ فِي جَمِيعِ نَهَارِهِ" [٣].

٣٣.من ثمراته أن تحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب.

عَنْ أَبِي أَيُّوبٍ الأَنْصَارِيّ (ت: ٥٠ هـ) ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: ((مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣) ومسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود برقم: ٥٠٧٧، وأخرجه ابن ماجة، وصححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجة برقم ٣١٣٢.

(٣) شرح النووي على مسلم" (١٧/١٧).

قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ))(١).

عن أنس (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم أني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاث مرات أعتق الله ثلاثة أرباعه ومن قالها أربع مرار أعتقه الله من النار))(٢)"(٣).

عن سلمان الفارسي (ت: ٣٣ هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال: اللهم إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وحملة عرشك، وأشهد من في السماوات ومن في الأرض، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك. من قالها مرة أعتق الله ثلثه من النار، ومن قالها مرتين أعتق ثلثيه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتقه الله كله من النار))(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٩)، وضعفه الألباني في "ضعيف أبي داود".وقد روي الحديث بلفظ: ((مَنْ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَأُشْهِدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، مَنْ قَالَهَا مَرَّةً أَعْتَقَ اللَّهُ ثُلُثَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ ثُلُثَيْهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ كُلَّهُ مِنَ النَّارِ)) رواه الحاكم (١٩٢٠) وصححه بهذا اللفظ، وبدون التقييد بالصباح والمساء؛ وينظر: "السلسلة الصحيحة" (٢٦٧).

(٣) انتهى من "لطائف المعارف" (ص٢٨٣).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، (١/٧٠٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

عن أبي الدرداء (ت: مابين ٣٢ ٣٨ هـ) رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من قال: لا اله إلا الله، والله أكبر، أعتق الله ربعه من النار، ولا يقولها اثنتين إلا عتق الله شطره من النار، وإن قالها أربعا أعتقه الله من النار))(١).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "فمن طمع في العتق من النار ومغفرة ذنوبه في يوم عرفة فليحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة فمنها الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق فإنها أصل دين الإسلام الذي أكلمه الله تعالى في ذلك اليوم وأساسه، فتحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب العتق من النار، كما ثبت في الصحيح: أن ((من قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب))(٢)"(٣).

٣٤.من ثمراته أن التوحيد سبب لنيل رضا الله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البَيِّنَة: ٧ ٨].

قال تعالى: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفَتۡح: ١٨]

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

---

(١) قال الهيثمي في المجمع – كتاب الأذكار، باب ما جاء في لا اله إلا الله والله أكبر– (١٠/٧٢): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيهما: أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

(٢) رواه البخاري (٣٢٩٣) ومسلم (٢٦٩١).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب صـ ٢٨٣.

بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التَّوۡبَة: ١٠٠].

قال تعالى: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المُجَادلَة: ٢٢].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزُّمَر: ٧].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "تضمنت هذه الآيات: جزاءهم على صدقهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة ومجاهدة أعدائه وعدم ولايتهم بأن رضي الله عنهم فأرضاهم فرضوا عنه وإنما حصل لهم هذا بعد الرضا به ربا وبمحمد نبيًا وبالإسلام دينًا قوله: وهو الرضا عنه في كل ما قضى فهنا ثلاثة أمور: الرضا بالله والرضا عن الله والرضا بقضاء الله"(١).

فمن حقّق التوحيد كما أراده الله تعالى، فقد أرضى الله تعالى بهذا الفعل، ونال رضوانه، ولم يسخط عليه، وجعل الجنة هي مثواه ومأواه، ولكن هذا المثوى والمأوى لا يمكن نواله إلا إذا حقق العبد شيئين؛ الإيمان بالله تعالى وتوحيده، ثم العمل الصالح قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكَهۡف: ١١٠].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٨٧.

من ذلك قالوا يا رب وأي شيء أفضل من ذلك قال أجل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا))(١).

وعن عائشة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ.))(٢).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا))(٣).

تضمن هذا الحديث الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، وتضمن الرضا برسوله الكريم والسمع والطاعة له، وتضمن الرضا بدينه والتسليم مع كمال الانقياد.

قال النووي (ت: ٦٧٦ هـ) رحمه الله: "رضيت بالشيء أي قنعت به، واكتفيت به ولم أطلب معه غيره فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ "(٤).

عن سعد بن أبي وقاص (ت: ٥٥ هـ) رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((مَنْ قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينًا؛ غُفِرَ له ذنبه))(٥).

---

(١) رواه البخاري: ٥/٢٣٩٨، ومسلم: ٤/٢١٧٦.

(٢) أخرجه الترمذي: ٤/٦٠٩، وقال الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب)٢/٢٧١: صحيح لغيره.

(٣) رواه مسلم (١/٦٢) برقم: ٣٤.

(٤) شرح النووي على مسلم ٢/٢.

(٥) رواه مسلم ١/٢٩٠

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي.

فالرضا بإلهيته يتضمن الرضا بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه فعل الراضي بمحبوبه كل الرضا وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

والرضا بربوبيته: يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به والاعتماد عليه، وأن يكون راضيًا بكل ما يفعل به.

وأما الرضا بنبيه رسولًا: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره في أي أمر من الأمور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى: رضي كل الرضا ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليما، ولو كان مخالفا لمراد نفسه، أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته"(١).

كتب عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣هـ) رضي الله عنه إلى أبي موسى رضي الله عنهما: "أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر"(٢).

قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧ هـ) رحمه الله: "أحق الناس بالرضا عن الله، أهل المعرفة بالله"(٣).

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٧٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/١٧٥.

(٣) حلية الأولياء ٨/١٠٤.

❁ قيل ليحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨ هـ) رحمه الله: متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟

فقال: "إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت. وإن منعتني رضيت. وإن تركتني عبدت. وإن دعوتني أجبت"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "ومِمَّا ينبغي أنْ يُعرَف أنَّ الله ليس رضاه أو محبَّته في مجرَّد عَذاب النفس وحملها على المشاقِّ؛ حتى يكون العمل كلَّما كان أشقَّ كان أفضل! كما يحسبُ كثيرٌ من الجهال أنَّ الأجر على قدر المشقَّة في كلِّ شيء! لا! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل، ومصلحته، وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله، فأي العملين كان أحسن، وصاحبه أطوع، وأتبع كان أفضل؛ فإنَّ الأعمال لا تتفاضَلُ بالكثرة، وإنما تتفاضَلُ بما يحصل في القلوب حالَ العمل"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الرِّضَا نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: الرِّضَا بِفِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ وَتَرْكِ مَا نُهِيَ عَنْهُ. وَيَتَنَاوَلُ مَا أَبَاحَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ تَعَدٍّ إلَى الْمَحْظُورِ. وَالنَّوْعُ الثَّانِي: الرِّضَا بِالْمَصَائِبِ: كَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالذُّلِّ فَهَذَا الرِّضَا مُسْتَحَبٌّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ بِوَاجِبِ وَقَدْ قِيلَ: إنَّهُ وَاجِبٌ"(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "والعبد إذا اعترف وأقر بأن الله خالق أفعاله كلها فهو على وجهين. إن اعترف به إقرارا بخلق الله كل شيء بقدرته ونفوذ مشيئته

---

(١) مدارج السالكين ١٧٢/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨١/٢٥-٢٨٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٦٨٢/١٠.

وإقرارا بكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر واعترافا بفقره وحاجته إلى الله وأنه إن لم يهده فهو ضال. وإن لم يتب عليه فهو مصر.

وإن لم يغفر له فهو هالكخضع لعزته وحكمته. فهذا حالزالمؤمنين الذين يرحمهم الله ويهديهم ويوفقهم لطاعته. وإن قال ذلك احتجاجا على الرب ودفعا للأمر والنهي عنه وإقامة لعذر نفسه فهذا ذنب أعظم من الأول. وهذا من أتباع الشيطان. ولا يزيده ذلك إلا شرا. وقد ذكرنا أن الرب سبحانه محمود لنفسه ولإحسانه إلى خلقه. ولذلك هو يستحق المحبة لنفسه ولإحسانه إلى عباده. ويستحق أن يرضى العبد بقضائه. لأن حكمه عدل لا يفعل إلا خيرا وعدلا. ولأنه لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر. فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيرا له. فالمؤمن يرضى بقضائه لما يستحقه الرب لنفسه من الحمد والثنا ولأنه محسن إلى المؤمن"[(١)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "ومَن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا"[(٢)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "خير الخلق: الذين يصبرون على المصائب، ويستغفرون من المعايب، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [غَافِر: ٥٥] "[(٣)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وطريق الرضا طريق مختصرة قريبة جداً، موصلة إلى أجل غاية، ولكن فيها مشقة. ومع هذا فليست مشقتها

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٣١٦-٣١٧.

(٢) الصارم المسلول (٥٧٢).

(٣) مجموع الفتاوى ٨/١٠٧..

بأصعب من مشقة طريق المجاهدة ولا فيها من العقبات والمفاوز ما فيها. وإنما عقبتها همة عالية، ونفس زكية، وتوطين النفس على كل ما يرد عليها من الله. ويسهل ذلك على العبد: علمه بضعفه وعجزه ورحمته به، وشفقته عليه، وبره به، فإذا شهد هذا وهذا، ولم يطرح نفسه بين يديه، ويرضى به وعنه، وتنجذب دواعي حبه ورضاه كلها إليه: فنفسه نفس مطرودة عن الله، بعيدة عنه. ليست مؤهلة لقربه وموالاته، أو نفس ممتحنة مبتلاة بأصناف البلايا والمحن"(١).

❀ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "متى خالط القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين انقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وتلقى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم"(٢).

❀ قال ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) ﵀: "إن صاحب الصدق مع الله، لا تضرُّه الفتنُ، وإن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيباً وزيادةً لهم في الثواب"(٣).

٣٥.من ثمراته أن توحيد الله موجب لنيل حلاوة الإيمان.

❀ قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت:٣٢٠هـ) ﵀: "إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود ظهر له وداده وكرمه وبره فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته؛ فإذا جاءت شهوات النفس

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٧٣.

(٢) مدارج السالكين ٢/١٤٤.

(٣) فتح الباري ٦/٥٥٧.

سبيلا إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت فأي خسران أعظم من هذا"[(١)].

❁ قال النووي (ت: ٦٧٦ هـ) رحمه الله: "ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه، وقال القاضي عياض: معنى الحديث (ذاق حلاوة الإيمان): أي صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه لأن من رضي أمرا سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له"[(٢)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وفي الصحيح عنه ﷺ «ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا. وبمحمد ﷺ رسولا» فأخبر: أن للإيمان طعما، وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب.

وقد عبر النبي ﷺ عن إدراك حقيقة الإيمان، والإحسان، وحصوله للقلب ومباشرته له: بالذوق تارة، وبالطعام والشراب تارة، وبوجود الحلاوة تارة، كما قال «ذاق طعم الإيمان» وقال «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله. ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

والمقصود: أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان، أمر يجده القلب. تكون نسبته

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٥١/٣.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢/٢.

إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى الفم، وذوق حلاوة الجماع إلى إلفة النفس. كما قال النبي ﷺ «حتى تذوقي عسيلته. ويذوق عسيلتك» فللإيمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد. ولا تزول الشبه والشكوك عن القلب إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال. فباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشرة. فيذوق طعمه ويجد حلاوته"(١).

❁ قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٢). وقد خرجه مسلم وعنده في رواية: «فقد وجد طعم الإيمان»(٣)، وجاء في رواية: «وجد طعم الإيمان وحلاوته».

فهذه الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه، فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة

---

(١) بغية الملتمس ص: ٥١٣.

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه مسلم ٦٨/٤٣.

وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي"[١].

قال ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) ﷾: "وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((سبعة يظلهمالله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..))، وذكر منهم: ((رجل قلبه معلق في المساجد))[٢]، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسدهخارجا عنه"[٣].

قال عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ) ﷾ "المؤمن الكامل قد وضع الله في قلبه حلاوة التوحيد بحلاوته فإذا جاءت الشهوة ضرب بتلك الحلاوة وجهها وردها بقوة هذه الحلاوة"[٤].

٣٦.من ثمراته أن توحيد الله موجب للأنس بالله.

قال ابن الصفار القرطبي. (ت: ٤٤٩هـ).

فررت إليك من ظلمي لنفسي * وأوحشني العباد فأنت أنسى**
رضاك هو المنى وبك افتخاري * وذكرك في الدجى قمري وشمسي**
صرت إليك منقطعا غريبا لتؤنس * وحدتي في قعر رمسي**
وللعظمى من الحاجات عندي * قصدت وأنت عالم سر نفسي**"[٥]

(١) فتح الباري لابن رجب ١/٥٠.
(٢) أخرجه: البخاري رقم (٦٦٠)، ومسلم رقم (١٠٣١).
(٣) فتح الباري، ١/١٤٥.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/٥٢٥.
(٥) مدارج السالكين ٣/٨٧-٨٨.

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "انظر إلى حالك الذي أنت عليه، إن كان يصلح للموت والقبر، فاستمر عليه، وإن كان لا يصلح لهذين، فتب إلى الله منها، وارجع إلى ما يصلح"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فإذا كان القلب مشغولاً بالله، عاقلاً للحق، متفكراً في العلم، فقد وُضِع في موضعه"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "والأنس بالله: حالة وجدانية. وهي من مقامات الإحسان، تقوى بثلاثة أشياء: دوام الذكر، وصدق المحبة، وإحسان العمل.

وقوة الأنس وضعفه: على حسب قوة القرب. فكلما كان القلب من ربه أقرب، كان أنسه به أقوى. وكلما كان منه أبعد، كانت الوحشة بينه وبين ربه أشد"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْبَعْثِ فَيَمُوتُ الْعَبْدُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ، وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "من اشتغل بالله عن نفسه كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل بالله عن الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن اشتغل

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ١/١٩٢-١٩٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٩/٣١٢..

(٣) مدارج السالكين ٣/٩٥.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية٢/٨٢.

بنفسه عن الله وكله الله إلى نفسه، ومن اشتغل بالناس عن الله وكله الله إليهم"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وَالْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي عَشْرِ ظُلُمَاتٍ:
ظُلْمَةُ الطَّبْعِ، وَظُلْمَةُ الْجَهْلِ، وَظُلْمَةُ الْهَوَى، وَظُلْمَةُ الْقَوْلِ، وَظُلْمَةُ الْعَمَلِ، وَظُلْمَةُ الْمُدْخَلِ، وَظُلْمَةُ الْمُخْرَجِ، وَظُلْمَةُ الْقَبْرِ، وَظُلْمَةُ الْقِيَامَةِ، وَظُلْمَةُ دَارِ الْقَرَارِ. فَالظُّلْمَةُ لَازِمَةٌ لَهُمْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثِ"(٣).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "ومن الأنس بالله عَزَّوَجَلَّ، الأنس بكلامه وذكره، والأنس بالعلم النافع، الَّذِي بلغه رسوله ﷺ عنه"(٤).

٣٧.من ثمراته أن أهل التوحيد أحق الناس برحمته.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص "لا إله إلا الله" علما

(١) الفوائد ص: ١٠٧.
(٢) الفوائد لابن القيم ص٩٨.
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية٢/٤٢.
(٤) مجموع الرسائل ٣/٣٣٩.

وعقيدة وعملا وبراءة وموالاة ومعاداة: كان أحق بالرحمة"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التَّوْبَة: ١٨] "بين إنما يعمرها من آمن بالله، واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله، وهذه صفة أهل التوحيد وإخلاص الدين لله، الذين لا يخشون إلا الله، ولا يرجون سواه، ولا يستعينون إلا به، ولا يدعون إلا إياه"[٢].

٣٨.من ثمراته أن التوحيد نجاة من شتات الأمر والحيرة.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٢٩].

فلاآبية من أبلغ الأمثال التي تُبيّن أن المشرك قد تشتّت شمله، واحتارفي أمره.

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "لما ذكر عَزَّوَجَلَّ أنه ضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل مجملا جاء بعد ذلك بمثل في أهم الأمور وأعظمها خطرا وهو التوحيد، فمثل تعالى الكافر والعابد للأوثان والشياطين لرجال عدة في أخلاقهم شكاسة ونقص وعدم مسامحة، فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بأنهم يتضايقون في أوقاتهم ويضايقون العبد في كثرة العمل، فهو أبدا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤١٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٤٩٩).

ناصب، فكذلك عابد الأوثان الذي يعتقد أن ضره ونفعه عندها هو معذب الفكر بها وبحراسة حاله منها، ومتى أرضى صنما منها بالذبح له في زعمه تفكر فيما يصنع مع الآخر، فهو أبدا تعب في ضلال، وكذلك هو المصانع للناس الممتحن بخدمة الملوك، ومثل تعالى المؤمن بالله وحده بعبد لرجل واحد يكلفه شغله فهو يعمله على تؤدته وقد ساس مولاه، فالمولى يغفر زلته ويشكره على إعادة عمله"[١].

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦ هـ) ﵀: "قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزُّمَر: ٢٩] هو من أدلة التوحيد؛ وبيانه أن التوحيد أصلح للموحد، كما أن المالك الواحد للعبد أصلح له من تعدد الملاك؛ لأن كثرة الأرباب والملاك تتنازع الواحد؛ فيهلك، أو يشقى ويتعب؛ بخلاف الرب الواحد؛ والمالك الواحد، إذ لا تنازع مع الوحدة وهذه المادة شبيهة بمادة ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٢] "[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "والمقصود أن الطريق إلى الله تعالي واحد، فإنه الحق المبين، والحق واحد، مرجعه إلى واحد، وأما الباطل والضلال

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/٥٢٩.

(٢) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٤١.

فلا ينحصر، بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل، فالباطل متعدد وطرقه متعددة"(١).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "وقد صح بالتجربة أن الراحة في حصبة [مطاوعة] الواحد، وأن التعب في اتباع العدد لاختصاص كل واحد بقصد في التابع يتشاكس عليه لذلك حال اتباعهم فكان أعظم دعوة إلى جمع الخلق دعوتهم إلى جمع توحيد الإلهية انتظاما بما دعوا إليه من الاجتماع في اسم الربوبية في قوله تعالى متقدما ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] "(٢).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحِّد، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحِّد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب: كلا، لا يستويان أبدًا"(٣).

---

(١) طريق الهجرتين صـ ١٦٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢/٢٨٥.

(٣) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. ٤/٧٨، وابن كثير ٤/٥٢، والتفسير القيم، لابن القيم، ص٤٢٣، وتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني، ٤/٤٦٢، وتفسير السعدي، ٦/٤٦٨، وتفسير الجزائري، ٤/٤٣.

٣٩.من ثمراته أن التوحيد سبب للثبات والاستقامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

عن الحسن (ت: ١١٠ هـ) رحمه الله قال: "ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع ووجل، وذل واستقام، واقتصد حتى يأتيه الموت"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى"(٢).

قال محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت:٣٢٠ هـ) رحمه الله: "فمن نور الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأتمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلا، وتركت التدبير عليه، فإن وسوس له عدو بالرزق والمعايش، لم يضطرب قلبه ولم يتحير، لأنه قد عرف ربه معرفة أنه قريب، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأنه رءوف رحيم، وأنه رب غفور رحيم، وأنه عدللا يجور، وأنه عزيز لا تمتنع منه الأشياء، وأنه يجير ولا يجار عليه، فكما خلقه محتاجا مضطرا، فإنه سيوصله إليه من حيث يريد الرب تبارك وتعالى، لا من حيث يريد العبد، على الهيئة التي يريد الرب، لا على الهيئة التي يريد العبد،

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/٢٧.

(٢) تفسير الطبري (سورة. فصلت الآية: ٣٠).

وبمقدار ما يريد الرب، لا بمقدار ما يريد العبد، وفي الوقت الذي يريد الرب، لا في الوقت الذي يريد العبد؛ فعامة أهل التوحيد قد أيقنوا بهذا، إيمانا به، وقبولا له، ولم يستقر ذلك الإيمان في قلوبهم، حتى إذا كان وقت، الحاجة اضطربت قلوبهم وتحيرت، واشتغلت عن خالق الأشياء، ومالك الملوك، وأهل اليقين الذين قد استنار الإيمان في قلوبهم، سكنت القلوب، واطمأنت النفوس إلى ضمان ربها، وقربه منهم، وقدرته عليهم. فهذا شأن الرزق والمعاش.

وفوضوا أمورهم فيما سوى المعاش إليه، واتخذوه وكيلا، لأنهم لما عرفوا بأنه رءوف رحيم منهم بأنفسهم، وأحق وأولى بأنفسهم من العبيد بأنفسهم، لأنه خلقهم فصورهم، وركبهم وأحسن تقويمهم، وسوى تعديلهم، فلم يكن لهم بأنفسهم من العلم والتدبير ما دبر لهم، وعرفه ملكا قادرا قاهرا، يفعل ما يشاء، قد سبق علمه فيهم، بما يكون فيهم ولهم وعليهم، وجرى مع سابق العلم لهم بذلك قلمه في اللوح المحفوظ، ليكون أوكد في قلوب العباد، لأن سابق العلم غائب عن القلوب لا يدري كنفسه، واللوح قد خط بالقلم فيه أمر محدود، وشخص مخلوق، ويدرك بالقلوب معاينة، فما عاين القلب وأدركه أثبت عندهم مما لا تعاينه القلوب، ولا يمكن توهمه، فخلق اللوح وأثبت مقاديرهم فيه، لا لحاجة به إلى ذلك، وليكون أثبت على القلوب، لتسكن النفوس وتستقر على ما جرى القلم به، فإذا سكنت النفوس، تفرغت القلوب لعبادته، وحفظ حدوده، وإقامة أموره، وسقطت أشغال النفوس عن القلوبفيما يراد بها، وما يكون وما يحدث، لأنها قد أيست عن أن يكون غير ما جرى به القلم، وعند الإياس تسكن النفوس، وإنما

دعانا إلى أن بعبده، ونقيم حدوده، ونقيم فرائضه، ونتجنب مساخطه، ولنا قلب واحد، فأثبت في اللوح أرزاقنا وسعينا، وآثارنا وأحداثنا، ومدة آجالنا، وعامة أمورنا، لتطمئن النفوس، وتخلص القلوب من وساوسها، فتبده بفراغ، وكل ذلك منه رحمة علينا، وبين ذلك في تنزيله، فقال تعالى: ﴿أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحَدِيد: ٢٢] أي من قبل أن نخلق تلك المصيبة، ثم بين لم فعل ذلك، فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحَدِيد: ٢٣]. فإن التأسي على الشيء الذي لم يقدر لك في اللوح هو استبداد وطلب ما ليس لك، والفرح بما آتاك يلهيك ويشغلك عن المعطي، حتى تأشر وتبطر بما تعطى، فتهلك، وإنما المبتغى منك في ذلك أن تلهو عن الغائب، وتفرح في الوجود الذي

أتاك بالأهل الذي أتاك، ثم بفضله ورحمته عليك، وإلى هذا ندبك فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يُونُس: ٥٨]. وقال تعالى في شأن الرزق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هُود: ٦]. ثم قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأَنْعَام: ٥٩]. أي من يأكل تلك الحبة ومن يرزقها"[١].

❀ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) رحمه الله: "وذهب أبو بكر الصديق

---

(١) كتاب آداب النفس للحكيم الترمذي ص: ١٦-٢٠

ﷺ وجماعة معه إلى أن المعنى ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] على قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]، فلم يختل توحيدهم ولا اضطرب إيمانهم"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الكامل: هُوَ من كَانَ لله أطوع وعَلى مَا يُصِيبهُ أَصْبِر. فَكلما كَانَ أتبع لما يَأْمر الله بِهِ وَرَسُوله وَأعظم مُوَافقَة لله فِيمَا يُحِبهُ ويرضاه وصبرا على مَا قدره وقضاه كَانَ أكمل وَأفضل. وكل من نقص عَن هذَيْن كَانَ فِيهِ من النَّقْص بِحَسب ذَلِك"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "استقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة اللهتعالى تتقدم عنده على جميع المحاب...

الثاني: تعظيم الأمر والنهي، وهوناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نُوح: ١٣] قالوافي تفسيرها: ما لكم لا ترجون لله تعالى عظمة". ثم قال: ".. فعلامة التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزنوالكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها.. ".

ثم ذكر عددا من علامات تعظيمالمناهي، وهي على وجه الاختصار:

١. الحرص على التباعد عن مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كلوسيلة تقرب إليها.

---

(١) تفسير المحرر الوجيز (سورة الزمر: الآية: ١٧).

(٢) دقائق التفسير ٢/٢٩٩.

٢. أن يغضب لله عَزَّوَجَلَّ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزناوكسرة إذا عصي الله تعالى في أرضه، ولم يطع بإقامة حدوده وأوامره، ولميستطع هو أن يغير ذلك.

٣. أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون فيه جافيا غير مستقيم علىالمنهج الوسط.

٤. أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه، متمثلا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمةالشرعفي أمره ونهيه أو لم تظهر.. "[١].

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "بمعنى الثبات على التوحيد والشهادة"[٢].

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الإستِقامَةُ والثَّبات لا قُدرَةَ للعبدِ عليهِ بنَفسِه، ولِذلِك يحتاجُ أن يسألَ ربَّهُ الثّبات، كَمْ مِنْ عامِلٍ يَعملُ الخَيْر، إذا بقِيَ بيْنهُ وبيْنَ الجنَّة ذِراع، وشارَفَ مَركَبهُ ساحِلَ النَّجاة، ضرَبهُ مَوجُ الهوَى فغَرِق"[٣].

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا

(١) الوابلالصيب، (ص ٢٤-٣٩) باختصار.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١٤٦/٢.

(٣) انظر: تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. ٧٨/٤، وابن كثير ٥٢/٤، والتفسير القيم، لابن القيم، ص٤٢٣، وتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني، ٤٦٢/٤، وتفسير السعدي، ٤٦٨/٦، وتفسير الجزائري، ٤٣/٤.

تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] "﴿قَالُواْ﴾ أي قولا حقيقيًا مذعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقا لداعي الله في دار الدنيا متذللين حيث ينفع الذل جامعين بين الأس الذي هو المعرفة والاعتقاد، والبناء الذي هو العمل الصالح بالقول والفعل على السداد، فإن أصل الكمالات النفسانية يقين مصلح وعمل صالح، تعرف الحق لذاته والخير لتعمل له، ورأس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله، ورأس الأعمال الصالحة الاستقامة على حد الاعتدال من غير ميل إلى طرف إفراط أو تفريط: ﴿رَبُّنَا﴾ أي المحسن إلينا ﴿ٱللَّهُ﴾ المختص بالجلال والإكرام وحده لا شريك له.

ولما كان الثبات على التوحيد ومصححاته إلى الممات أمرا في علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذي الجلال والإكرام، أشار إليه بأداة التراخي فقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ طلبوا وأوجدوا القوام بالإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب ولم يشركوا به صنما ولا ثنا ولا آدميا ولا ملكا ولا كوكبا ولا غير بعبادة ولا رياء، وعملوا بما يرضيه وتجنبوا كل ما يسخطه وإن طال الزمان، امتثالا لما أمر به أول السورة في قوله ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فُصِّلَت: ٦] فمن كان له أصل الاستقامة في التوحيد أمن من النار بالخلود، ومن كان له كمال الاستقامة في الأصول والفروع أمن الوعيد.

﴿تَتَنَزَّلُ﴾ على سبيل التدريج المتصل ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ من حين نفخ الروح فيهم إلى أن يموتوا ثم إلى أن يدخلوا الجنة باطنا فظاهرا ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالتأييد في جميع ما ينوبهم فتستعلي الأحوال الملكية على صفاتهم البشرية وشهواتهم الحيوانية

فتضمحل عندها، وتشرق مرائيهم، ثم شرح ما يؤيدونهم به وفسره فقال: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ أي من شي مثله يخيف، وكأنهم يثبتون ذلك في قلوبهم ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أي على شيء فاتكم، فإن ما حصل لكم أفضل منه، فأوقاتكم الأخراويةفيها بل هي كلها روح وراحة، فلا يفوتهم لذلك محبوب ولا يلحقهم مكروه ﴿وَأَبْشِرُواْ﴾ أي املأوا صدوركم سرورا يظهر أثره على بشرتكم بتهلل الوجه ونعمة سائر الجسد ﴿بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ﴾ أي كونا عظيما على ألسنة الرسل ﴿تُوعَدُونَ ٣٠﴾ أي يتجدد لكم ذلك كل حين بالكتب والرسل"[١].

٤٠.من ثمراته أن التوحيد يدعو الموحد لقبول الحق من كائن من كان.

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: "اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً –أو قال فاجراً– واحذروا زيغةالحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟

قال: إن على الحق نوراً"[٢].

٤١.من ثمراته أن التوحيد حياة الدنيا.

قال يحيى بن عمار: "العلوم خمسة:

١ حياة الدنيا. هو علم التوحيد.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧/١٨٢-١٨٤.

(٢) رواه أبو داود (٤٦١١).

٢ غذاء الدين؛ هو علم التذكر بمعاني القرآن والحديث.

٣ دواء الدين؛ هو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها.

٤ داء الدين هو الكلام المحدث.

٥ هلاك الدين؛ وهو علم السحر ونحوه"(١).

٤٢.من ثمراته أن التوحيد سد لباب الغلو في الصالحين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

وقال رسول الله ﷺ: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله))(٢).

٤٣.من ثمراته أن التوحيد أحد الهجرتين المتوجبتين على كل قلب.

قال الفيروزأبادي: "ولله على كل قلب هجرتان فرضا لازما:

هجرة إلى الله بالتوحيد والإخلاص والتوبة والحب والخوف والرجاء والعبودية.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٤٦.

(٢) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [مَرۡيَم: ١٦] ٦/٤٧٨، ١٢/١٤٤، وانظر: شرحه في الفتح، ١٢/١٤٩.

وهجرة إلى رسوله بالتسليم له والتفويض والانقياد لحكمه، وتلقى أحكام الظاهر والباطن من مشكاته.

ومن لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على رأسه التراب، وليراجع الإيمان من أصله"(١).

٤٤.من ثمراته أن التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات.

عن عبد الله بن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما قال: إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ عند الكربِ: ((لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيمُ، لا إله إلا اللهُ ربُّ السمواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمُ))(٢).

عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: ((ألَا أُعلِّمُكِ كلماتٍ تقولينَهُنَّ عندَ الكَرْبِ، أو في الكَرْبِ؟ اللهُ اللهُ ربِّي، لا أُشرِكُ به شيئًا))(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها"(٤).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/٤٦٧.

(٢) صحيح مسلم: ٢٧٣٠.

(٣) رواه أبو داود (١٥٢٥).

(٤) الفوائد ص: ٥٣.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "التَّوْحِيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العَنكبُوت: ٦٥].

وَأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل، هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد. فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها"(١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: "قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبِيَاء: ٨٧]. يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكربوالغم فيبتهل إلى الله داعياً بإخلاص، إلانجاه الله من ذلك الغم، ولا سيما إذا دعابدعاء يونس هذا"(٢).

(١) الفوائد صـ٥٣..

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٤/٢٤٤.

٤٥.من ثمراته أن التوحيد سبب لتحقق الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "برئوا من الكفر"(١).

عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) رحمه الله قوله: ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ "يعني: فضائل ورحمة"(٢).

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله: ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنفال: ٤] قال: "أعمال رفيعة"(٣).

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ [الأنفال: ٤] قال: "استحقوا الإيمان بحق، فأحقه الله لهم"(٤).

قال مقاتل (ت: ١٥٠) رحمه الله: "حقاً لا شك في إيمانهم"(٥).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ [الأنفال: ٤] يعني يقيناً، وفيه دليل على أنه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمناً حقاً، لأن الله تعالى إنما وصف بذلك

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأنفال: الآية: ٤)؛ وتفسير مكي بن أبي طالب (سورة الأنفال: الآية: ٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الأنفال: الآية: ٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الأنفال: الآية: ٤).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (سورة الأنفال: الآية: ٤).

(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأنفال: الآية: ٤).

قوماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة، وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه"(١).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

لما تقدمت ثلاث صفات: قلبية وهي الوجل وزيادة الإيمان والتوكل. وبدنية. ومالية. ترتب عليها ثلاثة أشياء: فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات والبدنية بالغفران، وقوبلت المالية بالرزق الكريم، وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع انتهى"(٢).

٤٦.من ثمراته أن التوحيد يجعل النفوس سماوية علوية.

قال عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري: (ت: ٣٥٢هـ) رحمه الله: "أوثق عملي في نفسي ملامة صدري، إني آوي إلى فراشي ولا يأوي إلى صدري غائلة لمسلم"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "النفوس ثلاثة:

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأنفال: الآية: ٤).

(٢) النهر من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(سورة الأنفال: الآيات: ٢-٤).

(٣) الصلة لابن بشكوال ٢٣٧/١.

نفس سماوية علوية: فمحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل والكمالات الممكنة للإنسان، واجتناب الرذائل، وهي مشغوفة بما يقربها من الرفيق الأعلى وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤها فاشتغالها بغيره هو داؤها.

ونفس سبعية غضبية: فمحبتها منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل فلذتها في ذلك وشغفها به.

ونفس حيوانية شهوانية: فمحبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب والمنكح وربما جمعت الأمرين فانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض والفسادكما قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القَصَص: ٤].

والحب في هذا العالم دائر بين هذه النفوس الثلاثة، فأي نفس منها صادفت ما يلائم طبعها استحسنته ومالت إليه ولم تصغ فيه لعاذل ولم تأخذها فيه لومة لائم"(١).

❁ قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "فالقلب الطاهر لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن، ولا يتغذَّى إلا بحقائقه، ولايتداوى إلا بأدويته"(٢).

٤٧.من ثمراته أن التوحيد سبب للفلاح.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المَائـِدَة: ١٠٠].

---

(١) روضة المحبين ١/٢٥٨.

(٢) إغاثة اللهفان ١/٥٥.

❁ عن ربيعة بن عباد (ت: ٩٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وما يتَّبع وجوه الحق ويؤمن بالكتاب كلّه إلا أولو الألباب، وقليل ما هم!"(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فالقلب لا يُفلح، ولا يصلح، ولا يتنعم، ولا يبتهج، ولا يلتَذُّ، ولا يطمئن، ولا يسكن؛ إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه"(٤).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم فوق مراتب هذه الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولانعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل.

وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه فوق كل ضرورة كانت العناية ببيانها أيسر الطرق وأهداها وأبينها"(٥).

---

(١) رواه أحمد، (٣/٤٩٢).

(٢) منهاج السنة ٣٤٧/٥.

(٣) مجموع الفتاوى (٤٠١/٨).

(٤) إغاثة اللهفان: (٩٤٧/٢).

(٥) انظر:"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"٣٦٥/١-٣٦٧.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "كان النبي ﷺ يقرنها بسورة قل هو الله أحد في سنة الفجر وسنة المغرب.

فإن هذين السورتين سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد، وأنه إله أحد صمد لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل ولم يكن له كفوا أحد فيكون له نظير. ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها.

فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلا وفرعا ونظيرا. فهذا توحيد العلم والاعتقاد.

والثاني: توحيد القصد والإرادة وهو: ألا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود.

وسورة قل يا أيها الكافرون مشتملة على هذا التوحيد.

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له، فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر، ويختتمه بهما في سنة المغرب.

وفي السنن «أنه كان يوتر بهما»

فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم، والتقرب إليه

---

(١) التفسير القيم صـ ٥٩٤.

قرة عيونهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل"(١).

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "بين أن تقواه وطاعته سبب للفلاح والرحمة"(٢).

٤٨.من ثمراته أن التوحيد شرط في تحقيق التوكل.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٥١﴾ [التَّوْبَة: ٥١].

قال عبد الرحمن بن محمد بن قدامة (ت: ٦٨٢ هـ) رحمه الله: "إن التوكل لا يمكن له أن يوجد في قلب العبد المؤمن بدون أن يكون القلب صافيًا في توحيد الله تعالى ؛ لأنه إن أخلص التوحيد، وأيقن أن لا خالق في هذا الكون ولا رازق إلا الله تعالى، لم يطلب الرزق من غير الله، وإذا أيقن أن القوة لله، لم يخشَ ولم يخف إلا الله تعالى "(٣).

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رحمه الله: "لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد يكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب

(١) الصواعق المرسلة "١/٣٦٥-٣٦٧.
(٢) كتاب المداينة صـ٢٦-٢٧.
(٣) مختصر منهاج القاصدين ص: ٣٣١.

قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﷬: "أَرْجَحُ الْمَكَاسِبِ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَالثِّقَةُ بِكِفَايَتِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ"[٢].

٤٩.من ثمراته أن التوحيد شرط في الأمن والاهتداء التام.

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: ((وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً))[٣].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﷬: "فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة؛ كان له الأمن التام والاهتداء التام.

ومن لم يسلم من ظلمه نفسه؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقا بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه.

وليس مراد النبي ﷺ بقوله: ((إنما هو الشرك)) أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام. فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/٢٧٣.

(٢) مجموع الفتاوى١٠/٦٦٠.

(٣) رواه مسلم (٢٦٨٧).

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم؛ بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول الجنة. وقول النبي ﷺ «إنما هو الشرك» إن أراد به الشرك الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك.

وإن كان مراده جنس الشرك؛ فيقال: ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك. فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الأمن من عذاب الله وحصول السعادة إنما هو بطاعته تعالى لقوله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٧] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفُرْقَان: ٧٧] أي لو لم تدعوه كما أمر فتطيعوه فتعبدوه وتطيعوا رسله فإنه لا يعبأ بكم شيئا. وهذه الوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المَائدَة: ٣٥] قال عامة المفسرين كابن عباس (ت: ٦٨هـ) ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) وعطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) والفراء (ت: ٢٠٧هـ): الوسيلة القربة.

❁ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ): تقربوا إلى الله بما يرضيه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ /٨١-٨٢).

قال أبو عبيدة: توسلت إليه أي تقربت.

وقال عبد الرحمن بن زيد (ت: ١٨٢ هـ): تحببوا إلى الله. والتحبب والتقرب إليه إنما هو بطاعة رسوله. فالإيمان بالرسول وطاعته هو وسيلة الخلق إلى الله ليس لهم وسيلة يتوسلون بها ألبتة إلا الإيمان برسوله وطاعته"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأَنْعَام: ٨٢] وقد فسر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "إن الإيمان الكامل بالله تعالى غير المتلبس بأي شيء من الشرك يكون جزاؤه وأجره عظيماً، ومصير من أخلص لله تعالى بالتوحيد الجنة، والمفازة من النار، والتوحيد يكفّر الذنوب، ويمحو الخطايا، وأما الكفار فالشرك محبط لحسناتهم"(٣).

٥٠.من ثمراته أن التوحيد يحقق الرجاء بالله وحده.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ٥٧﴾ [الإِسْرَاء: ٥٧].

عن أنس بن مالك (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ على شابٍّ

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٣٣).
(٢) الفتاوى الكبرى ٥/٢٣٢.
(٣) هداية الحيارى لى أجوبة اليهود والنصاري ٢/٤٦٣.

وَهوَ في الموتِ فقالَ: ((كيفَ تجدُكَ)) قالَ واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ إنِّي أرجو اللَّهَ وإنِّي أخافُ ذنوبي فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: ((لا يجتَمِعانِ في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطِنِ إلَّا أعطاهُ اللَّهُ ما يرجو وآمنَهُ ممَّا يخافُ))(١).

وقوله: "لا يَجتمِعان"، أي: الرَّجاءُ والخوفُ مِن اللهِ، "في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ"، أي: عندَ قُربِ موتِه، "إلَّا أعطاه اللهُ ما يَرْجو وآمَنه ممَّا يَخافُ"، أي: إنَّ اللهَ يُعطيه ما يَرْجوه مِن عَفْوِه ودخولِ الجنَّةِ، ويُؤمِّنُه ممَّا يَخافُه؛ مِن النَّارِ.

وفي الحديث: بيانُ فَضلِ الخوفِ والرَّجاءِ مِن اللهِ تعالى، وأنَّهما سببٌ للنَّجاةِ من النارِ ودُخولِ الجنَّةِ؛ لأنَّهما يحثَّانِ الإنسانَ على حُسنِ العَملِ مع حُسنِ الاعتقادِ في اللهِ.

✿ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابا فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لا بد له من معاون، ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى.

ولهذا قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشَّرح: ٧] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح: ٨] فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده، وقال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المَائـِدَة: ٢٣] فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو

---

(١) انظر: صحيح الترمذي برقم (٩٨٣) وحسنه الألباني.

ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١] "(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة، والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجي سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا بإسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ [المَعَارِج: ٣٣] "(٢).

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/٢٣٢.

(٢) الداء والدواء صـ ١٩٨.

٥١.من ثمراته أن التوحيد صفوف أهله في روضات الجنات مصفوفة.

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطُّور: ٢٠].

قال الفيروزأبادي: "وبمعنى صفوف أهل التوحيد في روضات الجنات"(١).

وقال ابن كثير: "ومعنى ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض"(٢).

قال القرطبي: " ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ قال ابن الأعرابي: أي موصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفا"(٣).

٥٢.من ثمراته أن التوحيد حصن الله الأعظم.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه. وخرج من قلبه اهتمامه به، واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلا، واشتغالا به عن غيره، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولى حفظه والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمنا بالله فالله يدافع عنه ولا بد. وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/٤٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة الطور الآية ٢٠).

(٣) تفسير القرطبي (سورة الطور الآية ٢٠).

فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج، مزج له. وإن كان مرة الله عليه جملة. ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة. ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة.

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء. ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء"[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب. فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمانا، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف، فمن خاف الله آمنه من كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء"[٢].

عن محمد بن المنكدر (ت: ١٣٠ هـ) رحمه الله قال: "إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته وفي دويرات حوله فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم"[٣].

---

(١) التفسير القيم ص: ٦٥٦.

(٢) الداء والدواء ص ١٨٢.

(٣) صفوة الصفوة ٢/١٤٢.

٥٣.من ثمراته أن كلمة التوحيد تثمر لقائلها عملا صالحًا كل وقت

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝٢٦﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٤ - ٢٦].

❁ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "الكلمة الطيبة لاإله إلا الله، والكلمة الخبيثة الشرك"(١).

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي: لا إله إلا الله"(٢).

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة؛ هي: أنّ الشجرة لاتكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرقٌ راسخٌ، وأصلٌ قائمٌ، وفرعٌ عالٍ، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأبدان"(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فَكُلُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ وَلَا يَكُونُ طَاعَةً لِلَّهِ وَعِبَادَةً وَعَمَلًا صَالِحًا فَهُوَ بَاطِلٌ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ وَإِنْ نَالَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ رِئَاسَةً وَمَالًا فَغَايَةُ الْمُتَرَئِّسِ أَنْ يَكُونَ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٦/٢٩.
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/٣٦٨.
(٣) معالم التنزيل ٤/٣٤٧.

كَفِرْعَوْنَ وَغَايَةُ الْمُتَمَوِّلِ أَنْ يَكُونَ كقارون"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا متصفا بموجبها قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "شبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة. لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع. وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله. فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة. فكل عمل صالح مرض لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﵄ قال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: وهو المؤمن. أصلها ثابت قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

قال الربيع بن أنس (ت: ١٣٩ هـ) ﵀: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: هذا مثل الإيمان. فإن الإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص

(١) مجموع الفتاوى ٧٦/٨.

(٢) إعلام الموقعين ١٣٣/١.

فيه. وفرعها فيالسماء: خشية الله. والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علوا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء. ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها. فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها. فعرف حقيقة إلهيته التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفي تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا. كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلا. فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت. فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى.

وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيرا طيبا، يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] فأخبر سبحانه، أن العمل الصالح يرفع الكلم

الطيب. وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت.

والمقصود: أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا، ومتصفا بموجبها، قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته.

فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه. وفروعها متصلة بالسماء. وهي مخرجة ثمرتها كل وقت...

والشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها. فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس.

فهكذا شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس.

ومن هاهنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات، ومن عظيم رحمته، وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده: أن وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم"(١).

❀ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك"(٢).

---

(١) التفسير القيم ص ٣٤٠-٣٤١.

(٢) الفوائد ص١٦٤ ط دار الكتب العلمية.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "شجرة الإسلام في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس"(١).

٥٤.من ثمراته أن كلمة التوحيد أفضل الذكر.

عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أفضلُ الذِّكرِ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأفضَلُ الدُّعاءِ الحمدُ للهِ))(٢).

عن ابن عمرو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))(٣).

وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِاللهِ بْنِ كَرِيزٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ"(٤).

٥٥.من ثمراته أن كلمة التوحيد أفضل الكلام.

قال ابن تيمية: "و " لا إله إلا الله " تقتضي الإخلاص والتوكل.

---

(١) التفسير القيم ص: ٣٤١.

(٢) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجة (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في "السنن الكبرى" (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي".

(٣) سنن الترمذي (٣٥٨٥) وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي".

(٤) وروى الإمام مالك في "الموطأ "(٧٢٦)، والبيهقي في "السنن" (٨٣٩١).

والإخلاص يقتضي الشكر. فهي أفضل الكلام. وهي أعلى شعب الإيمان"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "كلمة التوحيد أفضل الكلام، وأعظمه"[٢].

وقال ابن تيمية: "ولهذا ورد في فضل هذه الكلمة شهادة أن لا إله إلا الله من الدلائل ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وهي أفضل الكلام وما فيها من العلم والمحبة أفضل العلوم والمحبات كالحديث الذي في السنن أفضل الذكر لا إله ألا الله"[٣].

٥٦.من ثمراته أن كلمة التوحيد من الباقيات الصالحات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والباقيات الصالحات نوعان:

فسبحان الله وبحمده فيها الشكر والتنزيه والتعظيم، ولا إله إلا الله والله أكبر فيها التوحيد والتكبير"[٤].

٥٧.من ثمراته أن كلمة التوحيد كان النبي ﷺ يدعو بها عند الكرب.

عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ عند الكربِ: ((لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيمُ، لا إله إلا اللهُ ربُّ السمواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمُ))[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٤٠٠).

(٣) قاعدة في المحبة ص ١٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٨/٢١٢.

(٥) صحيح مسلم: ٢٧٣٠.

٥٨.من ثمراته أن التوحيد مقرون بالتحميد.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﷺ: "وفي حديث أبي سعيد ((الحمد رأس الشكر والتوحيد))، كما جمع بينهما فيأم القرآن. فأولها تحميد وأوسطها: توحيد وآخرها: دعاء. وكما في قوله: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غَافِر: ٦٥] وفي حديث الموطأ ((أفضل ما قلت. أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد. وهو على كل شيء قدير. من قالها: كتب الله له ألف حسنة. وحط عنه ألف سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثلها أو زاد عليه. ومن قال في يوم مائة مرة: سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر))(١). وفضائل هذه الكلمات في أحاديث كثيرة: وفيها: التوحيد والتحميد. فقوله ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) توحيد. وقوله ((له الملك وله الحمد)) تحميد. وفيها معان أخرى شريفة. وقد جاء الجمع بين التوحيد والتحميد والاستغفار في مواضع مثل حديث كفارة المجلس ((سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك)) فيه: التسبيح والتحميدوالتوحيد والاستغفار. من قالها في مجلس إن كان مجلس لغط كانت كفارة له وإن كان مجلس ذكر: كانت كالطابع له. وفي حديث أيضا "إن هذا يقال عقب الوضوء". ففي الحديث الصحيح في

(١) رواه مالك في الموطأ ٤٢٢/١ وقال الألباني: وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد وصله ابن عدي والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعا. انظر الصحيحة (١٥٠٣).

مسلم وغيره من حديث عقبة عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية. يدخل من أيها شاء))، وفي حديث آخر أنه يقول ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)). وقد روي عن طائفة من السلف في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه نحو هذه الكلمات. روى ابن جرير (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله، عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، أنه قال "اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك. رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي. إنك خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت. سبحانك وبحمدك. رب إني ظلمت نفسي فارحمني. فأنت خير الراحمين. لا إله إلا أنت. سبحانك وبحمدك. رب إني ظلمت نفسي فتب علي. إنك أنت التواب الرحيم" فهذه الكلمات من جنس خاتمة الوضوء. وخاتمة الوضوء: فيها التسبيح والتحميد والتوحيد والاستغفار. فالتسبيح والتحميد والتوحيد لله. فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو. والاستغفار من ذنوب النفس التي منها تأتي السيئات"(١).

❀ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والحمد إنما يتم بالتوحيد، وهو مناط للتوحيد، ومقدمة له ولهذا يفتتح به الكلام، ويثنى بالتشهد، وكل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم، وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء"(٢).

❀ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فإذا قيل: "لا إله إلا الله"؛ تضمنت

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤١٨-٤٢٠.

(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات. صـ ٤١.

هذه الكلمة إثبات جميع المحامد، وأنه ليس له فيها نظير؛ إذ هو إله، لا إله إلا هو، والشرك كله: إثبات نظير لله عَزَّوَجَلَّ "[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ولما كان حمده والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة التي هي عماد الإسلام ورأس الطاعات شرع في أولها ووسطها وآخرها وجميع أركانها؛ ففي دعاء الاستفتاح يحمد ويثني عليه ويمجد، وفي ركن القراءة يحمد ويثني عليه ويمجد، وفي الركوع يثني عليه بالتسبيح والتعظيم، وبعد رفع الرأس منه يحمد ويثني عليه ويمجد كما كان النبي ﷺ يقول: "ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد"[٢]، وفي السجود يثني عليه بالتسبيح المتضمن لكماله المقدس والعلو المتضمن لمباينته لخلقه وفي التشهد يثني عليه بأطيب الثناء من التحيات ويختم ذلك بذكر حمده ومجده"[٣].

٥٩.من ثمراته أن التوحيد والاستغفار بهما يكمل الدين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [مُحَمَّد: ١٩].

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هُود: ٣].

---

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات. صـ ٤٧.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٨).

(٣) الصواعق المرسلة ٤/١٤٧٤-١٤٧٥.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَت: ٦].

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٣ - ١٣٦].

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: ((اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت ؛ أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون))[1].

❁ عن عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ما منكم من أحدٍ يتوضَّأُ، فيُحسنُ الوضوءَ، ثم يقولُ: أشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه اللهم اجعلْني من التوابين، واجعلني من المتطهِّرين، إلا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّةِ الثمانيةُ، يدخلُ من أيِّها شاء))[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤)، وأبو داود (١٦٩)، والترمذي (٥٥) واللفظ له، والنسائي (١٤٨)، وابن ماجه (٤٧٠)، وأحمد (١٢١)

عن أبي برزة الأسلمي (ت: ٦٤ هـ) رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ بآخرة إذا طال المجلس فقام قال: ((سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك))، فقال له بعضنا: إن هذا قول ما كنا نسمعه منك فيما خلا، فقال رسول الله ﷺ: ((هو كفارة ما يكون في المجلس))(١).

عن شداد بن أوس (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت. إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو: كان من أهل الجنة وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله))(٢).

قال شعيب بن أبي حمزة (ت: ١٦٢ هـ) رحمه الله: "جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ، ما يحق له أن يسمى "سيد الاستغفار" ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو.

وقال أيضا: ويظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون " سيد الاستغفار "، إذا جمع

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٢٥٩)، وأحمد (١٩٧٦٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٣).

صحة النية والتوجه والأدب"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله "التوحيد هو جماع الدين الذي هو أصله وفرعه ولبه، وهو الخير كله، والاستغفار يزيل الشر كله، فأبلغ الثناء قول لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء استغفر الله"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الاسْتِغْفَار والتوحيد بهما يكمل الدِّينكَمَا قَالَ تَعَالَىَ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] "(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وقد قرن الله في كتابه بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] وفي قوله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هُود: ٢-٣] وفي قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَت: ٦] "(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "رتب اقتران الاستغفار بالتوحيد في غير موضع كقوله ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّد: ١٩]

(١) فيض القدير ٤/١٢٠.
(٢) جامع المسائل ١/٢٧٤.
(٣) جامع الرسائل لابن تيمية ٢/٢٨٦.
(٤) مجموع الفتاوى ١٤/٤٢٠.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [هُود: ٢ - ٣] وقوله: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَت: ٦] "[(١)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "إذا اجتهد الإنسان، واستعان بالله، ولازم الاستغفار والاجتهاد، فلابُدَّ أن يُؤتيه الله من فضله ما لم يخطر ببال"[(٢)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فمن أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلب؛ فعليه بالتوحيد والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص"[(٣)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه، إلى الفعل المحبوب من العمل الناقص إلى العمل التام ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل؛ فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد علما بالله. وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطر إليه دائما في الأقوال والأحوال في الغوائب والمشاهد لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية. وقد ثبتت: دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلى آخرهم ومن

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤١/٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٩٠/١١.

(٣) مجموع الفتاوى (٦٩٨/١١).

آخرهم إلىأولهم ومن الأعلى إلى الأدنى. وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله ولكل عامل مقام معلوم. فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره؛ سره وعلانيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه. والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك فإن الذنوب كلها من شعب الشرك. فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه فأبلغ الثناء قول: لا إله إلا الله وأبلغ الدعاء قول: أستغفر الله. فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين"(١).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله في التعليق على حديث سيد الاستغفار: "تضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده، والاعتراف بأن خالقه العالم به، إذ أنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصيره فيه، والاعتراف بأنه عبده، الذي ناصيته بيده وفي قبضته، لا مهرب له منه، ولا ولي له سواه، ثم التزام الدخول تحت عهده، وهو أمره ونهيه، الذي عهده إليه على لسان رسوله، وأن ذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب اداء حقك، فإنه غير مقدور للبشر، وإنما هو جهد المقل، وقدر الاستطاعة، ومع ذلك فأنا مصدقٌ لوعدك الذي وعدته لأهل طاعتك بالثواب، ولأهل معصيتك بالعقاب، فأنا مقيمٌ على عهدك، مصدقٌ بوعدك. ثم أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تعذني من شره، وإلا أحاطت بي الهالكة، فإن إضاعة حقك سبب الهلاك، وأنا أقر لك

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٦٩٦-٦٩٧..



وألتزم بنعمتك علي، وأقر وألتزم وأبخع(١)، بذنبي، فمنك النعمة والإحسان والفضل، ومني الذنب والإساءة، فأسألك أن تغفر لي، بمحو ذنبي، وأن تعفيني من شره، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فلهذا كان هذا الدعاء، سيد الاستغفار، وهو متضمنٌ لمعنى العبودية "(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالتوحيد يدخل العبد على الله عَزَّوَجَلَّ، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه، زال همه وغمه وحزنه"(٤).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التوحيد أعظم الأسباب التي يستجلب بها المغفرة وعدمه مانع من المغفرة بالكلية وفي الحديث: ((ابن آدم إن جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة))(٥)"(٦).

٦٠.من ثمراته أن التوحيد شرط في قبول الاستغفار.

قال ابن تيمية: "من خصائص التوحيد، فإن المكلف لا ينفعه توحيد غيره

---

(١) (بَخَعَ له بَخعاً وبُخُوعاً وبَخَاعَةً): تذلل له وأطاع وأقر.

(٢) مدارج السالكين ١/٢٢١-٢٢٢.

(٣) بدائع الفوائد٢/٢٤١.

(٤) شفاء العليل ص ٤٥٤.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٤٩٣) مختصراً بمعناه.

(٦) كتاب شرح حديث لبيك اللهم لبيك لابن رجب ص: ١٣٤.

عنه، ولا ينجيه ذلك من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، بل لا ينجيه إلا توحيد نفسه، ولا ينفعه مع عدم التوحيد الاستغفار عنه، بل لا ينفعه إلا استغفاره الذي تضمن توحيده وتوبته من الشرك. فصار الاستغفار مقرونا بالتوحيد من بداية، لا تقبل النيابة فيه ولا يهدى إلى الغير إلا إذا أتى هو به، فإذا كان هو من أهل ذلك نفعه حينئذ ما يريده

غيره من ذلك، بخلاف الأعمال والأدعية التي تفعل عن الغير وتهدى له وإن لم يأت بأصلها.

وإنما كان الاستغفار هو النهاية من العبد لأن الذنب لازم لجميع بني آدم، وإنما كمال المؤمنين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في التوبة من الذنب والاستغفار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأَحْزَاب: ٧٢] إلى آخر السورة. وقد أخبر تعالى أنه يبدل سيئات التائب حسنات، وأنه يفرح بتوبة العبد أشد فرح يقدر"(١).

٦١.من ثمراته أن كلمة التوحيد تثقل الميزان.

❁ عن عبدالله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ سيُخَلِّصُ رجلًا من أمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فينشُرُ علَيهِ تسعةً وتسعينَ سجلًّا، كلُّ سجلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ، ثمَّ يقولُ: أتُنكِرُ من هذا شيئًا؟

---

(١) جامع المسائل ١/٢٧٧-٢٧٨.

أظلمَكَ كتَبَتي الحافِظونَ؟ يقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: أفلَكَ عذرٌ؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: بلَى، إنَّ لَكَ عِندَنا حسنةً، وإنَّهُ لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فتخرجُ بطاقةٌ فيها: "أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ"، فيقولُ: احضُر وزنَكَ، فيقولُ: يا ربِّ، ما هذِهِ البطاقةُ مع هذِهِ السِّجلَّاتِ؟ فقالَ: فإنَّكَ لا تُظلَمُ، قالَ: فتوضَعُ السِّجلَّاتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في كفَّةٍ، فطاشتِ السِّجلَّاتُ، وثقُلتِ البطاقةُ، ولا يثقلُ معَ اسمِ اللَّهِ شيءٌ))(١).

عن رجل من الأنصار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال نوح لابنه: إني موصيك بوصيةٍ، وقاصرُها لكي لا تنساها: أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالحُ خَلقِه، وهما يكثرانِ الولوجَ على الله: أوصيك بـ (لا إله إلا الله)؛ فإن السمواتِ والأرضَ لو كانتا حلقةً قصمتْهما، ولو كانتا في كفة وزنتْهما، وأوصيك بـ (سبحان الله وبحمده)؛ فإنهما صلاة الخَلق، وبهما يُرزَقُ الخَلقُ، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤] وأما اللتان أنهاك عنهما، فيحتجب الله منهما وصالح خلقه: أنهاك عن الشِّرك، والكِبر))(٢).

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن نوحا عليه الصلاة والسلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن

(١) سنن الترمذي: ٢٦٣٩.
(٢) (صححه الألباني في صحيح الترغيب: ١٥٤٣).

لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كل حلقة مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله))(١).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "فقد تقرر في الشرع أن كلمة التوحيد ترجح ميزان من وزنت في أعماله ولا بد، فإن قال قائل كيف تثقل موازين العصاة من المؤمنين بالتوحيد ويصح لهم حكم الفلاح ثمتدخل طائفة منهم النار وذلك شقاء لا محالة؟ فقالت طائفة إنه توزن أعمالهم دون التوحيد فتخف الحسنات فيدخلون النار ثم عند إخراجهم يوزن التوحيد فتثقل الحسنات فيدخلون الجنة، وأيضا فمعرفة العاصي أنه غير مخلد فلاح وإن تقدمه شقاء على جهة التأديب"(٢).

قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤ هـ) رحمه الله: "وقد جاء في الحديث هنا أيضًا: أفضل الذكر التهليل، وأنه أفضل ما قاله عليه السلام والنبيون من قبله. وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم، وهي كلمة الإخلاص"(٣).

قال محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: "ثم يؤتى ببطاقة والبطاقة: القطعة الصغيرة قدر الأنملة مكتوب فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا ﷺ رسول الله، فيقول: وما تغني هذه البطاقة مع هذه السجلات العظيمة الكثيرة؟! فيقال له: إنك لا تظلم. فتوضع تلك البطاقة الصغيرة في كفة الميزان وتلك السجلات العظيمة الهائلة في الكفة الأخرى، فطاشت تلك

---

(١) رواه أحمد (٢/١٦٩)، (٦٥٨٣)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٣٤).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ٢/٣٧٦-٣٧٧.

(٣) "إكمال المعلم" للقاضي عياض (٨/١٩٢).

السجلات، وثقلت تلك البطاقة؛ لأن اسم الله جَلَّوَعَلَا لا يعادله شيء.

استدلوا بهذا الحديث على أن الموزون هو صحائف الأعمال لذكر وزن السجلات ووزن البطاقة التي فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

❁ وذهبت جماعة من العلماء، ورواه غير واحد عن ابن عباس (ت:٦٨هـ)(١): أن الموزون نفس الأعمال، وأن الله يحول الأعمال الحسنة إلى أجرام حسنة مضيئة نيرة، والله جَلَّوَعَلَا قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يقلب ما ليس بجسم أن يقلبه جسما، وقد جاء ما يدل على هذا كما جاء في حديث الترغيب في الزهراوين البقرة وآل عمران ((أنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو فرقان من طير صواف))(٢)، وكما جاء في الحديث أن عمل الإنسان يتجسم له في صورة إنسان طيب الريح، وكذلك العمل الخبيث(٣)، وكما جاء في بعض الأحاديث أن القرآن يتمثل لصاحبه في قبره(٤)، وأمثال هذا كثيرة جدا، وعلى

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/٦٩)، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (٢/١٤٩)، ونقله عنه ابن كثير (٢/٢٠٢)، وذكره السيوطي في الدر (٣/٧٠)، وهذا الأثر لا يصح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأنه من طريق الكلبي عن أبي صالح

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. حديث رقم (٨٠٤ - ٨٠٥)، (١/٥٥٣ - ٥٥٤)، من حديث أبي أمامة والنواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) كما في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا عند أحمد (٤/٢٩٥)، وأصله في الصحيحين.

(٤) كما في حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٥/٣٥٢)، وابن ماجه في الأدب، باب ثواب القرآن، حديث رقم (٣٧٨١)، (٢/١٢٤٢)، وأورده الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٤٨)، وقال: ضعيف يحتمل التحسين.

كل حال فالله قادر على أن يقلب الأعمال أجساما، فهو قادر على كل ما يشاء، فيجعل الأعمال الصالحة في صور نيرة حسنة. والأعمال القبيحة في صور مظلمة قبيحة، فتوضع هذه في كفة الحسنات وهذه في كفة السيئات، فتثقل موازين بعض، وتطيش موازين آخرين والعياذ بالله.

❀ وقال بعض أهل العلم: إن ما يوزن أصحاب الأعمال، واستدلوا بالحديث المعروف المشهور: أن الرجل السمين الأكول الشروب يأتي يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة [(١)]، وفي مناقب عبد الله بن مسعود (ت: ٢٩ هـ) ﷺ: أنهم لما رأوا دقة ساقيه قال لهم ﷺ «إنها في الميزان أثقل من جبل أحد»[(٢)].

❀ وما قاله ابن فورك (ت: ٤٠٦ هـ) ﷺ، وغيره من المتكلمين: إن وزن حقيقة الأعمال مستحيل؛ لأن ما ليس بجسم يستحيل أن يكون جسما [(٣)]!! لا يعول عليه لأن الله قادر على كل ما يشاء، لا يتعاصى على قدرته شيء، فهو قادر على ما شاء، وقادر على ما لم يشأ أيضا، فهو قادر على هداية أبي بكر ﷺ، وأبي لهب، وقد شاء أحد المقدورين وهو هداية أبي بكر، ولم يشأ مقدوره الثاني وهو هداية أبي لهب.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [الكهف: ١٠٥] حديث رقم (٤٧٢٩)، (٤٢٦/٨)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم (٢٧٨٥)، (٢١٤٧/٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٠/١، ٤٢١)، والطبراني في الكبير (٧٥/٩ - ٧٦)، (٢٨/١٩)، وابن أبي شيبة (١١٣/١٢) والحاكم (٣١٧/٣).

(٣) عبارة ابن فورك: «وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، ومن المتكلمين من يقول... » اهـ التذكرة ص٣١٣، وانظر: القرطبي (١٦٥/٧)..

فهذه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الموزون صحف الأعمال.

والثاني: أن الموزون الأعمال، تقلب أجساما في صور موزونة.

الثالث: أن الموزون أصحاب الأعمال. وكان ابن جرير الطبري رحمه الله كبير المفسرين يرى أن كفة الحسنات يكون فيها نفس الشخص وحسناته، وأن الكفة الأخرى فيها سيئاته[١]، هكذا يقوله العلماء، وعلى كل حال فالتحقيق أنه وزن حقيقي بميزان ذي لسان وكفتين"[٢].

٦٢.من ثمراته أن كلمة التوحيد من أحب الكلام إلى الله.

فعن سمرةَ بن جندب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أحبُّ الكلامِ إلى اللهِ أربعٌ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ))[٣].

٦٣.من ثمراته أن المعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨) رحمه الله: "كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء، وأعظمهم شركا، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم، ولا أبعد عن التوحيد منهم"[٤].

---

(١) ابن جرير (١٢/٣١٤).

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٣/٧٣-٧٥.

(٣) (صحيح مسلم: ٢١٣٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٨١-٢٨٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء، وأعظمهم شركا، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم، ولا أبعد عن التوحيد منهم"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فالمعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال، شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره عبد الصور، شاء أم أبى، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"(٢).

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: "لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركِه، لم يكن من أهل المغفرة التي تفضَّلَ اللهُ بها على غير أهلِ الشرك حسبما تقتضيه مشيئتُه، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين، فداخلون تحت المشيئة؛ يغفر لمن يشاء، ويعذِّب من يشاء"(٣).

٦٤.من ثمراته أن التوحيد أصل كل زكاء ونماء

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأَعْلَى: ١٤].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: قال لا إله إلا الله فتطهر من الشرك"(٤).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٨١-٢٨٢).

(٢) إغاثة اللهفان ١/٢١٤.

(٣) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني: ١ /٧١٧.

(٤) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الأعلى: الآية: ١٤)، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/٢٧١، تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤] "من قال لا إله إلا الله"(١).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤] أفلح في هذه الآية معناه: فاز ببغيته، وتزكى معناه: طهر نفسه ونماها إلى الخير"(٢).

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤]: أي تطهّر من الشرك وقال: لا إله إلاّ الله"(٣).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "أي: قد أدرك طلبته وظفر ببغيته من تظهر الكفر وعمل بطاعة الله"(٤).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) رحمه الله: " ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤] "تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله"(٥).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: " ﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك بالإيمان"(٦).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "أي من تطهر من الشرك بإيمان"(١).

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٢) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٣) تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٦) تفسير العز بن عبد السلام. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ يعني فاز ونجا من هذا العذاب وسعد بالجنة من تزكى يعني وحّد الله تعالى وزكى نفسه بالتوحيد"(٢).

قال محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾: تطهر نفسه من الكفر والمعصية"(٣).

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) رحمه الله: " ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ أي من تطهر من الشرك فآمن بالله ووحده وعمل بشرائعه"(٤).

قال تعالى عن موسى عليه السلام فى خطابه لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النَّازِعَات: ١٨].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ قال: إلى أن تقول لا إله إلا الله"(٥).

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، قول موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ هل لك إلى أن تقول لا إله إلا الله"(٦).

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٢) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٣) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٤) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ١/٢٧١، تفسير الدر المنثور للسيوطي. (سورة النازعات: الآية: ١٨)، وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات.

(٦) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النازعات: الآية: ١٨)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة النازعات: الآية: ١٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.



قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: "إلى أن تُسْلِم"(١).

قال ابن زيد (ت: ١٨٢ هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ قال: إلى أن تسلم. قال: والتزكّي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٦] قال: من أسلم، وقرأ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عَبَس: ٣] قال: يسلم، وقرأ: ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عَبَس: ٧] أن لا يسلم"(٢).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النَّازِعَات: ١٨]. يقول: "هل لك أن تصلح ما قد أفسدت، يقول: وأدعوك لتوحيد الله"(٣).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النَّازِعَات: ١٨]. يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهّر من دنس الكفر، وتؤمَنَ بربك"(٤).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النَّازِعَات: ١٨] "إلى أن تؤمن"(٥).

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النَّازِعَات: ١٨] "ومعناه تسلّم وتصلح وتطهّر"(١).

---

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٤) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٥) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "فقل له، ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾. "أي: هل لك يا فرعون في أن تتطهر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟"(٢).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ أترغب في أن تتطهر من كفرك بالإيمان"(٣).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾" والتزكي هو التطهر من النقائص، والتلبس بالفضائل، وفسر بعضهم: ﴿تَزَكَّىٰ ١٨﴾ بتسلم وفسرها بقول: لا إله إلا الله، وهذا تخصيص، وما ذكرناه يعم جميع هذا"(٤).

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: " ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ أي: تتطهر من الشّرك والكفر"(٥).

قال ابن جزي (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: " ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النَّازِعَات: ١٨] أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم: تزكى تسلم، وقيل: تقول لا إله إلا الله، والأول أعم"(٦).

---

(١) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٤) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٥) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٦) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: " ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾: تزكى: تتحلى بالفضائل وتتطهر من الرذائل، والزكاة هنا يندرج فيها الإسلام وتوحيد الله تعالى"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا. فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فما كبر النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله عَزَّوَجَلَّ "(٣).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ يعني: ألم يأن لك أن تسلم. ويقال: معناه هل ترغب في توحيد ربك، وتشهد أن لا إله إلا الله، وتزكي نفسك من الكفر، والشرك"(٤).

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٦].

قال الكلبي (ت: ٢٠٤ هـ) رحمه الله: "يعني أعطى زكاة نفسه وقال: لا إله إلاّ الله"(٥).

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٢) الفوائد، ١/٢٦٢.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص١٤٩.

(٤) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٥) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة طه: الآية: ٧٦)، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة طه: الآية: ٧٦).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " قوله: ﴿مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ أي: من آمن"[١].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ أي صلح، وقيل: تطهّر من الكفر والمعاصي"[٢].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "قوله ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله"[٣].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ أي: من تطهر من الكفر والمعاصي"[٤].

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠ هـ) رحمه الله: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله"[٥].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ أي: طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خَبَرٍ وطلب"[٦].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة طه: الآية: ٧٦).
(٢) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة طه: الآية: ٧٦).
(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة طه: الآية: ٧٦).
(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة طه: الآية: ٧٦).
(٥) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة طه: الآية: ٧٦).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة طه: الآية: ٧٦).

قال علي بن يحي السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ يعني: ثواب من وحَّد"[١].

قال تعالى ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧] الذين لا يقولون لا إله إلا الله"[٢].

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، قوله: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الذين لا يقولون لا إله إلا الله"[٣].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: لا يوحدون الله"[٤].

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي رحمه الله: "وقال بعضهم: لا يؤتون الزكاة أي: لا يقولون لا إله إلا الله، قال ابن عباس، في رواية عطاء، فعلى هذا معناه: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقبول التوحيد"[٥].

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحي السمرقندي. (سورة طه: الآية: ٧٦).

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة فصلت: الآية: ٧)، الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١.

(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة فصلت: الآية: ٧).

(٤) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة فصلت: الآية: ٧).

(٥) تفسير السمعاني ٣٧/٥. (سورة فصلت: الآية: ٧).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال ابن عباس: الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد"(١).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقال ابن عباس رضي الله عنهما، والجمهور: ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية: لا إله إلا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾، ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإنما هذه زكاة القلب والبدن، أي تطهيرهما من الشرك والمعاصي، وقاله مجاهد والربيع"(٢).

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠ هـ) رحمه الله: " ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٧] لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خيرمن علم نافع وعمل صالح"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذى به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلهيته سبحانه؛ وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكى وإن كان أصله النماء والزيادة

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة فصلت: الآية: ٧).
(٢) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي. (سورة فصلت: الآية: ٧).
(٣) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة فصلت: الآية: ٧).
(٤) مجموع الرسائل ١٣٣/١.

والبركة فإنما يحصل بإزالة الشر. فلهذا صار التزكى ينتظم الأمرين جميعًا. فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح. هو التوحيد: والتزكية جعل الشيء زكيا، إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدلته وفسقته، إذا جعلته كذلك في الخارج، أو في الاعتقاد والخبر"[(١)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: " قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧]. أي: لا يؤتون ما تزكى به أنفسهم من التوحيد"[(٢)].

عن عمير بن حبيب الخطمي (لم أقف على تاريخ وفاته) ﵁ قال: "الإيمان يزيد وينقص. فقيل: فما زيادته؟ وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه"[(٣)].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ): "من اتقى الله وفق لمعرفة الحق"[(٤)].

٦٥.من ثمراته أن أهل التوحيد هم أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ

يقول الله تعالى مثنيًا على المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

---

(١) إغاثة اللهفان: ٤٩.

(٢) مفتاح دار السعادة:٢/١١٦٠.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في الإيمان (١٤)، والمصنف ٦/١٦٠ (٣٠٣٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير: ٣/٣٥٢.

﴿بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التَّوۡبَة: ١٠٠].

قال ابن القيم: "أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه"(١).

٦٦.من ثمراته أن الكلمة التى تحط بها الخطايا، هي كلمة التوحيد.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ [البَقَرَة: ٥٨].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: " وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُولُواْ حِطَّةٞ﴾ قال: "لا إله إلا الله"(٢).

قال عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله: "هي قول: لا إله إلا الله"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الاعتراف بالخطيئة مع التوحيد إن كان متضمنا للتوبة أوجب المغفرة؛ وإذا غفر الذنب زالت عقوبته؛ فإن المغفرة

---

(١) إغاثة اللهفان ص: ٢٢٠.

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ١/٢٧١.

(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة البقرة: الآية: ٥٨).



هي وقاية شر الذنب"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي: حط عنا خطايانا. هذا قول الحسن رحمه الله، وقتادة رحمه الله، وعطاء بن أبي رباح رحمه الله. وقال عكرمة رحمه الله وغيره: أي قولوا: لا إله إلا الله. وكأن أصحاب هذا القول اعتبروا الكلمة التي تحط بها الخطايا، وهي كلمة التوحيد.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله، عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: أمروا بالاستغفار. وعلى القولين فيكونون مأمورين بالدخول بالتوحيد والاستغفار، وضمن لهم بذلك مغفرة خطاياهم، فتلاعب الشيطان بهم، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، وفعلا غير الذي أمروا به"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "الكلمة التى تحط بها الخطايا، وهى كلمة التوحيد"(٣).

٦٧.من ثمراته أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام،

(١) الفتاوى الكبرى ٥/٢٧٤.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/١٠٨٧.

(٣) إغاثة اللهفان:٢/٣٠٨.

فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، كما فيحديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل ياموسى لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله فيكفة، مالت بهن لا إله إلا الله))"(١).

وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد"(٢).

٦٨.من ثمراته أن أهل التوحيد أبعد الناس عن التلبس بالنجاسات.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷺ: "نجاسة الزنا واللواط أغلظ من غيرهما من

(١) رواه ابن حبان (موارد الظمآن) ص ٥٧٧ حديث رقم (٢٣٢٤). والحاكم (المستدرك) ١ /٥٢٨ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الذهبي: (صحيح وفي تصحيح إسناده نظر؛ لأنه من رواية دراج عن أبي الهيثموهي رواية متكلم فيها).قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١ /٢٣٥: (صدوق فيحديثه عن أبي الهيثم ضعيف. اهـ.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص: ٢٤-٢٥.

النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدًا، ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركاء، فكلما كان الشرك في العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصا كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُوسُف: ٢٤]" (١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "النجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، وتارة تكون معنوية باطنة فيغلب على الروح والقلب الخبث والنجاسة، حتى إن صاحب القلب الحى ليشم من تلك الروح والقلب رائحة خبيثةيتأذى بها، كما يتأذى من يشم رائحة النتن، ويظهر ذلك كثيرا فى عرقه، حتى ليوجد لرائحة عرقه نتنا، فإن نتن الروح والقلب يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره. والعرق يفيض من الباطن"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "فكلما قوى شرك العبد بلى بعشق الصور، وكلما قوى توحيده صرف ذلك عنه" (٣).

٦٩.من ثمراته أن صاحب التوحيد له من العزة بحسب ما معه من التوحيد.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المُنَافِقُون: ٨].

(١) إغاثة اللهفان: ١/٦٤.
(٢) إغاثة اللهفان ١/٦٠.
(٣) إغاثة اللهفان: ١/٦٤.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٣٩].

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: ١٠].

قال الإمام قتادة (ت ١١٧هـ) ﵀: "من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله". أخرجه الطبري واختاره"(١).

كان داود الطائي (ت: ١٦٥ هـ) ﵀ يقول: "ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس"(٢).

قال سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨ هـ) ﵀: "ليس في الأرض صاحب بدعة إلاّ وهو يجد ذلّة تغشاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٌ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأَعۡرَاف: ١٥٢] "(٣).

قال يحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨ هـ) ﵀ "على قَدرِ إعزازِ المرءِ لله يُلبسُه الله من عِزه ويُقيم له العِزَّ في قُلوبِ المؤمِنين، وعلى قَدر خَوفِك من الله يهابك الخلق"(٤).

قال أبو حاتم محمد بن حبَّان البستي (ت: ٣٥٤ هـ) ﵀: "من استغنى بالله أغناه الله، ومن تعزز بالله لم يفقره، كما أن من أعتز بالعبيد أذله"(١).

---

(١) تفسير جامع البيان للطبري (تفسير سورة فاطر: الآية: ١٠).

(٢) حلية الأولياء (٣/٣٢٤).

(٣) حلية الأولياء ٧/٢٨٠.

(٤) صفوة الصفوة ٤/٩٥.

قال أبو حاتم محمد بن حبّان البستي (ت: ٣٥٤ هـ) رحمه الله: "القناعة تكون بالقلب؛ فمن غني قلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه، ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنا مطمئنًا، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائت نهاية لرغبته، والجَدُّ والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد"(٢).

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: عند قوله ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطَّلَاق: ٢] "التقوى سبب للمخرج من كل غم. فلا ينبغي لمخلوق أن يتوكل أو يتسبب أو يتفكر إلا في طاعة الله تعالى، وامتثال أمره، فإن ذلك سبب لفتح كل مرتج"(٣).

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "من لم يعتز بطاعة الله لم يزل ذليلاً، ومن لم يَستشفِ بكتاب الله لم يزل عليلاً"(٤).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ رحمه الله: "وجد المؤمن بهذه الشهادة أبوة إبراهيم، وهو قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحَج: ٧٨]. وأمومة أزواج النبي ﷺ ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأَحْزَاب: ٦]. وأخوة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرَات: ١٠]. واستغفار الأنبياء: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [مُحَمَّد: ١٩]. واستغفار الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غَافِر: ٧]. وشفيعًا

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء١/١٤٧.

(٢) روضة العقلاء صـ ١٥٠.

(٣) صيد الخاطر ١/٦٣.

(٤) التذكرة في الوعظ (ص٣٨).

مثل محمد ﷺ: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي))[(١)]"[(٢)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "من كان إيمانه أقوى من غيره، كان جنده من الملائكة أقوى"[(٣)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب"[(٤)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "والله سبحانه إنما ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه بدينه علما وعملا، لم يضمن نصر الباطل، ولو اعتقد صاحبه أنه محق، وكذلك العزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذى بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علم وعمل وحال، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عِمۡرَان: ١٣٩]. فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المُنَافِقُون: ٨]. فله من العزة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظ من العلو والعزة، ففى مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان، علما وعملا ظاهرا وباطنا" [(٥)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "العزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذى بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علم وعمل وحال، قال تعالى:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢).

(٢) عجائب القرآن صـ ٣٦-٣٧.

(٣) النبوات (ص ٤١٦).

(٤) مجموع الفتاوى ١٠ /١٨٦.

(٥) إغاثة اللهفان ٢/١٨١.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٩] "[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "إِذا اسْتغنى النَّاس بالدنيا فاستغن أَنْت بِاللَّه، وَإِذا فرحوا بالدنيا فافرح أَنْت بِاللَّه، وَإِذا أنسوا بأحبابهم فَاجْعَلْ أنسك بِاللَّه؛ تنَلْ بذلك غَايَة الْعِزّ والرفعة"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لا تسأل سوى مولاك فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه"[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله "فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المُنَافِقُون: ٨] "[٤].

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها؛ فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة"[٥].

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: "جرت عادة الله سبحانه كما يدل عليه الاستقراء برفع شأن من عودي لسبب علمه وتصريحه بالحق، وانتشار محاسنه بعد موته، وارتفاع ذكره، وانتفاع الناس بعلمه"[٦].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) رحمه الله: عند تفسير قوله

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/١٨١.

(٢) الفوائد ص: ١١٨.

(٣) الفوائد ص: ٥٠.

(٤) إغاثة اللهفان ٢/١٨١.

(٥) لطائف المعارف ص١٩٦.

(٦) البدر الطالع ١/٢٣٣.

تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: ١٠] "من كان يريد العِزَّة، فإنَّها جميعها لله وحده، فليطلبها منه، وليتسبَّب لنيلها بطاعته جَلَّوَعَلَا فإنَّ مَنْ أطاعه، أعطاه العِزَّة في الدُّنْيا والآخرة"(١).

قال الشيخ عبد العزيز السلمان (ت: ١٤٢٢ هـ):

"إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى... تقلب عريانا وإن كان كاسيا

"ولباس التقوى يستمر مع العبد لا يبلى ولا يبيد. وهو جمال القلب والروح. ولباس الثياب إنما يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات ثم يبلي ويبيد"(٢).

٧٠.من ثمراته أن التوحيد يورث الهمة العالية.

روي عن عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣ هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: "لا تصغرنَّ همتكم؛ فإني لم أرَ أقعد عن المكرمات من صغر الهمم"(٣).

قال سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ: "إذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان"(٤).

قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ) رَحِمَهُٱللَّهُ: "عليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتقِ رذائلها وما سفَّ منها؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ معالي الأمور، ويكره سفسافها"(٥).

---

(١) أضواء البيان٦/٢٨٠

(٢) مفتاح الأفكار ٢/٣٠٤.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ٣١٩).

(٤) حلية الأولياء (٧/٨٣).

(٥) ترتيب المدارك للقاص عياض ٢/٦٥.

❋ قال ممشاد الدينوري (ت٢٩٩) رحمه الله: "الهِمَّة مقدمة الأشياء؛ فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال"(١).

❋ قال أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت:٣٥٤هـ): رحمه الله "لن تصفو القلوب من وجود الدرن فيها حتى تكون الهمم في الله هما واحدا، فإذا كان كذلك كفي الهم في الهموم إلا الهم الذي يؤول متعقبه إلى رضا الباري جل وعز بلزوم تقوى الله في الخلوة والملاء"(٢).

❋ قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "ولله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها؛ فهم يبالغون في كل علم ويجتهدون في كل عمل يثابرون على كل فضيلة فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة وهم لها سابقون"(٣).

❋ قال النووي (ت: ٦٧٦ هـ) رحمه الله: "وليس بعاقل من أمكنه درجة وِراثة الأنبياء، ثم فَوَّتها!"(٤).

❋ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ضعف الإرادة والطلب: من ضعف حياة القلب وكلما كان القلب أتم حياة كانت همته أعلى وإرادته ومحبته أقوى"(٥).

❋ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الهمة العلية لا تزال حائمة حول ثلاثة أشياء، تعرف لصفة من الصفات العليا تزداد بمعرفتها محبة وإرادة؛ وملاحظة لمنة

---

(١) حلية الأولياء ٣٥٣/١٠.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٣٢/١.

(٣) صيدالخاطر ٩٠/١.

(٤) المجموع ٣٧/١.

(٥) مدارج السالكين ٢٦٣/٣.

تزداد بملاحظتها شكر أو طاعة؛ وتذكر لذنب تزداد بتذكره توبة وخشية"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "شغلوا قلوبهم بالدنيا! ولو شغلوها بالله والدّار الآخرة؛ لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحِكم وطرف الفوائد"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل، ولا الهمة العالية إلا في نفس نفيسة"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لابد للسالك من همَّة تسيِّره وترقِّيه، وعلم يبصِّره ويهديه، فلابد لكل طالب علم بجانب علمه من همة تسيره وترقيه في مدارج الطلب، بها يستعلي طالب العلم على سفاسف الأمور، ويتحلى بإرادة من حديد؛ إذ هو مقدم على أمر عظيم حاله، خطير شأنه، ألا وهو وراثة النبي ﷺ في التعليم والدعوة والبلاغ. فلا يصلح لهذه المنزلة من سفلت همته؛ فحامت حول الدنايا، أو ضعفت إرادته؛ فانكسرت أمام الصعاب والبلايا... وصاحب الهمة العالية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان، والعلم الذي يقربه إلى الله ويدنيه من جواره، فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خدع وغرور"(٤).

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٣٢/١.

(٢) الفوائد ص٩٨.

(٣) بدائع الفوائد ص: ٧٥٠.

(٤) مدارج السالكين ٤٥٧/١.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره. وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه. فالنية تفرد له الطريق والهمة تفرد له المطلوب"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين "همة ترقيه" و "علم يبصره، ويهديه"، فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين، أو من إحداهما: إما أن لا يكون له علم بها، فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالما بها، ولا تنهض همته إليها فلا يزال في حضيض طبعه محبوسا، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدودا منكوسا"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا،. فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "بين العبد وبين السعادة والفلاح قوة عزيمة وصبر ساعة وشجاعة نفس وثبات قلب. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصف بكلِّ خلق جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكلِّ خلق رذيل"(٥).

---

(١) الفوائد ص: ١٤٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/٥٩.

(٣) الفوائد ص ٢٦٢.

(٤) مدارج السالكين ٢/٨.

(٥) الفوائد ص: ٩٧.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "جميعُ المصالحِ إنما تنشأُ من الوقتِ، فإنْ أضاعَه ضاعَتْ عليه مصالِحُه كلُّها، ومتى أضاعَ الوقتَ لم يستدركْه"(١).

قال محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣ هـ) رحمه الله: "إنَّ مِنْ صِغَرِ الْهِمَّةِ، الْحَسَدُ لِلصِّدِّيقِ عَلَى النِّعْمَةِ"(٢).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "فمن كانت نفسه شريفة، وهِمَّته عالية لم يرض لها بالمعاصي؛ فإنها خيانةٌ، ولايرضى بالخيانة إلا من لا نفس له"(٣).

قال سعيد بن المسيّب (ت: ٩٤ هـ) رحمه الله: "ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد"(٤).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "فلا يلحقك العجز والكسل إذا رأيت أن الأمور لم تتمَّ لك بأول مرة، بل اصبر، وكرِّر مرَّة بعد أخرى، واصبر على ما يقال فيك من استهزاء وسخرية؛ لأن أعداء الدين كثيرون. ولا يثني عزمك أن ترى نفسك وحيدًا في الميدان، فأنت الجماعة وإن كنت واحدًا ما دمت على الحق، ولهذا ثِقْ بأنك منصور؛ إمَّا في الدنيا، وإمَّا في الآخرة"(٥).

---

(١) الداء والدواء ص:٣٥٨.

(٢) الآداب الشرعية ١/٣٥٩.

(٣) شرح حديث (مثل الإسلام) مجموع رسائل ابن رجب ١/٢٠٣.

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٢٢١).

(٥) "شرح العقيدة الواسطية"؛ لابن عثيمين، ص٥٣٧.

٧١.من ثمراته أن التوحيد تكفل الله لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النُّور: ٥٥].

- قال مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ) رحمه الله: " ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يعني يوحدونني ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ من الآلهة"(١).

- قال محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يقول: يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ يقول: لا يشركون في عبادتهم إياي الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها، بل يخلصون لي العبادة فيفردونها إليَّ دون كل ما عبد من شيء غيري"(٢).

- قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وروي أن سبب هذه الآية أن أحد أصحاب النبي ﷺ شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزلت هذه الآية عامة لأمة محمد عليه السلام"(٣).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النور الآية: ٥٥).

(٢) تفسير الطبري (سورة النور الآية: ٥٥).

(٣) تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (سورة النور الآية: ٥٥).

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدهما: لا يعبدون إلها غيري، حكاه النقاش.

الثاني: لا يراءون بعبادتي أحدا.

الثالث: لا يخافون غيري، قاله ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما.

الرابع: لا يحبون غيري، قاله مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله "[١].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال"[٢].

قال. ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وكذلك الدفع عن العبد هو بحسب إيمانه، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] فإذا ضعف الدفع عنه فهو من نقص إيمانه، والله سبحانه إنما ضمن نصر دينه وحزبه وأولياءه بدينه علما وعملا، لم يضمن نصر الباطل، ولو اعتقد صاحبه أنه محق"[٣].

٧٢.من ثمراته أن التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة النور الآية: ٥٥).

(٢) القول السديد شرح. كتاب التوحيد ص: ٢٥..

(٣) إغاثة اللهفان ١٨١/٢.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦] قال: "كان هذا الحي من العرب أذلَّ الناس ذلًا وأشقاهُ عيشًا، وأجوعَه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينَه ضلالا مكعومين(١).، على رأس حجر، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدِّي في النار، يوكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرَّ منهم منزلًا حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسَّع به في الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس. فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعمٌ يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى"(٢).

قال محمد بن إدريس بن القاسم رحمه الله:

"مثل الرزق الذي تطلبه... مثل الظل الذي يمشي معك.

أنت لا تدركه متبعًا.... فإذا وليت عنه اتبعك"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي.

---

(١) هو شيء يجعل على فم البعير يمنعه لئلا يعض أو يأكل.

(٢) تفسير الطبري (سورة الأنفال: الآية: ٢٦).

(٣) تكملة الصِّلة ١٣٨/٢.

ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه"(١).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "فكل إنسان يفر من عبادة الله فإنه سيبقى في رق الشيطان"(٢).

قال عبد الله الغنيمان: "والتوحيد الخالص هو الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين كما يسمون، وشيوخ الطرق الباطلة والدجل، والضلال والتعلقات بالأحياء والأموات، ويخلصها كذلك من إله المادة والتعلق بالطواغيت الماديين وكل مخلوق، فيطلق عزائمهم من قيود العبودية لغير الله والتعلقات بالأحياء والأموات، فيكون المؤمن مع الناس حرا عزيزا كريما، ومع الله عبدا خاضعا ذليلا خائفا، فهذا الذي يجب على العبد أن يعتني به أشد الاعتناء، ويحذر أشد الحذر أن ينحرف عنه؛ لأن الانحراف عنه هو الهلاك المحتم والخسران الأكبر والخلود في جهنم"(٣).

المسلم المؤمن بربه يتحرر من عبودية كل شيء سوى الله تعالى، فهو لا يرى لأحد عليه نعمة ولا فضل إلا للذي خلقه، فيرتبط قلبه بربه بعرى وثيقة، فلا يسجد ولا يخضع إلا للذي خلقه، ويتوكل على الله تعالى في كل شؤونه، فلا يطلب الرزق إلا من الله تعالى، ولا يخشى أحداً إلا الله تعالى.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص: ٢٤.

(٢) شرح الأربعين النووية ص ٢٨٥.

(٣) بحث بعنوان أول واجب على المكلف عبادة الله–مجلة الجامعة الإسلامية–العدد ٦٢

٧٣.من ثمراته أن التوحيد أول ما يسأل عنه العبد في قبره:

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصَّافَّات: ٢٤].

قال ئالحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط، فقيل: وقفوهم ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾.

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "عن لا إله إلا الله"[(١)].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿وَقِفُوهُمۡ﴾ أي: احبسوهم، وهذا قبل أن يدخلوا النار ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ عن لا إله إلا الله"[(٢)].

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إِبۡرَاهِيم: ٢٧].

عن البراء بن عازب (ت: ٧٢ هـ) رضي الله عنه مرفوعاً: ((المسلمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فذلك قولُهُ تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إِبۡرَاهِيم: ٢٧]))[(٣)].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الصافات الآية: ٢٤)،تفسير القرطبي (سورة الصافات الآية: ٢٤).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/٥٨.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

الله ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني قبل الموت، ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير. وقيل: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: عند السؤال في القبر"(١).

قال حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: "وهذه الآية نصُّها في عذاب القبر بصريح الأحاديث، وباتِّفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم، وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقة"" (٢).

٧٤.من ثمراته أن قيام التوحيد مانع لقيام الساعة

عَنْ أَنَسٍ (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ»(٣).

عَنْ عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، قَالَ: فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

(٢) "معارج القبول": (١١٥/٢).

(٣) رواه مسلم (١٤٨)

رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ))[(١)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وأخبر النبي ﷺ أن في آخر الزمان يرفع الله بيته من الأرض وكلامه من المصاحف وصدور الرجال فلا يبقى له في الأرض بيت يحج ولا كلام يتلى فحينئذ يقرب خراب العالم وهكذاالناس اليوم إنما قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم وقيام امورهم حصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم بحسب ظهورها بينهم وقيامها.

وهلاكهم وعنتهم وحلول البلاء والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتخاذ سواها.

ومن تأمل تسليط الله سبحانه على من سلطه على البلاد والعباد من الأعداء علم أن ذلك بسبب تعطيلهم لدين نبيهم وسننه وشرائعه فسلط الله عليهم من أهلكهم وانتقم منهم حتى إن البلاد التي لآثار الرسول ﷺ وسننه وشرائعه فيها ظهور دفع عنها بحسب ظهور ذلك بينهم"[(٢)].

٧٥.من ثمراته أن التوحيد يدخل الله به الجنة.

فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة

(١) رواه مسلم (١٤٨).

(٢) جلاء الأفهام صـ ٣١٣.

على ما كان من العمل))[١].

وفي حديث جابر بن عبد الله(ت: ٧٨ هـ) رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة))[٢].

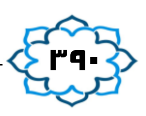
وفي حديث عمر (ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء"[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "ويعفى لأهل التوحيد المحض الذى لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك فلو لقى الموحد الذى لم يشرك بالله شيئًا البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده وشابه بالشرك، فإن التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب. فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب"[٤].

٧٦.من ثمراته أن التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب.

ففي حديث عتبان بن مالك الأنصاري (ت: وسط خلافة معاوية) رضي الله عنه عن

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٢) رواه مسلم (٢٩٤٠)
(٣) رواه مسلم (٢٣٤)
(٤) إغاثة اللهفان ١/٦٤.



النبي ﷺ: ((... فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))(١).

عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤ هـ) رضي الله عنه مرفوعا: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، حرم الله عليه النار))(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الكامل: هُوَ من كَانَ لله أطوع وعَلى مَا يُصِيبهُ أَصْبِر.

فَكلما كَانَ أتبع لما يَأْمر الله بِهِ وَرَسُوله وَأعظم مُوَافقَة لله فِيمَا يُحِبهُ ويرضاه وصبرا على مَا قدره وقضاه كَانَ أكمل وَأفضل. وكل من نقص عَن هذَيْن كَانَ فِيهِ من النَّقْص بِحَسب ذَلِك"(٣).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "قولهتعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فُصِّلَت: ٦]: "فمن كان له أصل الاستقامة في التوحيد أمن من النار بالخلود، ومن كان له كمال الاستقامة في الأصول والفروع أمن الوعيد"(٤).

قال سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت: ١٢٣٣هـ) رحمه الله: "وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه،

---

(١) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٢) رواه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢)، وأحمد (٣/١٣١، ٣/١٥٧، ٣/٢٤٤).

(٣) دقائق التفسير ٢/٢٩٩.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧/١٨٣.

غير شاك فيها بصدق ويقين، فبحقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه، دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيرا ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدا أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّخْرُف: ٢٣]. وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلا، فإنه كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم من النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا

الإيمان، وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة وهذا اليقين، لا يتركون له ذنبا إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مصر على ذنب أصلا، فيغفر له ويحرم على النار، وإن قالها على وجه خلص بهعلى الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة، فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته على حسناته ومات مصرا على ذلك، فإنه يستوجب النار، وإن قال: لا إله إلا الله، وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصا، لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المخلص المستيقن، فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مصرا على سيئة، فإن مات على ذلك دخل الجنة، وإنما يخاف على المخلص أن يأتي بسيئات راجحة يضعف إيمانه، فلا يقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السيئات، ويخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإن سلم من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجح جانب السيئات، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف بذلك قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة، فهؤلاء

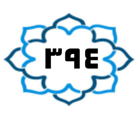
لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك الصدق واليقين، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة، وإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأن إلى الباطل واستحلى الرفث ومخالطة أهل الغفلة، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدق عمله، كما قال الحسن: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر فيالقلوب وصدقته الأعمال، فمن قال خيرا وعمل خيرا قبل منه، ومن قال شرا وعمل شرا لم يقبل منه.

❁ وقال بكر بن عبد الله المزني (ت: ١٠٨ هـ) رحمه الله: "ما سبقهم أبو بكر رضي الله عنه، بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه"(١).

فمن قال: لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبا وسيئات، وكان صادقا في قولها موقنا بها، لكن ذنوبه أضعاف أضعاف صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي، رجحت هذه الأشياء على هذه الحسنة، ومات مصرا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق تام، فإنه لا يموت مصرا على الذنوب، إما أن لا يكون مصرا على سيئة أصلا أو يكون

---

(١) قال المرتضى الزبيدي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي "قال العراقي: لا أصل لهذا مرفوعا، وإنما يعرف من قول بكر بن عبد الله المزني رواه الحكيم الترمذي في نوادره.
قال المحقق: وبكر ثقة سمع من ابن عباس وابن عمر، وعزاه ابن القيم إلى أبي بكر بن عياش من قوله، ولفظه: "ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه".



توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها قد فاتهم أحد هذين الشرطين: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات، أو لرجحان السيئات، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات بل ترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصا"[١].

٧٧.من ثمراته أن التوحيد يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة من خردل وأنه إذا اكتمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤ هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل))[٢].

عن أَنسٍ (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه: "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل، قال: يا معاذ قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ قال: لبيك رسول الله وسعديك، قال: ما

(١) تيسير العزيز الحميد صـ ٦٣-٦٦؛ وانظر: رسالة العبودية لابن تيمية ص: ١٢٣-١٢٦.

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا، قال: إذا يتكلوا، فأخبر بها معاذ عند موته تأثما"(١).

عن عتبان بن مالك الأنصاري (ت: وسط خلافة معاوية) ﵁ «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"(٢).

عن جابر (ت: ٧٨ هـ) ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»(٣).

عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤ هـ) ﵁، قال: «... أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان... »(٤).

عن عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢ هـ) ﵁ قال: يقول أهل النار لمن دخلها من أهل التوحيد: قد كان هؤلاء مسلمين، فما أغنى عنهم؟! قال: فيغضب لهم ربهم فيدخلهم الجنة، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين"(٥).

قال سعيد بن محمد الغساني ويعرف بأبي عثمان بن الحداد (ت: ٣٠٢ هـ) ﵀ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).
(٢) رواه البخاري (٥٤٠١).
(٣) رواه مسلم (٩٣).
(٤) رواه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).
(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/٣٧٩.

﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]: "إن الله تعالى لا يخلد في النار من عمل عملا مقبولا منه، إذ قبول العمل يوجب ثوابه، والتخليد في العذاب يمنع ثواب الأعمال، وقد أخبر الله تعالى في كتابه الصادق به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النِّسَاء: ٤٠] وترك المثوبة على الإحسان ظلم، تعالى الله عن ذلك"(١).

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "وفي تفسير السدي رحمة الله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هُود: ١٠٧] يعني: ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار"(٢).

❁ قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) رحمه الله: "وأما قوله فى حديث أبى ذر: ((من قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك دخل الجنة وإن زنا وإن سرق)). وقول البخارى: فقال هذا عند الموت إذا تاب وندم وقال: لا إله إلا الله، غفر له. هذا تفسير يحتاج إلى تفسير آخر، وذلك أن التوبة والندم إنما تنفع فى الذنوب التى بين العبد وبين ربه، فأما مظالم العباد فلا تسقطها عنه التوبة.

ومعنى الحديث أن من مات على التوحيد أنه يدخل الجنة وإن ارتكب الذنوب، ولا يخلد فى النار بذنوبه كما يقوله الخوارج وأهل البدع"(٣).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/٢٣٦.
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/٣١٠.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/١٠٤-١٠٥.

قال النووي (ت: ٦٧٦ هـ) رحمه الله: "لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "ولا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد بل يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان أو مثقال شعيرة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام فكيف بالإيمان الذي يمنع من دخولها"(٣).

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: "فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة ولا تمسهم النار أبدا.

الثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يقفوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة كما قال

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٨/١.

(٢) قاعدة في المحبة صـ ٦٧.

(٣) روضة المحبين صـ ١٦٨.

الله تعالى بعد أن أخبر بدخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتناديهم فيها، قال: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ٤٦] إلى قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ٤٩]

الطبقة الثالثة: قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد والإيمان، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، ومنهم من تأخذه إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، حتى أن منهم من لم يحرم الله منه على النار إلا أثر السجود، وهذه الطبقة هم الذين يأذن الله تعالى في الشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من بعده من الأنبياء والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه، فيحد لهم حدا فيخرجونهم، ثم يحد لهم حدا فيخرجونهم وهكذا فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار من خير، ثم من كان في قلبه وزن برة من خير، إلى أن يخرجوا منها من في قلبه وزن ذرة من خير، إلى أدنى من مثقال ذرة إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيرا. ولن يخلد في النار أحد ممن مات على التوحيد ولو عمل أي عمل، ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانا وأخف ذنبا كان أخف عذابا في النار وأقل مكثا فيها وأسرع خروجا منها، وكل من كان أعظم ذنبا وأضعف إيمانا كانبضد ذلك، والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: ((من

قال: لا إله إلا الله نفعته يوما من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه» [(١)]؛ وهذا مقام ضلت فيه الأفهام وزلت فيه الأقدام واختلفوا فيه اختلافا كثيرا: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البَقَرَة: ٢١٣] "[(٢)].

٧٨.من ثمراته أن الأعمال والأقوال متوقفة في قبولها وكمالها على التوحيد.

فجميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمّت.

وفي السُّنة النبوية دلالةٌ على عدم نفع الأعمال لمن لم يوفِّ حقَّ التوحيد وأشرَكَ بالله تعالى؛

❁ فعن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «قال اللهُ تباركَ وتعالَى: أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ؛ مَن عمِل عملًا أشرَكَ فيه معِي غيرِي، تركتُه وشِركَه»[(٣)].

❁ عن أم المؤمنين عائشة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنها قالت: يا رسولَ اللهِ، ابنُ

---

(١) (صحيح) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١ /٥٦)، وأبو نعيم (٥ /٤٦)، وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٩٣٢).

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة صـ١١٥-١١٧.

(٣) (رواه مسلم: ٢٩٥٨).

جُدْعَانَ كان في الجاهليةِ يصلُ الرَّحِمَ، ويُطعِمُ المسكينَ، فهلْ ذاكَ نافعُهُ؟ قال: ((لا ينفعهُ؛ إنهُ لم يقُلْ يومًا: ربِّ اغفرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّينِ))(١).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) ﵀: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأَحزَاب: ٧١] لا يقبل العمل إلا ممن قال: لا إله إلا الله، مخلصا من قلبه"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "ففعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات يدخل في التوحيد في قول: لا إله إلا الله؛ فإنه من لم يفعل الطاعات لله ويترك المعاصي لله: لم يقبل الله عمله، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المَائـِدَة: ٢٧] "(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﵀: "العمل بغير إخلاصٍ ولا اقتداءٍ؛ كالمسافر يملأُ جرابه رملاً يُثقله ولا ينفعه"(٤).

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦ هـ) ﵀: "﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [مُحَمَّد: ١٩] يحتج به على تقديم أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره؛ لتقديمه التوحيد هاهنا، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة الفرع، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره"(٥).

---

(١) (رواه مسلم: ٢١٤).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/٤١٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/٣٤.

(٤) الفوائدص٤٩

(٥) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٨٤.

قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨ هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل؛ وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد"(١).

قال محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ) رحمه الله "فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر، سبحان الله ما أعجب هذا الجهل"(٢).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد"(٣).

قال محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت: ١٣٨٩هـ) رحمه الله: "فالحاصل أنه لو قدر أن التوحيد بعض المذكورات لكان جحده كفرًا، فكيف وهو أساس ذلك كله؟! بل التوحيد قد يكفي وحده في إسلام العبد ودخوله الجنة؛ فإنه إذا تكلم بكلمة التوحيد ثم توفى قبل وجوب شيء من الفروع عليه كفى التوحيد وحده؛ فالتوحيد ليس فقيرا إليها بل هي الفقيرة إليه في صحتها"(٤).

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (سورة الأحقاف: الآية: ١٣)، ٨/٨٢.

(٢) كشف الشبهات ص: ٣٩.

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص: ٣٦

(٤) شرح كشف الشبهات للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ص: ٩٥.

٧٩.من ثمراته أن الكمل من أهل التوحيد يدخلون الجنة بغير حساب.

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: ((عُرضت عليّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير. قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: اللهم اجعله منهم. ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة))(١).

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوَّة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً))(٢).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥).

عن سهل بن سعد (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر))(١).

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما وفي الحديث: ((هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون))(٢)

فالمشار إليهم في الحديث هم في منزلة عالية من هذه الأمة لمزايا خاصة اختصوا بها تتعلق بالتوحيد.

٨٠.من ثمراته أن كلمة التوحيد توجب البراءة من الشرك وأهله.

قال ابن تيمية: "فإن أهل الملل متفقون على أن الرسل جميعهم نهوا من عبادة الأصنام، وكفروا من يفعل ذلك، وأن المؤمن لا يكون مؤمنا حتى يتبرأ من عبادة الأصنام وكل معبود سوى الله، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [المُمْتَحنَة: ٤].

وقال الخليل: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٥ - ٧٧]..

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥٢٧٠).

وقال الخليل لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾ [الزُّخْرُف: ٢٦ - ٢٧].

وقال الخليل وهو إمام الحنفاء، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، واتفق أهل الملل على تعظيمه لقوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأَنْعَام: ٧٨ - ٧٩] "(١).

٨١.من ثمراته أن كلمة التوحيد فيها تبرئة من الشرك الأصغر وتكفره.

❁ قال ابن تيمية: "ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك. فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار"(٢).

وجاء في الحديث: «الشركُ أخفَى في أمتي من دبيبِ النملِ على الصَّفا، فقال أبو بكرٍ: فكيف النجاةُ من ذلك؟ فقال: يا أبا بكرٍ ألا أُعلِمُكَ شيئًا إذا قلتَه برِئتَ من قليلِهِ وكثيرِهِ، قلِ: اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أُشرِكَ وأنا أعلمُ، وأستغفرُك مما لا أعلم»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/١٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/٨٢.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٦٠)، وابن حبان في ((المجروحين)) (٣/١٣٠)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (٢٨٦) وقال الذهبي ميزان الاعتدال (٤/٤٠٣): "فيه يحيى بن كثير صاحب البصري ذكر من جرحه".

٨٢.من ثمراته أن التوحيد يُسَهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات.

التوحيد إذا كَمُل في القلب حبّب الله لصاحبه الإيمان، وزيّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "التوحيد إذا كَمُل في القلب حبّب الله لصاحبه الإيمان، وزيّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين"(١).

فالموحِّد المخلص لله في توحيده تخفُّ عليه الطاعات؛ لِمَا يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لِمَا يخشى من سخط الله وعقابه.

٨٣.من ثمراته أن التوحيد يشرح الصدر ويخفف عن العبد المكاره، ويهوِّن عليه الآلام، ويسلّيه عن المصائب.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأَنْعَام: ١٢٥].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد لابن سعدي ص: ٢٤.

﴿صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ يقول: "يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به"(١).

عن ابن جريج (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله، قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾، بـ "لا إله إلا الله"(٢).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾ لدينه، ﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾، نزلت في النبي ﷺ، يعني يوسع قلبه، ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ عن دينه، ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتوحيد، يعني أبا جهل، حتى لا يجد التوحيد من الضيق مجازا، ثم قال: ﴿حَرَجًا﴾ شكا، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، يقول: هو بمنزلة المتكلف الصعود إلى السماء لا يقدر عليه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعني هكذا، ﴿يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾، يقول: الشر، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ بالتوحيد"(٣).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ [سَبَإ: ٤٦] "ومن وحد الله حق التوحيد يشرح الله صدره ويرفع في الآخرة قدره"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ): "التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة الأنعام الآية: ١٢٥)..

(٢) تفسير الطبري (سورة الأنعام الآية: ١٢٥)..

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأنعام الآية: ١٢٥).

(٤) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (سورة سبأ الآية: ٤٦).

﴿لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢] "[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷀ: "من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب، واشتد به القلق"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷀ: "فأتبع الناس لرسوله ﷺ أشرحهم صدرا، وأوضعهم وزرا، وأرفعهم ذكرا، وكلما قويت متابعته علما وعملا وحالا وجهادا، قويت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبها أشرح الناس صدرا، وأرفعهم في العالمين ذكرا. وأما وضع وزره فكيف لا يوضع عنه ومن في السماوات والأرض ودواب البر والبحر يستغفرون له؟وهذه الأمور الثلاثة متلازمة، كما أضدادها متلازمة، فالأوزار والخطايا تقبض الصدر وتضيقه، وتخمل الذكر وتضعه، وكذلك ضيق الصدر يضع الذكر ويجلب الوزر، فما وقع أحد في الذنوب والأوزار إلا من ضيق صدره وعدم انشراحه، وكلما ازداد الصدر ضيقا كان أدعى إلى الذنوب والأوزار، لأن مرتكبها إنما يقصد بها شرح صدره، ودفع ما هو فيه من الضيق والحرج، وإلا فلو اتسع بالتوحيد والإيمان ومحبة الله ومعرفته وانشرح بذلك لاستغنى عن شرحه بالأوزار"[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) ﷀ عن انشراح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر"لا يزال المطيع لله ورسوله الذي باشر قلبه روح التوحيد وتجريده ومحبة الله

---

(١) زاد المعاد ٢/٢٢.

(٢) الكلام على مسألة السماع ١/٣٩٧.

(٣) الكلام على مسألة السماع ١/٣٩٧.

ورسوله وامتثال أمره دائرا بين تلك المنازل الثلاث"(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامة على الخير، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحُجُرَات: ٧] "(٢).

قال محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥ هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٥]: يوسع قلبه، ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾: للتوحيد"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "يقول تعالى مبينا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك

---

(١) الكلام على مسألة السماع ١/٣٩٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة الأنعام الآية: ١٢٥).

(٣) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي. (سورة الأنعام الآية: ١٢٥).

أقوم الطريق"[١].

فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقَّى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليمٍ ورضًا بأقدار الله المؤلمة، وهو من أعظم أسباب انشراح الصدر.

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة"[٢].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "ومن فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما"[٣].

❁ قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه"[٤].

❁ قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "فإذا رأيت من نفسك أن صدرك ينشرح بالطاعة، وأنه يضيق بالمعصية، فهذه بشرى بشرى

(١) تفسير السعدي (سورة الأنعام الآية: ١٢٥)..
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص: ٢٤.
(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص: ٢٣.
(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص: ٢٤.



لك أنك من عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (جعلت قرة عيني في الصلاة)"(١).

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزُّمَر: ٢٢].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ يقول: أفمن وسع الله قلبه للتوحيد ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ﴾ يعني على هدى ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني النبي ﷺ ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ﴾ يعني الجافية ﴿قُلُوبُهُم﴾ فلم تلن، يعني أبا جهل ﴿مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعني عن توحيد الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ آية يعني أبا جهل يقول الله تعالى للنبي ﷺ: ليس المشرح صدره بتوحيد الله كالقاسي قلبه ليسا بسواء"(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: أفمن فَسَح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢] يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحقّ في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيّقه عن استماع الحق، واتّباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه"(٣).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الزُّمَر: ٢٢] أي: وسع ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢] أي: ذلك

(١) شرح رياض الصالحين ٦/٦١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الزمر: الآية: ٢٢).

(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري (سورة الزمر: الآية: ٢٢).

النور في قلبه ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ [الزُّمَر: ٢٢] الآية: أي: أن الذي شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ليس كالقاسي قلبه الذي هو في ضلال مبين عن الهدى؛ يعني: المشرك"(١).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: " وقوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢] معناه: على بصيرة ويقين من توحيد ربه"(٢).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الزُّمَر: ٢٢] يعني: وسع الله قلبه للإسلام. ويقال: لين الله قلبه لقبول التوحيد، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٢٢] يعني: على هدى من الله تعالى"(٣).

قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠ هـ) رحمه الله: "ذكر الله عَزَّوَجَلَّ يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانيَّة، ويوجب القَسْوَة والبعد عن الحقّ في النفوس الخبيثة الشَّيْطَانِيَّة"(٤).

قال يحيى بن معاذ الرازي (ت: ٢٥٨ هـ) رحمه الله: "ما جفت الدموع إلا لقساوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب، وما كثرت الذنوب إلا من كثرة العيوب"(٥).

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (سورة الزمر: الآية: ٢٢).
(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة الزمر: الآية: ٢٢).
(٣) تفسير بحر العلوم للسمرقندي (سورة الزمر: الآية: ٢٢).
(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل. (الزمر: ٢٢).
(٥) شعب الإيمان للبيهقي الأثر (٦٨٢٨).





٨٤. من ثمراته أن التوحيد أول ما يتم البدء به مع الأطفال في تعليمهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "فإذا كان وقت نطقهم فليلقّنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه، ينظر إليهم، ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا"(١).

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "كان السلف إذا نشأ لأحدهم ولد؛ شغلوه بحفظ القرآن وسماع الحديث، فيثبت الإيمان في قلبه"(٢).

٨٥. من ثمراته أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطَّلَاق: ٣]"(٣).

---

(١) تحفة المولود ص: ٢٣١.

(٢) صيد الخاطر صـ ٤٩١.

(٣) تفسير ابن كثير (سورة الحج: الآية: ٣٨).

قال البغوي: "يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨]، أي: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه"(١).

٨٦.من ثمراته أن الله يمن على أهل التوحيد بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "والنور عبارة عن الهدى والإيمان"(٢).

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه أنه فسرها بالقناعة. وكذا قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ)، وعكرمة (ت: ١٠٥ هـ)، ووهب بن منبه (ت: ١١٤ هـ)"(٣).

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما "إنها السعادة"(٤).

---

(١) تفسير البغوي (سورة الحج: الآية: ٣٨).

(٢) تفسير القرطبي (سورة الأنعام: الآية: ١٢٢).

(٣) تفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٤) تفسير القرطبي (سورة النحل: الآية: ٩٧)، تفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٧).

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، وجماعة أنهم فسروها: "بالرزق الحلال الطيب"[١].

قال الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢ هـ) رحمه الله: "هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا"[٢].

قال الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢ هـ) رحمه الله أيضا: "هي العمل بالطاعة والانشراح بها"[٣].

قال الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ) رحمه الله: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق"[٤].

قال الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ) رحمه الله، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، وقتادة (ت: ١١٨ هـ) رحمه الله: "لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة"[٥].

قالوا للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) رحمه الله: ما الإيمان؟قال: الطمأنينة"[٦].

قال جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ): "هي المعرفة بالله، وصدق المقام بين يدي الله"[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٢) تفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٣) تفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٤) حلية الأولياء ٦/١٧١.

(٥) تفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٦) تهذيب اللغة ١٥/٣٧٠.

(٧) تفسير القرطبي (سورة النحل: الآية: ٩٧).

قال أبو بكر الوراق (ت: ٢٤٠ هـ) رحمه الله: "هي حلاوة الطاعة"[١].

قال سهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣ هـ) رحمه الله: "هي أن ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره إلى الحق"[٢].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "وقيل هي السعادة، وقيل: الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق. وقيل: الرضا بالقضاء"[٣].

قال ابن تيمية: (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: " قال ابن تيمية: "الْعَبْدَ لَا يَطْمَئِنُّ إلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَجِيءُ إلَّا مِنْهَا؛ وَلَا يَشْتَغِلُ بِمَلَامِ النَّاسِ وَذَمِّهِمْ، وَلَكِنْ يَرْجِعُ إلَى الذُّنُوبِ فَيَتُوبُ مِنْهَا وَيَسْتَعِيذُ بِاَللَّهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَسَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى طَاعَتِهِ؛ فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ الْخَيْرُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ الشَّرُّ"[٤].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحدا إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد"[٥].

---

(١) تفسير القرطبي (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٢) تفسير القرطبي (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٣) تفسير القرطبي (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٤) مجموع الفتاوى ٢١٥/٨

(٥) الفوائد صـ ٢٠٢.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله"(١).

قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يُوسُف: ٢٤].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادة،، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا، فهو ممن أخلصه الله"(٢).

٨٧.من ثمراته أن التوحيد غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه.

قال قتادة (ت: ١١٨ هـ) رحمه الله وغيره من السلف: "إن الله سبحانه لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليه، ولا نهاهم عنه بخلًا منه، بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم"(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٧).

(٢) تفسير الطبري (سورة يوسف: الآية: ٢٤).

(٣) قاعدة في المحبة لابن تيمية (ص ٢٥٥)..

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، لا كما يقول من يعتقد من أهل الكلام ونحوهم: إن عبادته تكليف ومشقة وخلاف مقصود القلب لمجرد الامتحان والاختبار، أو لأجل التعويض بالأجرة كما يقوله المعتزلة وغيرهم؛ فإنه وإن كان فى الأعمال الصالحة ما هو على خلاف هوى النفس، والله ـ سبحانه يأجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ [التَّوْبَة:١٢٠]، وقال ﷺ لعائشة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنها: ((أجرك على قدر نصبك)). فليس ذلك هو المقصود الأول بالأمر الشرعى، وإنما وقع ضمنا وتبعا لأسباب ليس هذا موضعها، وهذا يفسر فى موضعه.

ولهذا لم يجئ فى الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح: أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمةوالمتفقهة، وإنما جاء ذكر التكليف فى موضع النفى، كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة:٢٨٦]، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النِّسَاء: ٨٤] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطَّلَاق: ٧] أى: وإن وقع فى الأمر تكليف، فلا يكلف إلا قدر الوسع، لا أنه يسمى جميع الشريعة تكليفا، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب؛ ولذات الأرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذى تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه فى ذلك أبدا. قال الله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مَرْيَم: ٦٥] "[(١)].

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة صـ ٣٦-٣٧.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فالذي شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد، وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وظلم وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "إنّ الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم؛ ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولّاه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧﴾ [الزُّخْرُف: ٣٦ - ٣٧] "(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما؛ وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء فإذا تُرك الذكر صدئ فإذا ذكر جلاه"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الذكر روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه"(٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "لا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم وقلوبهم فيها كالأموات في القبور وقيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم * وأجسامهم قبل القبور قبور**"(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٩٥.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٣٩٩.
(٣) الوابل الصيب (ص ٩٢).
(٤) مدارج السالكين ٢/٤٧٦.
(٥) مدارج السالكين ٢/٤٣٠.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "وهذا أمر مجرب أن العبادة تنشط البدن وتلينه، وأن النوم يكسل البدن فيقسيه"(١).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "أهلُ الطّاعةِ عندهم إستقرار وعندهم طمأنينة، ولو كان الواحد منهم فقيراً، فإنّ الله يُعطيه سَعَةَ بالٍ وقناعَةً"(٢).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله في قصة زكريا عليه السلام: " قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ [آل عِمۡرَان: ٤١] أمره الله تعالى بأن يذكر ربّه كثيرًا؛ لأنه بذكر الله تطمئن القلوب، ويزداد الإيمان، ويستنير القلب فلهذا أمره الله أن يذكر ربه كثيرا.. وبشره بأنه لن يمتنع من ذكر الله الذي هو أجلّ وأشرف من مخاطبة الناس وكلامهم"(٣).

قال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "ينبغي للإنسان إذا انقطع عن الناس أن يشغل وقته بذكر الله عَزَّوَجَلَّ"(٤).

٨٨.من ثمراته أن التوحيد سلعة الله مشتريها.

قال ابن القيم: "لا إله إلا الله سلعة، الله مشتريها، وثمنها الجنة، والدلال الرسول، ترضى بيعها بجزء يسير مما لا يساوي كله جناح بعوضة"(٥).

---

(١) البداية والنهاية ٩/٢٩٤.

(٢) تفسير سورة المائدة ٢/٩٠.

(٣) تفسير سورة آل عمران ١/٢٤٨.

(٤) تفسير سورة آل عمران ١/٢٥٣.

(٥) الفوائد صـ ٤٢.

٨٩.من ثمراته أن التوحيد يُعطى الموحد مهابة وحلاوة بحسب إيمانه.

قال الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ) ﷺ: "إن المؤمن رزق حلاوة ومهابة"(١).

قال وكيع بن الجراح (ت: ١٩٧ هـ) ﷺ: "ما نعيش إلا في ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم"(٢).

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) ﷺ: "والحق سبحانه يستر مثالِبَ العاصين ولا يفضحهم لئلا يحجبوا عن مأمول أفضالهم، ويستر مناقِبَ العارفين عليهم لئلا يُعْجَبُوا بأعمالهم وأحوالهم، وفَرْقٌ بين سَتْرٍ وَسَتْرٍ، وشَتَّان ما هما!"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﷺ: "وأما التوحيد أن يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، فلا يحب شيئا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه، ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله ويكرمه"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﷺ: "الجمال الذي للخُلُق، من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخَلْق، وهو الصورة الظاهرة"(٥).

---

(١) جلاء الأفهام صـ: ١٨٨.

(٢) الجرح والتّعديل (٢٢٣/١).

(٣) لطائف الإشارات للقشيري (تفسير سورة الأنفال: الآيات ٢-٤).

(٤) جامع المسائل ٢٧٩/٣.

(٥) الاستقامة، لابن تيمية ١ /٤٤١.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "يعني يحب ويهاب ويجل بما ألبسه الله سبحانه من ثوب الإيمان المقتضي لذلك ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب وأجل في صدره من رسول الله ﷺ في صدر الصحابة رضي الله عنهم قال عمرو بن العاص قبل إسلامه أنه لم يكن شخص أبغض إلي منه فلما أسلم لم يكن شخص أحب إليه منه ولا أجل في عينه منه قال ولو سئلت أن أصفه لكم لما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه إجلالا له"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "المؤمن يُعطى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه؛ فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وهذا أمر مشهود بالعيان فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحلى الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل ولا سيما إذا رُزِق حظا من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه.
وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت إنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضًا على عبده يوجب شكرًا فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالا على جماله وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبه له شيئا ظاهرا في الدنيا قبل الآخرة فتعود تلك المحاسن وحشة

---

(١) جلاء الأفهام صـ ١٨٨.

(٢) روضة المحبين صـ ٢٢١.

وقبحا وشينا وينفر عنه من رآه فكل من لم يتق الله عَزَّوَجَلَّ في حسنه وجماله انقلب قبحا وشينا يشينه به بين الناس فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ﴾ [فَاطِر: ١] قالوا هو الصوت الحسن والصورة الحسنة والقلوب كالمطبوعة على محبته كما هي مفطورة على استحسانه

وقد ثبت في الصحيح عنه أنه قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قالوا يا رسول الله ﷺ الرجل يحب أن تكون نعله حسنة وثوبه حسنا أفذلك من الكبر فقال: ((لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس))(٢)، فبطر الحق جحده ودفعه بعد معرفته، وغمط الناس النظر إليهم بعين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم ولا بأس بهذا إذا كان لله وعلامته أن يكون لنفسه أشد ازدراء واستصغارا منه لهم فأما إن احتقرهم لعظمة نفسه عنده فهو الذي لا يدخل صاحبه الجنة"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فبطر الحق جحده ودفعه بعد معرفته، وغمط الناس النظر إليهم بعين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم ولا بأس بهذا إذا كان لله وعلامته أن يكون لنفسه أشد ازدراء واستصغارا منه لهم فأما إن

---

(١) روضة المحبين صـ ٢٢٢.
(٢) رواه مسلم (٩١).
(٣) روضة المحبين صـ ٢٢٢.

احتقرهم لعظمة نفسه عنده فهو الذي لا يدخل صاحبه الجنة"[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "النبي ﷺ ألقى الله عليه من المهابة والمحبة، ولكل مؤمن مخلص حض من ذلك"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[٣]. ومما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه"[٤].

٩٠.من ثمراته أن بكمال التوحيد تكمل البراءة من الشرك والكبر.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر والشرك"[٥].

---

(١) روضة المحبين صـ ٢٢٢.

(٢) جلاء الأفهام ص: ٩٧.

(٣) أخرجه: مسلم ٨/١١ (٢٥٦٤) (٣٤) بلفظ: " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم".

(٤) روضة المحبين ص ٢٣١.

(٥) العبودية١/١٠٢.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الإسلام له ضدان: الإشراك والاستكبار، لأنه الاستسلام لله وحده كما يترجم فيه شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا عبده ورسوله، فمن استسلم لله ولغير الله فقد أشرك بالله وجعل له عدلا وندا وشريكا، ومن لم يستسلم بحال فقد استكبر كحال فرعون وغيره"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "ولهذا قرن هذا في شعار الإسلام الذي هو الأذان بين التكبير والتهليل، فإن التكبير وهو قول "الله أكبر" يمنع كبر غير الله، وقول لا إله إلا الله يوجب التوحيد، وهاتان الكلمتان قرينتان"(٢).

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "حضور القلب في التوحيد عند الأذان والإقامة، فإن من غفل قلبه عند الأذان والإقامة عن التوحيد نقص من صلاته روحها فلم يكن لها عمود قيام، من حضر قلبه عند الأذان والإقامة حضر قلبه في صلاته، ومن غفل قلبه عندهما غفل قلبه في صلاته"(٣).

٩١.من ثمراته أن التوحيد سبب في تكفير الذنوب ومحو الخطايا.

فيغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات

❁ عن أنس (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله

---

(١) جامع المسائل ١/٢٢٣.

(٢) جامع المسائل ١/٢٢٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/٣٦٣.

تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"(١).

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ)، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ إلا كفرت عنه خطاياه ولوكانت مثل زيد البحر))(٢).

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: ((من حلَف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالَ أُقامِرْك، فليتصدَّق))(٣).

قال الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) رحمه الله: "اليمين إنما تكون بالمعبود الذي يعظم، فإذا حلف بهما؛ فقد ضاهى الكفار في ذلك، فأمره أن يتداركه بكلمة التوحيد المبرئة من الشرك"(٤).

قال محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (ت: ٥٣٦ هـ) رحمه الله: "الأعمال لا يحبطها شيء غير الكفر، وأما مع وجود الإيمان فالأعمال متقبلة

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٥٠). وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه ابن القيم في ((إعلام الموقعين)) (٢٠٤/١) وقال ابن رجب: إسناده لا بأس به، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) واللفظ له، والنسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (١٢٤)، وأحمد (٦٤٧٩).وإسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما؛ انظر: صحيح الجامع. (٥٦٣٦).

(٣) رواه البخاري (٦٢٧٤)، ومسلم (١٦٤٧).

(٤) أعلام الحديث (شرح صحيح البخارى) للخطابي ١٩١٨/٣.

وإنما تختلف باختلاف الإخلاص، والقيام بالصالحات على الوجه الأتم"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "العبدُ قد تنزِلُ به النازلة؛ فيكون مقصوده طلب حاجته، وتفريج كُرُبات، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرُّع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصْدُهُ حُصول ذلك المطلوب من الرِّزق والنصر والعافية مُطلقا، ثم الدعاء والتضرُّع يَفتَحُ له من أبواب الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ ومعرفته ومحبَّته، والتنعُّم بِذِكْره ودُعائه؛ ما يكون هو أحبَّ إليه وأعظم قدراً عنده من تلك الحاجة التي همَّته، وهذا من رحمة الله بعباده: يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العَلِيَّة الدينيَّة"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحدين، ويقوي التوحيد على محو آثارها بالكلية وإلا فما معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم.

وأما المشركون والكفار فإن شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم، فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة، ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ١١٦] "(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح، والتوحيد الخالص، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة لها، وشفاعة الشافعين في الموحدين، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار،

(١) كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري ١/١٣٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/٣١٢.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود. والنصارى صـ ٢٥٢.

وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فإنه يحبط جميع الحسنات بحيث لا تبقى معه حسنة"(١).

٩٢.من ثمراته أنه إذا ظهر التوحيد في مكان هربت الشياطين.

فبالتوحيد يحفظ الله المرء من الشيطان

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ [النَّحل: ٩٩-١٠٠].

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) ﵁ له في قصته معالشيطان ما نصه: قال أي الشيطان ـ: إذاأويتإلى فراشك فاقرأ آية الكرسي "الله لا إله إلا هو الحي القيوم" حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: ((ما هي؟)) قال: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٥] وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي ﷺ ((أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة قلت لا قال: ذاك شيطان))(٢).

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود. والنصاري صـ ٢٥٢.

(٢) رواه البخاري ٢٣١١.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "والكهانةُ كانت ظاهرةً كثيرةً بأرضِ العَرب،. فلما ظهر التوحيد هربت الشياطين، وبطلت، أو قلّت، ثمّ إنها تظهر في المواضع التي يخفى فيها أثر التوحيد"(١).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فإن التوحيد يطرد الشيطان"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦﴾ [الزُّخْرُف: ٣٦] "(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وأنت ترى الأمكنة والأزمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها وما دخل عليهم من الجهل والظلم والكفر بالخالق والشرك بالمخلوق واستحسان القبائح وفساد العقائد والأعمال فإن الشرائع بتنزيل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم ما في ضمنها من مصالح العباد في المعاش والمعاد وأسباب سعادتهم الدنيوية والأخروية فجعلها غذاء ودواء وشفاء وعصمة وحصنا وملجأ وجنة ووقاية"(٤).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع، لما في مقارنة اسم الله من البركة. وذكر اسمه يطرد الشيطان، فتحصل البركة، ولا معارض لها.

---

(١) النبوات ١٠١٩/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٩٣/١١.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩٩/١٠.

(٤) شفاء العليل ٢٢٥/١.

وكل شيء لا يكون لله، فبركته منزوعة، فإن الرب هو الذي تبارك وحده، والبركة كلها منه، وكل ما نسب إليه مبارك"(١).

٩٣.من ثمراته أن التوحيد يدفع وساوس الشيطان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: "وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟" قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: "ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ"(٢).

وفي حديث عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢ هـ) رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْوَسْوَسَةِ. قَالَ: "تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ"(٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هذَا، خَلَقَ الله الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهِ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذلِكَ شَيْئا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ"(٤).

وفي رواية: "آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِه" رواه مسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلِيَنْتَهِ "(٥).

---

(١) الجواب الكافي ٢٠٢/١.

(٢) أخرجه مسلم حديث (١٣٢) وانفرد به.

(٣) أخرجه مسلم، حديث (١٣٣)، وانفرد به.

(٤) أخرجه مسلمحديث (١٣٤) وانفرد به

(٥) أخرجه مسلم، حديث (١٣٤)، وأخرجه البخاري في " كتاب بدء الخلق" "باب صفة إبليس وجنوده" حديث (٧٢٩٦).

عَنْ أنس بن مالك (ت: ٩٠ هـ) رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال "قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ. فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟"(١).

وأما رواية البخاري فمن قول النبي ﷺ بلفظ: "لن يَبرَحَ الناسُ يتساءَلون حتى يقولوا:..... "(٢).

واختلف أهل العلم في معنى قول النبي ﷺ ((ذاك صريح الإيمان)) وقوله ((تلك محض الإيمان)) والصريح والمحض من الإيمان هو الخالص، اختلفوا على قولين:

القول الأول: أن مجرد وجود الوسوسة دليل على صريح الإيمان

واستدلوا: بحديث ابن مسعود (ت: ٣٢ هـ) رضي الله عنه في الباب حيث سئل النبي ﷺ عن مجرد الوسوسة دون المنازعة، فقال ((تلك محض الإيمان))، وقالوا أيضاً لأن القلوب غير المؤمنة لا توسوس أصلاً لتمكن الشيطان منها، بخلاف القلوب المؤمنة، واختار هذا القول القاضي عياض رحمه الله وهو اختيار محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله"(٣).

والقول الثاني: أن مدافعة المسلم لها ونفرته من هذه الوساوس هي دليل على صريح الإيمان.

واستدلوا: بحديث أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه في الباب حيث إن الصحابة شكوا للنبي ﷺ ما يجدونه في أنفسهم ونفرتهم منه وتعاظمهم لما يجدونه، والنبي

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٩٦) وفي ((الأدب المفرد)) (١٢٨٦) واللفظ له، ومسلم (١٣٦)

(٣) انظر شرح النووي لمسلم ٣٣٣/٢.

ﷺ سألهم عنه فقال ((وقد وجدتموه؟))، ثم قال لهم ((ذاك صريح الإيمان))، وقالوا المنازعة وكراهة ذلك هي دليل الإيمان وأثره، الذي يردّ وساوس الشيطان، وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فهو محمول على حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو الأظهر والله أعلم.

❁ قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "((تلك محض الإيمان))، وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ((ذلك صريح الإيمان))، والصريح الخالص. وهذا ليس على ظاهره، إذ لا يصح أن تكون الوسوسة نفسها هي الإيمان، لأن الإيمان اليقين، وإنما الإشارة إلى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى أن يعاقبوا على ما وقع في أنفسهم، فكأنه قال: جزعكم من هذا هو محض الإيمان وخالصه، لصحة إيمانكم، وعلمكم بفسادها، فسمى الوسوسة إيمانا لما كان دفعها والإعراض عنها والرد لها وعدم قبولها"(١).

❁ قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "((قل آمنت بالله)) أمر بتذكر الإيمان الشرعي، واشتغال القلب به لتمحي تلك الشبهات، وتضمحل تلك الترهات، وهذه كلها أدوية للقلوب السليمة الصحيحة المستقيمة التي تعرض الترهات ولا تمكث فيها"(٢).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "أَيْ حُصُولِ هَذَا الْوَسْوَاسِ مَعَ هَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ وَدَفْعِهِ عَنْ الْقَلْبِ هُوَ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ"(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وقالوا في الوسواس الخناس: هو الذي

---

(١) تفسير القرطبي (سورة الأعراف: الآية: ٢٠٠).

(٢) المفهم ١/٣٤٥.

(٣) مجموع الفتاوى.٧ /٢٨٢

إذا ذكر الله خنس وإذا غفل عن ذكر الله وسوس"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فَالشَّيْطَانُ لَمَّا قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ وَسُوسَةً مَذْمُومَةً تَحَرَّكَ الْإِيمَانُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ بِالْكَرَاهَةِ لِذَلِكَ وَالِاسْتِعْظَامِ لَهُ فَكَانَ ذَلِكَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ.... فَهُنَا لَمَّا اقْتَرَنَ بِالْوَسْوَاسِ هَذَا الْبُغْضُ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةُ كَانَ هُوَ صَرِيحَ الْإِيمَانِ وَهُوَ خَالِصُهُ وَمَحْضُهُ؛ لِأَنَّ الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ لَا يَجِدُ هَذَا الْبُغْضَ وَهَذِهِ الْكَرَاهَةَ مَعَ الْوَسْوَسَةِ بِذَلِكَ"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذي هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق وظلم. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحِجر: ٤٢] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النَّحل: ٩٩] وقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عِمرَان: ١٠١] ونحو ذلك من النصوص(٣).

٩٤.من ثمراته أن التوحيد يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النَّحل: ٩٩ - ١٠٠].

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم

---

(١) مجموع الفتاوى.٢ /١٦

(٢) مجموع الفتاوى. (١٠ /٥٦٣-٥٦٥)

(٣) مجموع الفتاوى.٢ /١٧.

﴿مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأَعْرَاف: ٢٠١].

قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يُوسُف: ٢٤].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾، يعني: ملك، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، في علم الله في الشرك، فيضلهم عن الهدى"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: " قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾ [النَّحل: ٩٩] فإنه يعني بذلك: أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه. ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما نابهم من مهمات أمورهم. ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ يقول: إنما حجته على الذين يعبدونه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ يقول: والذين هم بالله مشركون"(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "أي: ليس له حجة على المؤمنين المتوكلين على الله عَزَّوَجَلَّ في مهم أمورهم المتعوذين به من الشيطان"(٣).

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "فيه أربعة تأويلات:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ٩٩).

(٢) تفسير الطبري (سورة النحل: الآية: ٩٩).

(٣) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ابن أبي طالب المكي (سورة النحل: الآية: ٩٩).

أحدها: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، قاله سفيان.

الثاني: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله مجاهد بن جبر.

الثالث: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم بالله منه، لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٦].

الرابع: أنه ليس له عليهم سلطان بحال؛ لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله إبليس: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣] فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحِجْر: ٤٢] "(١).

وقال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ): "قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ [النَّحل: ٩٩] حجة وولاية، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النَّحل: ٩٩] قال سفيان: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب ولا يغفر"(٢).

قال أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله: "إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه"(٣).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "إخلاص الدين لله: يمنع من تسلط

---

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة النحل: الآية: ٩٩).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة النحل: الآية: ٩٩).

(٣) تلبيس إبليس ١/٣٣٤.

الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب. كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤]. فإذا أخلص العبد لربه الدين: كان هذا مانعا له من فعل ضد ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك. وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه: عوقب على ذلك. وكان من عقابه: تسلط الشيطان عليه حتى يزين له فعل السيئات"(١).

٩٥.من ثمراته أن التوحيد يذهب أصل الشرك.

❁ عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لا اله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبا))(٢).

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال: لا اله إلا الله أنجته يوما من الدهر أصابه قبلها ما أصابه))(٣).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "فَالتَّوْحِيدُ يُذْهِبُ أَصْلَ الشِّرْكِ وَالِاسْتِغْفَارُ يَمْحُو فُرُوعَهُ"(٤).

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ أَكْبَرِ الْحَسَنَاتِ وَبَابُهُ وَاسِعٌ. فَمَنْ أَحَسَّ بِتَقْصِيرِ فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ حَالِهِ أَوْ رِزْقِهِ أَوْ تَقَلُّبِ قَلْبٍ: فَعَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ"(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/٣٣٢-٣٣٣).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل لا اله إلا الله، رقم (٣٧٩٧)، (٢/١٢٤٨).

(٣) أخرجه البيهقي كما في الدر المنثور - (ج٦/ص٤٧).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦٩٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/٦٩٨).

٩٦.من ثمراته أن التوحيد يسد باب البدع.

ذمَّ الله من شرع في الدين ما لم يأذن به الله: فقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ﴾ [الشُّورَى: ٢١] وأمر سبحانه باتباع صراطه قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣].

فالواجب على الموحد لزوم شرع الله الذي جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعدم الخروج عن ذلك، لا بقولٍ، ولا بفعلٍ.

قال ابن تيمية: "كل من كان إلى الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أقرب، كان أقرب إلى كمال التوحيد والإيمان والعقل والعرفان، وكل من كان عنهم أبعد كان عن ذلك أبعد"(١).

قال ابن تيمية: "إخلاص الدين لله: يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب. كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُوسُف: ٢٤] "(٢).

٩٧.من ثمراته أن صحة التوحيد مع وجود الذنوب خير من فساد التوحيد مع عدم الذنوب.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: ((قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى: يا بنَ آدمَ، إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ

---

(١) منهاج السنة ٢/٢٩٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/٣٣٢-٣٣٣.

ولا أُبالي، يا بنَ آدمَ، لو بلغتْ ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ ولا أبالي، يا بنَ آدمَ، إنَّكَ لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً))(١).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن مات يُشرِكُ باللهِ شيئًا، دخَل النارَ))(٢).

عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، ما الموجِبَتانِ؟ فقالَ: ((من ماتَ لا يُشرِكُ باللَّهِ شيئًا دخلَ الجَنَّةَ، ومن ماتَ يشرِكُ باللَّهِ شيئًا دخلَ النَّارَ))(٣).

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يخرجُ من النارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِه مثقالُ شعيرةٍ من خيرٍ، ويخرجُ من النارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِه مثقالُ برَّةٍ من خيرٍ، ويخرجُ من النارِ من قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكان في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من خيرٍ))(٤).

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا يَظلِمُ مؤمنًا حسنةً، يُعطى بِها في الدُّنيا ويُجزى بِها في الآخرةِ، وأمَّا الكافرُ، فيُطعَمُ بحسناتِ ما عمِلَ بِها للَّهِ في الدُّنيا، حتَّى إذا أفضى إلى الآخرةِ، لم يَكُنْ لهُ حسنةٌ يُجزَى بِها»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي: (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: (١٢٣٨) وأخرجه (مسلم: ٩٢).

(٣) أخرجه مسلم: (٩٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه: (٣٤٩٩).

(٥) أخرجه مسلم: (٢٨٠٨)

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "فَهَذِهِ الذُّنُوب مَعَ صِحَة التَّوْحِيد خير من فَسَاد التَّوْحِيد مَعَ عدم هَذِه الذُّنُوب"(١).

٩٨.من ثمراته أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيرًا ويضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب.

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، كما فيحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل ياموسى لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله فيكفة، مالت بهن لا إله إلا الل))"(٢).

(١) الاستقامة (٤٦٦/١).

(٢) رواه ابن حبان (موارد الظمآن) ص ٥٧٧ حديث رقم (٢٣٢٤). والحاكم (المستدرك) ١ /٥٢٨ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الذهبي: (صحيح وفي تصحيح إسناده نظر؛ لأنه من رواية دراج عن أبي الهيثموهي رواية متكلم فيها).قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢٣٥/١: (صدوق فيحديثه عن أبي الهيثم ضعيف. اهـ.

وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد"(١).

٩٩.من ثمراته أن التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق به.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المُنَافِقُون: ٨].

❋ قال بعض السَّلف: "النَّاس يطلبون العِزَّ بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلَّا في طاعة الله"(٢).

❋ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "من كان إيمانه أقوى من غيره، كان جنده من الملائكة أقوى"(٣).

❋ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وَلنْ يَسْتَغْنِي الْقلب عَن جَمِيع الْمَخْلُوقَات إِلَّا بِأَن يكون الله هُوَ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه وَلَا يَسْتَعِين إِلَّا بِهِ وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا يفرح إِلَّا بِمَا يُحِبهُ ويرضاه وَلَا يكره إِلَّا مَا يبغضه الرب ويكرهه وَلَا يوالى إِلَّا من وَالَاهُ الله وَلَا يعادي إِلَّا من عَادَاهُ الله وَلَا يحب إِلَّا لله

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد. ص: ٢٤-٢٥.

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٤٨/١).

(٣) النبوات (ص ٤١٦).

وَلَا يبغض شَيْئا إِلَّا لله فَكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عَن الْمَخْلُوقَات وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكبر والشرك"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله "ومن الشرك أن يدعو العبد غير الله كمن يستغيث في المخاوف والأمراض والفاقات بالأموات والغائبين... فإن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله باتفاق المسلمين"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "إذا ناجى العبد ربه في السحر واستغاث به، وقال: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، أعطاه الله من التمكين ما لا يعلمه إلا الله"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت"(٤).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله "فالتوحيد يحرِّر العبد من رِقّ المخلوقين والتعلُّقِ بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبِّدًا لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيَّاه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقّق نجاحه"(٥).

---

(١) العبودية (١٠٢/١).

(٢) مجموع الفتاوى ٦٦٤/١١.

(٣) مجموع الفتاوى٢٤٢/٢٨.

(٤) مدارج السالكين ٤٥٨/١.

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص: ٢٤.

١٠٠.من ثمراته أن التوحيد هو الطريق إلى الفوز بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مَرۡيَم: ٩٦].

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل: قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عَزَّوَجَلَّ قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض))، وإذا أبغض العبد. قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك.

عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قوله: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ قال: "الودّ من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن. واللسان الصادق"[(١)].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّا قال: محبة في المسلمين في الدنيا"[(٢)].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في قوله: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ قال: يحبهم ويحببهم إلى خلقه"[(٣)].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ قال: "يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين"[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (سورة مريم: الآية: ٩٦).

(٢) تفسير الطبري (سورة مريم: الآية: ٩٦).

(٣) تفسير الطبري (سورة مريم: الآية: ٩٦).

(٤) تفسير الطبري (سورة مريم: الآية: ٩٦).

❁ عن قتادة (ت: ١١٨ هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ قال: "ما أقبل عبد الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه، وزاده من عنده"[١].

❁ قال هرم بن حيان (ت: في أوائل القرن الثاني من الهجرة) رحمه الله: "ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم"[٢].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مَرْيَم: ٩٦] يقول: "يجعل محبتهم في قلوب المؤمنين فيحبونهم"[٣].

❁ قال الفراء (ت: ٢٠٧ هـ) رحمه الله: " وقوله: ﴿وُدًّا﴾ يقول: "يجعل الله لهم وُدّا في صدور المؤمنين"[٤].

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "لحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه"[٥].

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل

---

(١) تفسير الطبري (سورة مريم: الآية: ٩٦).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة مريم: الآية: ٩٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة مريم: الآية: ٩٦).

(٤) تفسير معاني القرآن للفراء (سورة مريم: الآية: ٩٦).

(٥) تفسير ابن كثير (سورة مريم: الآية: ٩٦).

لهم ودا، أي: محبة وودادا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل"(١).

١٠١.من ثمراته أن التوحيد سبب لنيل ولاية الله.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يُونُس: ٦٢ - ٦٣].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ﵀: "يقول تعالى ذكره: الذين صدقوا لله ورسوله، وما جاء به من عند الله، وكانوا يتَّقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه"(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) ﵀: " قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾: أي: هم الذين آمنوا بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله، وبما جاء من عند الله سبحانه ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾: محارمه"(٣).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) ﵀: "أي يتقون الشرك والمعاصي"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "العبد حبه لله هو محبة عبودية

(١) تفسير ابن سعدي (سورة مريم: الآية: ٩٦).
(٢) تفسير الطبري (سورة يونس الآية: ٦٣).
(٣) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة يونس الآية: ٦٣).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة يونس الآية: ٦٣).

وافتقار، ليست كمحبة الرب لعبده، فإنها محبة استغناء وإحسان.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

فالرب لا يوالي عبده من ذل، كما يوالي المخلوق لغيره، بل يواليه إحسانا إليه، والولي من الولاية، والولاية ضد العداوة. وأصل الولاية الحب، وأصل العداوة البغض"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

"أي يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم فلا تخافوهم وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم"(٢).

قال عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه: "اقتربوا من أفواه المطيعين؛ واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة. فالله سبحانه وتعالى فطر عباده على الحنيفية: وهو حب المعروف وبغض المنكر فإذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مفطورة على الحق فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان منورة بنور القرآن وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله وذلك أن الله علم القرآن والإيمان. قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ

---

(١) منهاج السنة ٥/٣٥٢..

(٢) بدائع الفوائد ٢/٢٣٧.

يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ [الشُّورَى: ٥١]. ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشُّورَى: ٥٢]

وقال جندب بن عبد الله (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر (ت: ٧٣ هـ): تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا. وفي الصحيحين عن حذيفة، عن النبي ﷺ أنه قال: " ((إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة))"(١).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: " ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي"(٢).

١٠٢.من ثمراته أن الله تكفل لأهل التوحيد بحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٥٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٤٧٤.

(٢) تفسير ابن سعدي (سورة يونس الآية: ٦٣).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "ذكر جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأُمّة: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ليجعلنهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة، والآيات تدلُّ على أن طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوّة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ -٤١] وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧] إلى غير ذلك من الآيات، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] ؛ أي: كبني إسرائيل، ومن الآيات الموضحة لذلك قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥ - ٦] وقوله تعالى عن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٢٩﴾ [الأعراف: ١٢٩] وقوله

تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات... "(١).

وقال ابن كثير: "هذا وعدٌ من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمَّته خلفاء الأرض؛ أي: أئمَّة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الناس ﴿أَمْنًا﴾ وحكمًا فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنَّة؛ فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس، وملوك عمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه"(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "ومنها: أن الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره"(٣).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا مغررون؛ لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما لا يخفى"(٤).

---

(١) "تفسير الشنقيطي": (النور: ٥٥).

(٢) "تفسير ابن كثير": (النور: ٥٥).

(٣) القول السديد شرح. كتاب التوحيد ص: ٢٥.

(٤) أضواء البيان ٢٥٢/٧

قال ابن القيم: "الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ففوق هدايته هداية أخرى وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية"(١).

قال الإمام الربيع بن أنس ﷺ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾ [الأَنْعَام: ١٤٩] "لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده"(٢).

١٠٣.من ثمراته أن التوحيد يصحح الصلة بين الأحياء والأموات.

قال ابن تيمية: "فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم والدعاء لهم وهي مثل الصلاة على جنائزهم. وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبهون المخلوق بالخالق ينذرون له ويسجدون له ويدعونه ويحبونه مثل ما يحبون الخالق فيكونون قد جعلوه لله ندا وسووه برب العالمين"(٣).

١٠٤.من ثمراته أن فقدان التوحيد وعدم تحصيل حقائق الإيمان يهوي بصاحبه في مقامات الظلم والحيرة والشرور ويبعده عن ولاية الله ونصره وتأييده.

قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ

---

(١) الفوائد لابن القيم ١/١٣٠.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٦/٤٥٦.
(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/٣٤٠.

﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج: ٣٠ - ٣١].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مخلصين له الدين، منحرفين عن الباطل قصدا إلى الحق؛ ولهذا قال ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ ثم ضرب للمشرك مثلا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ٣١] أي: سقط منها، ﴿فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾، أي: تقطعه الطيور في الهواء، ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج: ٣١] أي: بعيد مهلك لمن هوى فيه؛ ولهذا جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: "إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت، وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء، بل تطرح روحه طرحا من هناك ". ثم قرأ هذه الآية.

وقد ضرب الله تعالى للمشرك مثلا آخر في سورة " الأنعام "، وهو قوله: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنعام: ٧١] "(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وشبه تارك الايمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين، من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة. والطير التي تتخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها سبحانه وتعالى عليه تؤزه أزا

(١) تفسير ابن كثير سورة الحج (٣٠–٣١).

وتزعجه وتدفعه إلى مظان هلاكه. فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه والريح التي تهوى به في مكان سحيق: هو هواه الذي يحملهعلى إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء"(١).

١٠٥.من ثمراته أن في التوحيد السلامة من الخسارة الدنيوية والآخروية.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العَصۡر: ١ - ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكَهۡف: ١٠٣-١٠٦].

- قال ابن كثير: "هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود"(٢).
- وقال القرطبي: "فيه دلالة على أن من الناس من يعمل العمل وهو يظن أنه محسن وقد حبط سعيه، والذي يوجب إحباط السعي إما فساد الاعتقاد أو المراءاة، والمراد هنا الكفر"(٣).

---

(١) التفسير القيم ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير سورة الكهف (١٠٣-١٠٦).

(٣) تفسير القرطبي سورة الكهف (١٠٣-١٠٦).

والآيات في هذا المعنى كثيرة ومنها:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغَاشِيَة: ٢ - ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرْقَان:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النُّور: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزُّمَر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المَائـِدَة: ٥].

قال الفيروز زبادي: "بمعنى التوحيد وكلمة الإيمان: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ أى بكلمة التوحيد"(١).

١٠٦.من ثمراته أن التوحيد سبب لزوال فقر العبد وفاقته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﷺ: "لا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار؛ حصل للعبد غِناه، وسعادته، وزال عنه ما يعذبه"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) ﷺ: "فشهادة التوحيد تفتح باب الخير،

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/١٥٠.

(٢) مجموع الفتاوى: ١/٥٦.



والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر. "[١].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "ويحكى أنّ رجلا أتى عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه فقال: ولّني مما ولاّك الله قال أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فقال: إنّا لا نولّي من لا يقرأ القرآن، فانصرف الرجل واجتهد في تعلّم القرآن رجاء أن يعود إلى عمر فيولّيه عملا، فلمّا تعلم القرآن تخلّف عن عمر، فرآه ذات يوم فقال: يا هذا هجرتنا، فقال: يا أمير المؤمنين لست ممّن يهجر، ولكنّي تعلّمت القرآن فأغناني الله تعالى عن عمر وعن باب عمر. فقال: أيُّ آية أغنتك، فقال: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطَّلَاق: ٢ - ٣] "[٢].

وقال سهل بن عبد اللهالتستري (ت: ٢٨٣ هـ) رحمه الله: " ﴿مَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في اتّباع السُّنّة ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ من عقوبة أهل البدع، ويرزقه الجنّة من حيث لا يحتسب"[٣].

١٠٧.من ثمراته أن الله تكفل لأهل التوحيد بالأمن والطمأنينة والولاية ودخول الجنان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

---

(١) الفتاوى برى ٥/٢٣١-٢٣٢.

(٢) تفسير الثعلبي -الكشف والبيان في تفسير القرآن-(سورة الطلاق: الآيات: ٢-٣).

(٣) تفسير الثعلبي -الكشف والبيان في تفسير القرآن-(سورة الطلاق: الآيات: ٣).

سئل أبو بكر الصديق (ت: ١٣ هـ) ﵁ عن الاستقامة فقال: "أن لا تشرك بالله شيئاً"[١].

قرأت عند أبي بكر الصديق (ت: ١٣ هـ) ﵁ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا"[٢].

قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) ﵀ وعكرمة (ت: ١٠٥ هـ) ﵀: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله"[٣].

قال وكيع بن الجراح (ت: ١٩٧ هـ) ﵀: "البشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث"[٤].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) ﵀: "يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى"[٥].

قال محمد بن عبد الرؤف المناوي (ت: ١٠٣١ هـ) ﵀: "فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضا والغبطة. ومن ألهاته حياته وشغلته أهواؤه، عادة أمره إلى الندامة والحسرة"[٦].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة فصلت الآية: ٣٠)
(٢) تفسير الطبري (سورة فصلت الآية: ٣٠)
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة فصلت الآية: ٣٠)
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة فصلت الآية: ٣٠)
(٥) تفسير الطبري (سورة فصلت الآية: ٣٠)
(٦) فيض القدير ٣/٥٢٤.

١٠٨.من ثمراته أن التوحيد ضمان للنجاة.

فأهل التوحيد هم أهل النجاة

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فُصِّلَت: ١٧ - ١٨].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فُصِّلَت: ١٧] يعني بينا لهم، ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٧] يقول: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ﴾ [فُصِّلَت: ١٧] يعني صيحة جبريل عليه السلام، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [فُصِّلَت: ١٧] آية، يعني يعملون من الشرك"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٧] يقول: فاختاروا العمى على البيان الذي بيّنت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على الهدى، يعني على البيان الذي بيّنه لهم، من توحيد الله"(٢).

قال عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (ت٣٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أهل النجاة هم العالمون بالصلاح من الفساد عند اختلاف الناس، فمن لم يعرف الحق، وقع في الباطل، ومن عرف الباطل اجتنبه"(٣).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة فصلت: الآيات: ١٧-١٨).

(٢) تفسير الطبري (سورة فصلت: الآيات: ١٧-١٨).

(٣) كتاب شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن ص: ٣٥.

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ دعوناهم، قال مجاهد بن جبر، وقال ابن عباس: بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله: ﴿هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣] ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] فاختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ [فصلت: ١٧] أي: مهلكة العذاب، ﴿الْهُونِ﴾ أي: ذي الهوان، أي: الهوان، وهو الذي يهينهم ويخزيهم. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٧ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٧ - ١٨] "(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "ما سلبت النعم إلا بترك تقوى الله، والإساءة للناس"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "إذا أراد الله بعبد خيرا أقام في قلبه شاهدا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة. ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار"(٤).

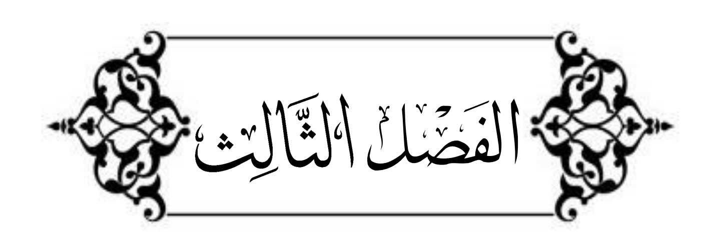
---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة فصلت: الآيات: ١٧-١٨).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/٨٣.

(٣) أحكام أهل الذمة ١/٢١.

(٤) مدارج السالكين ٢/١٢.



مسميات التوحيد
في النصوص الشرعية

تمهيد

مما يبين أهمية التوحيد وثمراته معرفة أسماء التوحيد في النصوص الشرعية، فتلك المعرفة تكسب العبد المؤمن مزيد علم ومعرفة بأن تلك النصوص قد أريد بها التوحيد، وهذا جانب قد لا يعرفه كثير من الناس ويترتب على ذلك قلة معرفتهم بنصوص التوحيد وما دلت عليه، والواجب والمتعين أن تكون هناك عناية بمعرفة بأسماء التوحيد في النصوص الشرعية واستعمالاتها وما أرشدت إليه من أمور شريفة.

وقد تعددت مسميات التوحيد في النصوص الشرعية وتنوعت معانيها بما يظهر محاسنها ويدل على مكانة التوحيد وفضله.

وهذه المسميات يمكن التعرف عليها من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، والآثار المروية عن سلف الأمة، ومظنة وجودها تكون من خلال مطالعة كتب تفسير القرآن والكتب التي اعتنت بعلومه، وكذا كتب السنة وشروحها، وأيضًا بالرجوع لكتب الاعتقاد.

وممن وقفت على من قام بجمع قدر منها الفجر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) ﵀، في كتابه "عجائب القرآن"[(١)]، حيث عقد الفصل الثالث من هذا الكتاب لعد أسماء التوحيد وبلغ مجموع ما ذكره أربعة وعشرين اسمًا على النحو الآتي:

١.كلمة التوحيد	٢.كلمة الإخلاص	٣.الصراط	٤.العروة الوثقى
٥.كلمة العدل	٦.الطيب من القول	٧.الدين	٨.القول الثابت

(١) انظر: عجائب القرآن ص٤٦-٧٢.

٩.كلمة التقوى	١٠.الكلمة الباقية	١١.السديد	١٢.المثل الأعلى
١٣.كلمة السواء	١٤.كلمة النجاة	١٥.العهد	١٦.كلمة الاستقامة
١٧.مقاليد السموات والأرض	١٨.كلمة الله العليا	١٩.البر	٢٠.الكلمة الطيبة
٢١.كلمة الإحسان	٢٢.كلمة الحق	٢٣.دعوة الحق	٢٤.كلمة الصدق(١)

وأحببت أن أدلي بدلوي بتتبع هذه الأسماء وجمع كلام العلماء فيها لتقريبها لطالب العلم وتسهيل وصولهم إليها.

وقد نوه العلماء على أن كثرة الأسماء مع حسنها تدل على تدل على كمال المسمى وعظمه وعلوه وشرفه وفضيلته وسمو درجته في أمر من الأمور.

كما تدل كذلك على كثرة الصفات والمحامد والوظائف التي يقوم بها المسمى بتلك الأسماء؛ وقد أكد غير واحد من العلماء هذا المقصد في أقوالهم ومن ذلك ما ذكره كل من:

❀ روي عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه: "كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى"(٢).

❀ وقال أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ) رحمه الله: "وقد قالوا كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى"(٣).

❀ وقال ابن عماد الأقفهسي (ت: ٨٠٨هـ) رحمه الله: "ومعلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، أو عظمه، أو تهويل أمره"(٤).

---

(١) انظر: عجائب القرآن صـ٤٦-٧٢.

(٢) أضواء البيان (سورة القارعة: الآية: ١).

(٣) المجموع شرح المهذب ٣/٨.

(٤) الإرشاد ٢/٥٧٤.

وقال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) رحمه الله: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته"(١).

وقال علي بن عبد الله السمهودي (ت: ٩١١هـ) رحمه الله: "كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى"(٢).

قال السيوطى (ت: ٩١١هـ) رحمه الله: "كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى"(٣).

وقال العلامة محمد بن إسماعيل البرديسي (ت: ١٠٩٠هـ) رحمه الله: "اعلم أن العرب تسمي الشيء بأسماء كثيرة، وتجعل له ألقابا عديدة؛ تعظيما لشأنه، وإكبارا لأمره"(٤).

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الرب تعالى لم يذكر للعباد من صفات ملائكته وشأنهم وأفعالهم وأسمائهم عشر معشار ما ذكر لهم من نعوت جلاله وصفات كماله وأسمائه وأفعاله"(٥).

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/٨٨.

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ١/١٩.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/١٨٧.

(٤) الحياة الآخرة للعواجي: (١/٤٥) ، أشراط الساعة للوابل: ص (٣٧).

(٥) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/٣٦٧.

وقد تعددت مسميات التوحيد في النصوص الشرعية وتنوعت معانيها بما يظهر محاسنها ويدل على مكانة التوحيد وفضله.

وهذه المسميات يمكن التعرف عليها من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، والآثار المروية عن سلف الأمة، ومظنة وجودها تكون من خلال مطالعة كتب تفسير القرآن والكتب التي اعتنت بعلومه، وكذا كتب السنة وشروحها، وأيضًا بالرجوع لكتب الاعتقاد.

وممن وقفت على من قام بجمع قدر منها الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله، في كتابه "عجائب القرآن"(١)، حيث عقد الفصل الثالث من هذا الكتاب لعد أسماء التوحيد وبلغ مجموع ما ذكره أربعة وعشرين اسمًا على النحو الآتي:

"١ كلمة التوحيد. ٢ كلمة الإخلاص. ٣ كلمة الإحسان. ٤ دعوة الحق. ٥ كلمة العدل. ٦ الطيب من القول. ٧ الكلمة الطيبة. ٨ القول الثابت. ٩ كلمة التقوى. ١٠ الكلمة الباقية. ١١ كلمة الله العليا. ١٢ المثل الأعلى. ١٣ كلمة السواء. ١٤ كلمة النجاة. ١٥ العهد. ١٦ كلمة الاستقامة. ١٧ مقاليد السموات والأرض. ١٨ السديد. ١٩ البر. ٢٠ الدين. ٢١ الصراط. ٢٢ كلمة الحق. ٢٣ العروة الوثقى. ٢٤ كلمة الصدق"(٢).

وأحببت أن أدلي بدلوي بتتبع هذه الأسماء وجمع كلام العلماء فيها لتقريبها لطالب العلم وتسهيل وصولهم إليها

---

(١) انظر: عجائب القرآن ص٤٦-٧٢.

(٢) انظر: عجائب القرآن ص٤٦-٧٢.

فمن مسميات التوحيد:

الاسم الأول: التوحيد.

جاء التعبير عن هذا الاسم بألفاظ متعددة في تصريفها مثل: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥] ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [المَائـِدَة: ٧٣] ﴿تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [المُمۡتَحنَة: ٤] ﴿لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأَعۡرَاف: ٧٠]، ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ [غَافِر: ١٢] ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يُوسُف: ٣٩] ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإِخۡلَاص: ١].

و"واحدًا"، و "واحد"، و"وحده"، و "الواحد"، و"أحد"، جميعها تعني توحيد الله.

فكلمة التوحيد أصلها من "وحد".

❁ قال ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) ؒ: "(وحد) الواو، والحاء، والدال: أصل واحد يدل على الانفراد"(١).

❁ قال ابن منظور (ت: ٧١١ هـ) ؒ: "التوحيد: مصدر من: وحد يوحد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا"(٢).

❁ قال أبو القاسم التيمي (ت: ٥٣٥ هـ) ؒ: "التوحيد على وزن التفعيل، وهو مصدروحّدته توحيدّا...، ومعنى وحدته: جعلته منفردا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته...، فالله تعالى واحد، أَي: منفرد عن

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٩٠).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣/٤٤٨).

الأنداد والأشكال فيجميع الأحوال"(١).

ومما ورد في الدلالة على هذا الاسم في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البَقَرَة: ١٣٣].

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣].

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المَائـِدَة: ٧٣].

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [المُمْتَحنَة: ٤]

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التَّوْبَة: ٣١].

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/٣٣٢).

قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ [الأَعْرَاف: ٧٠].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غَافِر: ١٢].

قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يُوسُف: ٣٩].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإِخْلَاص: ١].

وبالإضافة لما تقدم فقد تعددت التعبيرات في نصوص القرآن عن التوحيد بألفاظ كثيرة منها "العبادة" و "الدين" و "والإيمان" وغير ذلك كثير.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١].

- قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "**وحدوا**"(١).
- قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "كل عبادة في القرآن **فهو التوحيد**"(٢).
- قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: "وقد قيل: إن قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: وحدوا الله، وكل عبادة في القرآن بمعنى التوحيد"(١)

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٨٥/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٣/١٨، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ١٤/١، ٧٥/٤، البحر الرايق لابن نجيم ٢٩١/١.

قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "يخلص له **التوحيد**"[٢]، فالدين عنده هو **التوحيد**.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [المائدة: ٥].

قال عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رحمه الله في قال: "الإيمان **التوحيد**"[٣].

ومن السنة:

قوله ﷺ لمعاذ (ت: ١٨ هـ) رضي الله عنه، لما بعثه إلى اليمن: ((إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن **يوحدوا الله** تعالى))[٤].

عن جابر (ت: ٧٨ هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يعذب ناس من **أهل التوحيد** في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة)) قال: ((فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة))[٥].

عن عبد الله بن عمر (ت: ٧٣ هـ) رضي الله عنهما، قال: "بني الإسلام على خمسة: على أن **يوحد الله**، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج. فقال

---

(١) تفسير السمعاني ٤/١٧٣.

(٢) زاد المسير ١/٢٠٠، وانظر: جامع البيان٩/٢٤٩.

(٣) تفسير الطبري ٦(تفسير سورة المائدة: الآية: ٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٤/٣٧٨، ح٧٣٧٢.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢١٧)،ومسلم في (٣١١-٣١٢-٣١٣-٣١٤)..

رجل: الحج، وصيام رمضان؟ قال: لا، صيام رمضان، والحج. هكذا سمعته من رسول الله ﷺ "(١).

في حديث صفة حج النبي ﷺ، قال جابر (ت: ٧٨ هـ) رضي الله عنه: "فأهل **بالتوحيد**، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"(٢).

❁ عن جابر (ت: ٧٨ هـ) رضي الله عنه عند قوله ﴿ٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَةِ: ١٢٥] قال: "فقرأ فيهما **بالتوحيد** وقل يا أيها الكافرون"(٣).

❁ عن عمرو بن شعيب (ت: ١١٨ هـ) رحمه الله، عن أبيه (ت: لم أقف على تاريخ وفاته) رحمه الله، عن جده (ت: ٦٥ هـ) رضي الله عنه: "أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين بدنة وأن عمرا سأل النبي ﷺ عن ذلك ؟ فقال: ((أما أبوك، فلو كان أقر **بالتوحيد**، فصمت، وتصدقت عنه، نفعه ذلك))(٤).

❁ عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ وغير واحد، عن الحسن (ت: ١١٠ هـ)، وابن سيرين (ت: ١١٠ هـ)، عن النبي ﷺ

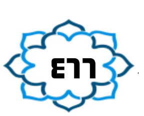
---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦)..

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ٢/٨٨٦ – ٨٨٧، ح ١٢١٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٩٠٩) قال عنه الألباني في صحيح أبي داود وضعيف "صحيح".

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٨٨٣)؛ وأحمد في مسنده (٦٧٠٤) بزيادة "فصمت"؛ وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٢٠٤)؛ وقال عنه الألباني في أحكام الجنائز (٢١٨): "إسناده حسن"؛ وكذا قال عنه في صحيح أبيداود: (٢٨٨٣)، وانظر: الصحيحة (٤٨٤).



قال: ((كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيرا قط **إلا التوحيد**، فلما احتضر قال لأهله: انظروا إذا أنا مت أن يحرقوه حتى يدعوه حمما، ثم اطحنوه، ثم أذروه فما يوم ريح، فلما مات فعلوا ذلك به، فإذا هو في قبضة الله، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدم، ما حملك على ما فعلت؟، قال: أي رب من مخافتك، قال: فغفر له بها، ولم يعمل خيرا قط **إلا التوحيد**))(١).

ومن أقوال السلف:

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحِجْر: ٢] قال: يقول أهل النار **للموحدين**: ما أغنى عنكم إيمانكم؟ قال: فإذا قالوا ذلك، قال: ((أَخْرِجُوا من

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٨٠٢٧) وقال أحمد شاكر: "هو بإسنادين:
أولهما: من حديث أبي هريرة، وهو إسناد صحيح متصل.
والثاني: مرسل عن الحسن وابن سيرين، فهو ضعيف لإرساله. وزاده ضعفا أنه من رواية حماد عن مجاهيل: عن غير واحد عن الحسن وابن سيرين. والحديث في جامع المسانيد ٧: ٤٢١، عن هذا الموضع. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ١٩٥، عن هذا الموضع، ولكن لم يذكر فيه "عن الحسن"، بل ذكر "عن ابن سيرين". ثم قال: "رواه كله أحمد، ورجال سند أبي هريرة رجال الصحيح، وفي سند ابن سيرين من لم يسم". وقال أيضا: "حديث أبي هريرة في الصحيح. غير قوله: إلا التوحيد". وحديث أبي هريرة هذا، مضى: ٣٧٨٦، عن يحيى، عن حماد، بهذا الإسناد عن أبي هريرة، ولكن ذكر تبعا لحديث بمعناه: ٣٧٨٥ عن ابن مسعود- "مثله"، فلم يذكر لفظه هناك. وأما حديثه الذي في الصحيح - الذي أشار إليه الهيثمي - فقد مضى: ٧٦٣٥، من رواية الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة. وبينا هناك تخريجه في الصحيحين".
وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (٣٠٤٨): إسناده صحيح.

كان في قلبه مثقال ذرّة فعند ذلك ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحِجۡر: ٢])"(١).

عن حماد بن أبي سليمان (ت: ١١٩ هـ) رحمه الله، قال: سألت إبراهيم النخعي (ت: ٩٦ هـ) رحمه الله، عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحِجۡر: ٢] قال: الكفار يعيّرون **أهل التوحيد**: ما أغنى عنكم لا إله إلا الله؟ فيغضب الله لهم، فيأمر النبيين والملائكة فيشفعون، فيخرج **أهل التوحيد**، حتى إن إبليس ليتطاول رجاء أن يخرج، فذلك قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾"(٢).

عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) رحمه الله، وإبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ) رحمه الله، وغير واحد من التابعين في تفسير هذه الآية ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحِجۡر: ٢] قالوا: إذا أخرج **أهل التوحيد** من النار وأدخلوا الجنة ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين "(٣).

عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢ هـ) رحمه الله في قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢﴾ [الحِجۡر: ٢] قال: "فيها وجهان اثنان، يقولون: إذا حضر الكافر الموت ودّ لو كان مسلما.

ويقول آخرون: بل يعذّب الله ناسا من **أهل التوحيد** في النار بذنوبهم، فيعرفهم

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة الحجر: الآية: ٢).
(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة الحجر: الآية: ٢).
(٣) سنن الترمذي (٢٦٣٨).

المشركون فيقولون: ما أغنت عنكم عبادة ربكم وقد ألقاكم في النار؟ فيغضب لهم فيخرجهم، فيقول: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحِجۡر: ٢]"[١].

قال الترمذي (ت: ٢٧٩ هـ) رحمه الله: "الروايات إنما تجيء بأن **أهل التوحيد** يعذبون في النار ثم يخرجون منها ولم يذكر أنهم يخلدون فيها"[٢].

قال الإمام الدارمي رحمه الله (ت: ٢٨٠هـ): "وتفسير **التوحيد** عند الأمة، وصوابه، قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[٣].

وقال إمام الشافعية أبو العباس بن سريج (ت: ٣٠٦هـ) رحمه الله: "**توحيد** أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"[٤].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [البَقَرَةِ: ١٣٣]: "أي نخلص له العبادة، **ونوحد له** الربوبية، فلا نشرك به شيئا، ولا نتخذ دونه ربا"[٥].

قال الطحاوي (ت: ٣٢١ هـ) رحمه الله في بيان التوحيد: "نقول في **توحيد الله** معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولاشيء يعجزه"[٦].

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة الحجر: الآية: ٢).

(٢) سنن الترمذي (٢٠٤٤) ٤/٣٨٦.

(٣) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي للإمام الدارمي ص٦.

(٤) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١/٩٦ - ٩٧، بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٤٨٧، التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/٢٠٦، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٤/١٩١.

(٥) جامع البيان ١/٥٦٢.

(٦) متن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي ص٦.

قال الآجري (ت: ٣٦٠هـ) رحمه الله: "**إن التوحيد** هو قول لا إله إلا الله محمدا رسول الله موقنا من قلبه"(١).

قال الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) رحمه الله: "وكان عند أسامة أنه إنما تكلم بكلمة التوحيد مستعيذا من القتل لا مصدقا به فقتله على أنه كافر مباح الدم"(٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "**حقيقة التوحيد** أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "**توحيد الرسل** إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته"(٤).

قال ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ) رحمه الله: " **كلمة التوحيد** التي دعت إليها الرسل كلها، كما تقدم ذكره. وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال. ولهذا – والله أعلم"(٥).

---

(١) الشريعة للآخري صـ ١٠١.

(٢) معالم السنن للخطابي ٢/٢٧٠.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/٤٩٠.

(٤) الروح لابن القيم صـ ٣٨٦.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ١/٧٢-٧٣..

الاسم الثاني: ومن أسماء التوحيد "العبادة".

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البَقَرَةِ: ٢١].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها **التوحيد**"[١].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: " ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: "**وَحّدوا ربكم**"[٢].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "قال الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين، **أي وحدوا ربكم** ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ "[٣].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: **وحدوا ربكم**؛ جعل العبادة عبارة عن **التوحيد** لأن العبادة التي هي لله لا تكون، ولا تخلص له إلا **بالتوحيد**"[٤].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: " ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ **وحّدوا** وأطيعوا"[٥].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي.(سورة البقرة: الآية: ٢١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (سورة البقرة: الآية: ٢١)، وتفسير جامع البيان عن تأويل آي القران للطبري. (سورة البقرة: الآية: ٢١)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة البقرة: الآية: ٢١)، وعزاه لابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القران للطبري. (سورة البقرة: الآية: ٢١).

(٤) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي. (سورة البقرة: الآية: ٢١).

(٥) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي.(سورة البقرة: الآية: ٢١).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله عند تفسيرها: " ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ "**وحدوا**"[١].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ أمر بالعبادة له. والعبادة هنا عبارة عن **توحيده** والتزام شرائع دينه"[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعني **وحدوا الله**، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾، لأن أهل الكتاب يعبدون الله في غير إخلاص، فلذلك قال الله: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من خلقه"[٣].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) رحمه الله: " ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ قيل: **وحدوا الله**"[٤].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ "**وحّدوا الله** وأطيعوه"[٥].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: **وحدوه** وأطيعوه"[٦].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البقرة: الآية: ٢١).

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.(سورة البقرة: الآية: ٢١).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (النساء: الآية: ٣٦).

(٤) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي. (النساء: الآية: ٣٦).

(٥) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (النساء: الآية: ٣٦).

(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (النساء: الآية: ٣٦).

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦]◉

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، يعني **إلا ليوحدون**"(١).

وقال يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله تبارك وَتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، **إلا ليوحِّدوني**"(٢).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيرها: وقيل: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ **إلا ليوحدون**"(٣).

قال الإمام القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قيل: إن هذا خاصٌّ فيمن سبَق في علم الله تعالى أنه يعبُدُه، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص، والمعنى: وما خلقتُ أهلَ السعادة من الجن والإنس **إلا ليوحِّدون**"(٤).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦ - ٥٨] والمعنى: ما خلقت الجن والإنس **إلا ليُوحِّدونِ**(٥).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الذاريات: الآية: ٥٦).

(٢) تفسير معاني القرآن للفراء (سورة الذاريات: الآية: ٥٦).

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الذاريات: الآية: ٥٦).

(٤) تفسير القرطبي (الذاريات ٥٦).

(٥) تفسير القرطبي، ٥٧/١٧.

الاسم الثالث: ومن أسماء التوحيد "الدين".

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) ﷫: "والدين ورد في القرآن بمعنى التوحيد والشهادة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمْرَان: ١٩] ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ٨٣]، أي: التوحيد وله نظائر"(١).

قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ﷫: قوله تعالى: " ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ الدين في هذه الآية المعتقد والملة بقرينة قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾"(٢).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) ﷫: "الدين هنا **ملة الإسلام واعتقاده**، والألف واللام للعهد"(٣).

قال عبد الرحمن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥ هـ) ﷫: "الدِّينُ، في هذه الآية: هو المعْتَقَدُ، والمِلَّة"(٤).

قال الحسن بن محمد النيسابوري (ت: ٨٥٠ هـ) ﷫: " وقوله سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ الآية: لما بيَّن دلائل **التوحيد** بياناً شافياً قاطعاً للأعذار ذكر بعد ذلك. أنه لم يبق للكافر علة في إقامته على الكفر إلا أن يقسر على

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/٦١٧.
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦).
(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).
(٤) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي. (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦).

الإيمان ويجبر عليه؛ وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار، وينافيه الإكراه والإجبار. ومما يؤكد ذلك قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ يقال بَانَ الشيء واستبان وتبيَّن وبيّن أيضا إذا وضح وظهر ومنه المثل: قد تبين الصبح لذي عينين. والرشد إصابة الخير، والغي نقيضه. أي: تميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلال، بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات"(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩].

قال أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) ﵀ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ قال: الإسلام: **الإخلاص لله وحده وعبادته** لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع"(٢).

عن محمد بن جعفر بن الزبير (ت: ١١٣ هـ) ﵀: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾: "أي ما أنت عليه يا محمد من **التوحيد** للربّ والتصديق للرسل"(٣).

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) ﵀ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ قال: **شهادة أن لا إله إلا الله**، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى"(٤).

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب القرقان للنيسابوري. (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦).

(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٣) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٤) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة آل عمران: الآية: ١٩)، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

وقال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) ﷺ: " ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾، **يعني التوحيد** ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾"[١].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له **بالعبودية والذلة**، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى"[٢].

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام، وهو **التوحيد** والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ"[٣].

وقال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) ﷺ: "وقرئ ﴿أَنَّ ٱلدِّينَ﴾ بفتح الهمزة رداً على أن الأولى، والمعنى: **شهد الله أنه لا إله إلاّ هو**، وشهد أن الدين عند الله الإسلام.

وأصل الدين في اللغة الجزاء. يقال: (كما تدين تدان)، ثم صار اسماً للملة والشريعة، ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة.

قال الزجاج (ت: ٣١١ هـ) ﷺ: الدين اسم لجميع ما **تعبد الله به خلقه** وأمرهم بالإقامة عليه، والإسلام هو الدخول في السلم وهو والاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة"[٤].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

❁ قال ابن جزي (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: "﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ بكسر الهمزة ابتداء، وبفتحها بدل من أنه، وهو بدل شيء من شيء، لأن **التوحيد** هو الإسلام"(١).

❁ قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: " ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له، وهو الإسلام الذي هو **الاستسلام لله بتوحيده** وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دينا سواه، وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم"(٢).

قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزُّمَر: ٢].

❁ قال محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦هـ) رحمه الله: " ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ أمر التوحيد"(٣).

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣].

❁ عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ قال: "**كلمة الإخلاص لا إله إلا الله**، لا يتقبل الله عَزَّوَجَلَّ من أحد عملا حتى يقولها"(٤).

---

(١) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٢) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٣) تفسير ابن فورك. (سورة الزمر الآية: ٢).

(٤) الدعاء للطبراني صـ ٤٦٠.

قال أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) رحمه الله قال: الإسلام الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لها تبع"(١).

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ "شهادة أن لا إله إلا الله"(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ .... واعلم أن الدين هو: الانقياد والخضوع. فقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾. أي له الخضوع والخشوع لا لغيره. وإنما يكون كذلك إذا كان **واحدًا في الإلهية،** إذ لو وجد الاهان لكان كما أن الخضوع لأحدهما حاصل كان أيضًا حاصلًا للثاني، فلا يمكن ثبوت الخضوع إلا لله فقط، فالحصر دل على أنه لا إله سواه، **ولا معبود إلا إياه**"(٣).

قال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ٨٣].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ ؟ الدين كأنه يتوجه إلى وجوه:

يرجع **اعتقاد المذهب** إلى الأصل،

ويرجع إلى الحكم والخضوع كقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المَائـِدَة: ٥٠]،

ويرجع إلى الجزاء، ثم قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ٨٣] كان

(١) تفسير ابن أبي حاتم (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٢) تفسير الطبري (سورة الزمر الآية: ٣).

(٣) عجائب القرآن للرازي صـ ٧٠.

كل منهم يبغي دينا، وهو دين الله، ويدعي أن الدين الذي هو عليه دين الله"(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝﴾ [الزُّمَر: ١١].

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: " قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝﴾ أي: مخلصا له التوحيد، وإخلاص التوحيد: أن لا تشرك به غيره"(٢)

قال تعالى: ﴿يَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "يخلص له **التوحيد**"(٣)، فالدين عنده هو التوحيد.

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: "حتى تستوسق(٤) كلمة الإخلاص **لا إله إلا الله**"(٥).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَيَكُونَ﴾ يعنى ويقوم ﴿ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ ولا يعبد غيره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشرك **فوحدوا** ربهم"(١).

---

(١) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي. (آل عمران: الآية: ٨٣).

(٢) كتاب تفسير السمعاني (سورة الزمر: الآية: ١١).

(٣) زاد المسير ١/٢٠٠، وانظر: جامع البيان٩/٢٤٩.

(٤) بمعنى: تجتمع، يقال: استوسق الشيء: اجتمع وانضم، واستوسق الأمر: انتظم، واستوسق له الأمر: أمكنه أن يجمع السلطة والكلمة في يده.

(٥) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. (سورة االأنفال الآية: ٣٩).

قال محمد بن إسحاق (ت: ١٥١ هـ) رحمه الله: في قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفَال: ٣٩]: "يعني: لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون **التوحيد** لله خالصاً ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد والشركاء"(٢).

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: " ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ **التوحيد** خالصاً ﴿كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ عَزَّوَجَلَّ ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد"(٣).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، أي: ويكون الدين **خالصاً لله** لا شرك فيه"(٤).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ أي لا يشرك معه صنم ولا وثن **ولا يعبد غيره**"(٥).

قال عبد الرحمن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، أيْ: لا يُشْرَكَ معه صَنَمٌ، ولا وَثَنٌ، **ولا يُعْبَدَ غيرُهُ** سبحانه"(٦).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة االأنفال الآية: ٣٩).

(٢) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة الأنفال الآية: ٣٩).

(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة الأنفال الآية: ٣٩).

(٤) تفسير معالم التزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة االأنفال الآية: ٣٩).

(٥) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. (سورة االأنفال الآية: ٣٩).

(٦) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي. (سورة االأنفال الآية: ٣٩).

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الرُّوم: ٣٠].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " إن لم يوحد كفار مكة ربهم فوحد أنت ربك يا محمد ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ يعني فأخلص دينك الإسلام لله عَزَّوَجَلَّ ﴿حَنِيفًا﴾ يعني مخلصا ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يعني ملة الإسلام التوحيد الذي خلقهم عليه ثم أخذ الميثاق من بني آدم من ظهورهم ذريتهم... وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى... ربنا، وأقروا له بالربوبية والمعرفة له تبارك وتعالى ثم قال سبحانه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يقول لا تحويل لدين الله عَزَّوَجَلَّ الإسلام يعنى التوحيد ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعنى التوحيد وهو الدينالمستقيم ﴿لَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ "(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البَيِّنَة: ٥].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ "ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا **بالإخلاص في العبادة لله موحدين**"(٢).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة الروم الآية: ٣٠).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البينة الآية: ٥).

﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني به **التوحيد**.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ يعني: الملة المستقيمة"[(١)].

قال النضر بن شميل (ت: ٢٠٣ هـ) رحمه الله: سألت الخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ) رحمه الله عن قوله: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ فقال: ﴿ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ جمع القيم، والقيم والقائم واحد، ومجاز الآية: وذلك دين القائمين لله **بالتوحيد**"[(٢)].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: " ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ التوحيد والطاعة، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ فقال: وذلك دين القائمين لك **بالتوحيد**"[(٣)].

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: مُقِرِّين له **بالعبادة**.

الثاني: ناوين بقلوبهم وجه الله تعالى في **عبادتهم**.

الثالث: إذا قال: **لا إله إلا الله** أن يقول على أثرها "الحمد لله"، قاله ابن جرير (ت: ٣١٠ هـ)"[(٤)].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة البينة الآية: ٥).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البينة الآية: ٥).

(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة البينة الآية: ٥).

(٤) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة البينة الآية: ٥).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الطاعة، أي **موحدين له** لا يعبدون معه غيره"[(١)].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "وذلك دين القائمين لله **بالتوحيد**"[(٢)].

قال ابن جزي (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: " ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الإخلاص هنا يراد به **التوحيد** وترك الشرك أو ترك الرياء.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝﴾ تقديره الملة القيمة، أو الجماعة القيمة، وقد فسرنا القيمة، ومعناه: أن الذي أمروا به من **عبادة الله، والإخلاص له**، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام، فلأي شيء لا يدخلون فيه"[(٣)].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: قال قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي **التوحيد والإخلاص** في الدين، هو ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝﴾ أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم"[(٤)].

---

(١) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة البينة الآية: ٥).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البينة الآية: ٥).

(٣) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. (سورة البينة الآية: ٥).

(٤) تفسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة البينة الآية: ٥).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لُقْمَان: ٣٢].

قال السدي (ت: ١٢٨ هـ) ﵀: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، يعني: التوحيد"(١).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) ﵀: " ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ يعني موحدين له ﴿ٱلدِّينَ﴾ يقول: التوحيد"(٢).

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) ﵀: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني: موحدين له لا يدعون لخلاصهم سواه"(٣).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ﵀: " ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ موحدين له لا يدعون لخلاصهم سواه"(٤).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) ﵀: " ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ **موحدين** لا يدعون سواه"(٥).

قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النَّحْل: ٥٢].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام. (سورة لقمان: الآية: ٣٢).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة لقمان: الآية: ٣٢).

(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة لقمان: الآية: ٣٢).

(٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة لقمان: الآية: ٣٢).

(٥) تفسير العز بن عبد السلام. (سورة لقمان: الآية: ٣٢).

قال أبو صالح ذكوان بن عبد الله (ت: ١٠١ هـ) ﵀: "قوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال: "**لا إله إلا الله**"[١].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) ﵀: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ "قال: **الإخلاص**"[٢].

قال عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) ﵀: "شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود والفرائض"[٣].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) ﵀: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ "الطاعة **والإخلاص**"[٤].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) ﵀: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي: له الطاعة **والإخلاص** دائما"[٥].

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) ﵀: " ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي: الدين والعبادة والذل في جميع الأوقات لله وحده، على الخلق أن **يخلصوه لله** وينصبغوا بعبوديته""[٦].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (سورة النحل: الآية: ٥٢) برقم (١٢٥٣٣)، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي. (سورة لقمان: الآية: ٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النحل: الآية: ٥٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (سورة النحل: الآية: ٥٢) برقم: (١٢٥٣٢).

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة النحل: الآية: ٥٢).

(٤) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة النحل: الآية: ٥٢).

(٥) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمي بن أبي طالب. (سورة النحل: الآية: ٥٢).

(٦) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة النحل: الآية: ٥٢).

الاسم الرابع: ومن أسماء التوحيد "الإيمان بالله".

قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما، قال: "أخبر الله تعالى أنّ الإيمان **لا إله إلاّ الله**"(١).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: " ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، بأنه **واحد** لا شريك له"(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: " ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يقول: ويصدق بالله أنه **إلهه وربه ومعبوده**"(٣).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "يعني تعالى ذكره والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده، الكافر بالطاغوت عند اقراره **بوحدانية الله** وتبرئة من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سرّ ولا يخفى عليه أمر حتى يجازى كلاً يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضمرته

---

(١) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة البقرة الآية: ٢٥٦)، وتفسير الثعلبي (سورة البقرة الآية: ٢٥٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة الآية: ٢٥٦).

(٣) تفسير الطبري (سورة البقرة الآية: ٢٥٦).

نفسه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً"(١).

قال تعالى: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) ﵀: " ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يعني **يصدقن بالله بأنه واحد لا شريك له**، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، يصدقن بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال بأنه كائن"

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) ﵀: "**التوحيد**: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية"(٢).

وقال أبو عمرو عثمان الداني (ت: ٤٤٤هـ) ﵀: "والإيمان بالله تعالى: يتضمن **التوحيد له** سبحانه، والوصف له بصفاته،... والتوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجود، وواحدٌ معبود"(٣).

وقال ابن منظور (ت: ٧١١هـ) ﵀: "**التوحيد**: الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد"(٤).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المَائـِدَة: ٥].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﵄، قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المَائـِدَة: ٥] قال: أخبر الله سبحانه أن **الإيمان** هو العروة الوثقى،

---

(١) تفسير الطبري (سورة البقرة الآية: ٢٥٦).

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/٢٨١).

(٣) الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني ص ١٢٠.

(٤) لسان العرب لابن منظور (٣/٤٥٠).

وأنه لا يقبل عملاً إلاّ به، ولا يحرّم الجنة إلاّ على من تركه"[١].

قال عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ قال: "**الإيمان التوحيد**"[٢].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾، يعني من نساء أهل الكتاب **بتوحيد الله**، ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٥﴾، يعني من الكافرين"[٣].

قال الكلبي (ت: ٢٠٤ هـ) رحمه الله: ﴿بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ أي: **بكلمة التوحيد**، وهي: شهادة أن لا أله إلا الله"[٤].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "فإن قال لنا قائل: وما وجّه تأويل من وجّه قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ إلى معنى: ومن يكفر بالله؟ قيل وجه تأويله ذلك كذلك أن الإيمان هو التصديق بالله وبرسله وما ابتعثهم به من دينه والكفر: جحود ذلك. قالوا: فمعنى الكفر بالإيمان، هو جحود الله **وجحود توحيده**. ففسروا معنى الكلمة بما أريد بها، وأعرضوا عن تفسير الكلمة على حقيقة ألفاظها وظاهرها في التلاوة.

فإن قال قائل: فما تأويلها على ظاهرها وحقيقة ألفاظها؟ قيل: تأويلها: ومن يأب الإيمان بالله ويمتنع من **توحيده** والطاعة له فيما أمره به ونهاه عنه، فقد

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة المائدة: ٥).
(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة المائدة: ٥).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة المائدة: ٥).
(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (تفسير سورة المائدة: ٥).

حبط عمله وذلك أن الكفر هو الجحود في كلام العرب، والإيمان: التصديق والإقرار، ومن أبى التصديق **بتوحيد الله** والإقرار به فهو من الكافرين، فذلك تأويل الكلام على وجهه"(١).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) ﵀: " ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ بالله الذي يجب **الإيمان به** ﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المَائـِدَة: ٥] إذا مات على ذلك ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ ممن خسر الثواب"(٢).

الاسم الخامس: ومن أسماء التوحيد "الإسلام".

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٩﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩].

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) ﵀، قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩] والإسلام: **شهادة أن لا إله إلا الله**، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به.

قال أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) ﵀ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩] قال: الإسلام: **الإخلاص لله وحده وعبادته** لا شريك له، وإقام

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (تفسير سورة المائدة: ٥).

(٢) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (تفسير سورة المائدة: ٥).

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع.

عن محمد بن جعفر بن الزبير (ت: ١١٣ هـ) رحمه الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩]: أي ما أنت عليه يا محمد من **التوحيد للربّ** والتصديق للرسل"[١].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عِمۡرَان: ٨٣] يقول: وله خشع من في السموات والأرض، فخضع له بالعبودية، وأقرّ له بإفراد الربوبية، وانقاد له **بإخلاص التوحيد والألوهية**"[٢].

قال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨ هـ) رحمه الله: "الاسلام هو **التوحيد** فهو دين جميع الأنبياء"[٣].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "قال عكرمة (ت:١٠٥هـ) رحمه الله وكرهاً: من اضطرته الحجة إلى **التوحيد**، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّخۡرُف: ٨٧] وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العَنكَبُوت: ٦١]"[٤].

---

(١) تفسير الطبري (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٢) تفسير الطبري (سورة آل عمران: الآية: ٨٣).

(٣) معاني القرآن للنحاس ١/٤١٨.

(٤) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة آل عمران: الآية: ٨٣).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "ومعنى الإسلام: **شهادة أن لا إله إلا الله**، والإقرار بما جاء من عند الله؛ وأصل الإسلام: الخشوع والانقياد"[١].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "و ﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ في هذه الآية هو الإيمان والطاعة، قاله أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) وعليه جمهور المتكلمين، وعبر عنه قتادة (ت: ١١٨هـ)، ومحمد بن جعفر بن الزبير (ت: ١١٣ هـ)، **بالإيمان**"[٢].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "من قرأ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ بفتح ﴿أَنَّ﴾ كان التقدير: شهد الله لأجل أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام، فإن الإسلام إذا كان هو الدين المشتمل على **التوحيد**، والله تعالى شهد بهذه الوحدانية كان اللازم من ذلك أن يكون الدين عند الله الإسلام.

ومن قرأ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ بكسر الهمزة، فوجه الاتصال هو أنه تعالى بين أن **التوحيد** أمر شهد الله بصحته، وشهد به الملائكة وأولوا العلم، ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يقال ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ "[٣].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "قال ابن الأنباري (ت:٣٢٨هـ) رحمه الله: المسلم معناه **المخلص لله عبادته** من قولهم: سلم الشيء لفلان، أي خلص له؛ فالإسلام معناه **إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى**"[٤].

---

(١) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٢) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٣) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٤) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الإسلام هو الاستسلام وهو يتضمن **الخضوع لله وحده**؛ والانقياد له والعبودية لله وحده"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "الإسلام" هو **الاستسلام لله** لا لغيره كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الزُّمَر: ٢٩]. فمن لم **يستسلم لله** فقد استكبر ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام والإسلام ضد الشرك والكبر"(٢).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في تفسير هذه الآية: "وهذه الأقوال لا تخرج: ﴿أَسْلَمَ﴾، فيها عن أن يحمل على الاستسلام، وعلى الاعتقاد، وعلى الإقرار باللسان، وعلى التزام الأحكام. وقد قيل بهذا كله"(٣).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وهي **كلمة الإسلام**"(٤).

قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٨٩٨ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي لا دينَ مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذي هو **التوحيدُ** والتدرُّع بالشريعة الشريفة، وعن قتادة (ت:١١٨هـ): أنه شهادةُ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] والإقرارُ بما جاء من عند الله تعالى"(٥).

---

(١) مجموع افتاوى ٧/٤٢٦.

(٢) مجموع افتاوى ١٠/١٤.

(٣) تفسير البحر المحيط لابن حيان الأندلسي (سورة آل عمران: الآية: ٨٣).

(٤) الجواب الكافي ص: ١٧٠.

(٥) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله **بتوحيده** وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دينا سواه، وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم"(١).

الاسم السادس: ومن أسماء التوحيد "كلمة الشهادة".

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عِمۡرَان: ١٨].

الأدلة من السنة

عن ابن عمر (ت: ٧٣ هـ) رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى: **يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))(٢).

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا (ت: ١٨ هـ) رضي الله عنه إلى اليمن فقال: ((ادْعُهُمْ إِلَى **شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ

---

(١) تفسير ابن سعدي (سورة آل عمران: الآية: ١٩).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ))[١].

عن عمر بن الخطاب(ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فَخِديه، قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ((الإسلام **أنتشهد أن لا إله إلا الله**، وأن محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً))، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: ((أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ((ما المسؤول عنها بأعلم من السائل))، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: ((أن تلد الأمة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان))، ثم انطلق فلبثت مليًّا، ثم قال: ((يا عمر، أتدري مَن السائل؟))، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((فإنه جبريل أتاكم يُعلِّمكم دينكم))[٢].

عن عبادة بن الصامت (ت: ٣٤ هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال **أشهد أن لا إله إلا الله** وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه ومسلم (٨).

عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء))(١).

قال الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ) رحمه الله: " وكان بدء الإيمان **كلمة الشهادة**، وأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة سنة يدعو الناس إليها، ويسمى من أجابه إلى ذلك مؤمنا"(٢).

قال عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠ هـ) رحمه الله: "معنى الشهادة: أن يشهد بلسانه وبقلبه أنه **لا معبود حق إلا الله**، يشهد بلسانه ويؤمن بقلبه أنه لا إله إلا الله، يعني: لا معبود حق إلا الله، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام، أو أموات، أو أشجار، أو أحجار، أو ملائكة أو غيرهم كله باطل كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحَج: ٦٢] هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أن تشهد عن علم، ويقين، وصدق أنه لا معبود حق إلا الله، وأن ما عبده الناس من دون الله فكله باطل"(٣).

الاسم السابع: من أسماء التوحيد "كلمة الله".

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠﴾ [التَّوۡبَة: ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨)..

(٢) أعلام الحديث للخطابي ١/١٤٢.

(٣) فتاوى نور على الدرب ١/٤٩.

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "هي: **قول لا إله إلا الله**"(١).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: " ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعني دعوة الشرك، ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ ؛ و ﴿كَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، يعنى **دعوة الإخلاص**، ﴿هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ يعنى العالية، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ حكم إطفاء دعوة المشركين، وإظهار التوحيد"(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "و ﴿كَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، في هذا الموضع: **لا إله إلا الله**"(٣).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: " ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهي كلمة الشرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾، يعني: **كلمة التوحيد**"(٤).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: " ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ والمعنى أنه تعالى جعل يوم بدر كلمة الشرك سافلة دنيئة حقيرة، وكلمة الله هي العليا، وهي **قوله لا إله إلا الله**"(٥).

قال ابن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "وكلمة الله: هي **التوحيد**، وهي ظاهرة. هذا قول الأكثرين"(٦).

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة التوبة: الآية: ٤٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة التوبة: الآية: ٤٠).

(٣) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة التوبة: الآية: ٤٠).

(٤) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة التوبة: الآية: ٤٠).

(٥) تفسير الرازي (سورة التوبة: الآية: ٤٠).

(٦) كتاب البحر المحيط في التفسير ٤٢٢/٥.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): يعني ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الشرك و ﴿كَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ هي: **لا إله إلا الله**"(١).

الاسم الثامن: ومن أسماء التوحيد "الكلمة الباقية".

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخْرُف: ٢٦ - ٢٨].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، ﴿جَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال: لا إله إلا الله(٢).

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها من بعده"(٣).

عن السدي (ت: ١٢٨ هـ) رحمه الله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال: "لا إله إلا الله"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة التوبة: الآية: ٤٠).

(٢) تفسير الطبري (سورة الزخرف الآية: ٢٨)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٣) تفسير الطبري (سورة الزخرف الآية: ٢٨)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٤) تفسير الطبري (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، وهو قول: لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريّته، فلم يزل في ذريّته من يقول ذلك من بعده"(١).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾ يعني: لا إله إلا الله"(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "روي عن كثير من المفسرين أنهم قالوا في تفسير قولهتعالى: ﴿جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾. أنها قول لا إله إلا الله. ويدل عليه وجوه:

الأول: مقدمة هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزُّخْرُف: ٢٦ - ٢٧] وكان معنى قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ نفي الإلهية عن الأشياء التي كانوا يعبدونها. ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾. فكان فيه اثبات الإلهية للذي فطره، فإذا حصل هذان المعنيان كان مجموعهما هو قول: لا إله إلا الله. ثم قال: ﴿جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾. فثبت أن المراد من الكلمة الباقية قول لا إله إلا الله.

الثاني: أنه تعالى قال في سورة القصص: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: ٨٨]. فبين أن كل شيء هالك إلا هو، فإنه واجب الدوام والبقاء. والسرمدية، وقد عرفت أن القول تبع المقول،

---

(١) تفسير الطبري (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الزخرف الآية: ٢٨) ٤/١٨٢.



والاعتقاد تبع المعتقد، فكان صدق لا إله إلا الله، وحقيقة لا إله إلا الله واجبي الثبوت والبقاء والدوام، وذلك هو المراد بكونها باقية.

الثالث: أنا بينا أن التوحيد لا يزول بسبب المعصية، والمعصية تزول بسبب التوحيد، وأيضًا التوحيد يبقى مع أهل الجنة، وسائر الطاعات لا تبقى، روى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ عن جبريل ((أن الله يقول يوم القيامة: مالي أرى فلان بن فلان في صفوف أهل النار؟ فأقول: يا رب، أنا لم نجد له حسنة، فيقول الله تعالى: إني سمعته في الدنيا يقول: يا حنّان يا منّان، فاذهب إليه فسله. فيأتيه فيجده في زاوية من زوايا جهنم يقول: يا حنان يا منان، فيسأله جبريل عن هذه الكلمة، فيقول: وهل حنان منان غير الله. قال جبريل: فأخذ بيده من صفوف أهل النار، فأدخله في صفوف أهل الجنة))[١]"[٢].

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: " ﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو الله كلمة التوحيد. ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو إلى توحيده"[٣].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وهي: الكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ "[٤].

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في ((نوادر الأصول)) (٤٥٩) باختلاف يسير، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٦/٢١٠) واللفظ له. وفيه الفضل الرقاشي تفرد به ولم يتابع عليه.

(٢) عجائب القرآن للرازي صـ ٦٠-٦١.

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٤) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات. لابن تيمية. صـ ٢٩.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "أي جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: لا إله إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة"(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: " ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي: "لا إله إلا الله" أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم، عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها"(٢).

الاسم التاسع: ومن أسماء التوحيد "الكلمة العاصمة".

عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨ هـ) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))(٣).

عن عبد الله بن عمر (ت: ٧٣ هـ) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق

---

(١) الجواب الكافي ص ١٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة الزخرف الآية: ٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢١)، والترمذي (٣٣٤١)، والنسائي (٣٩٧٧)، وابن ماجه (٣٩٢٨)، وأحمد (١٥٢٤١) واللفظ له.

الإسلام، وحسابهم على الله))[١].

عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من قال: لا اله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه. وحسابه على الله))[٢].

عن عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢ هـ) رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة))[٣].

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله. ويؤمنوا بي وبما جئت به. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. وحسابهم على الله))[٤].

عن عبيد الله بن عدي بن الخيار (ت: في زمن الوليد بن عبد الملك) رحمه الله، أن رجلا من الأنصار حدثه أنه أتى النبي ﷺ وهو في مجلس فساره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: ((أليس يشهد أن لا اله إلا الله؟)). قال الأنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، فقال رسول الله ﷺ: ((أليس يشهد أن محمدا رسول الله؟)). قال: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، قال: ((أليس يصلي؟)). قال: بلى يا رسول الله، ولا صلاة له، فقال رسول الله

(١) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الايمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، (٤٠/١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المَائـِدَة: ٤٥] (٤٨/٨). ورواه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ماييباح به دم المسلم (٥/ص ٩٥).

(٤) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

ﷺ: ((أولئك الذين نهاني الله عنهم))[١].

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه عندما أعطاه الراية يوم خيبر: ((قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم. إلا بحقها. وحسابهم على الله))[٢].

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنهما، قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد (ت: ٢١ هـ)، إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر. ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره. فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يده فقال: ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. مرتين))[٣].

عن أسامة بن زيد (ت: ٥٤ هـ) رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية. فصبحنا الحرقات من جهينة. فأدركت رجلا. فقال: لا اله إلا الله. فطعنته فوقع في نفسي من ذلك. فذكرته للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: ((أقال: لا اله إلا الله وقتلته؟)) قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح. قال: ((أفلا

---

(١) قال الهيثمي في المجمع -كتاب الإيمان، باب في ما يحرم دم المرء وماله- (ج١/ص٣٩): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح وأعاده عن عبيد الله بن عدي بن الخيار عن عبد الله بن عدي الأنصاري حدثه فذكر معناه.

(٢) ورواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل علي رضي الله عنه (١٢١/٧).حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، (١٢٥/٥).

شققت عن قلبه حتى تعلم: أقالها أم لا)) فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ"(١).

قال علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾ [التوبة: ٥] فيه: ابن عمر، قال ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))(٢). قال المؤلف: قال أنس بن مالك: هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن، وتوبتهم خلع الأوثان، وعبادتهم لربهم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] فقام الدليل الواضح من هاتين الآيتين أن من ترك الفرائض، أو واحدة منها، فلا يخلى سبيله، وليس بأخ فى الدين، ولا يعصم دمه وماله، ويشهد لذلك قوله ﷺ: ((فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها))، وبهذا حكم أبو بكر الصديق في أهل الردة، وهذا يرد قول المرجئة أن الإيمان غير مفتقر إلى الأعمال. وقولهم مخالف لدليل الكتاب والآثار وإجماع أهل السنة. فمن ضيع فريضة من فرائض الله جاحدا لها فهو كافر، فإن تاب وإلا قتل، ومن ضيع منها شيئا غير جاحد لها فأمره إلى الله، ولا يقطع عليه بكفر"(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، (ج١/ص٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/٧٦-٧٧.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وكذلك لم تحصل عصمة المال والدم على الإطلاق إلا بها وبالقيام بحقها وكذلك لا تحصل النجاة من العذاب على الإطلاق إلا بها وبحقها فالعقوبة في الدنيا والآخرة على تركها أو ترك حقها"[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار "[٢].

الاسم العاشر: ومن أسماء التوحيد "كلمة الإخلاص".

عن عثمان بن عفان (ت: ٣٥ هـ) رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ثم إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار".

فقال له عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه: أنا أحدثك ما هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمد صلى الله عليه وسلم، وهي كلمة التقوى... " الحديث[٣].

وعن أبي بن كعب (ت: ٣٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا إذا أصبحنا: ((أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما، وما كان من المشركين))، وإذا أمسينا مثل ذلك"[٤].

عن عبد الرحمن بن أبزى (ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص٥٩.

(٢) الجواب الكافي ص: ١٧٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦٣/١).

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٢١١٤٤) واللفظ له، والطبراني في ((الدعاء)) (٢٩٣).

أصبح يقول: ((أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم، حنيفا مسلما، وما كان من المشركين))[١].

عن عبد الله بن عمرو (ت: ٦٥هـ) رضي الله عنه، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣] قال: "كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، لا يتقبل الله عَزَّوَجَلَّ من أحد عملا حتى يقولها"[٢].

عن مجاهد بن جبر (ت:١٠٤هـ) رحمه الله: "﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفَتْح: ٢٦] كلمة الإخلاص"[٣].

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [الأَنْعَام: ١٦٠] قال: "كلمة الإخلاص لا إله إلا الله"[٤].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: "﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبْرَاهِيم: ٢٤] يعني حسنة يعني كلمة الإخلاص وهي التوحيد ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبْرَاهِيم: ٢٤] يعني بالطيبة الحسنة كما أنه ليس في الكلام شيء أحسن ولا أطيب من الإخلاص قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[٥].

قال أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (ت نحو: ٣٦٠هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٨٢٩)، وأحمد (١٥٣٦٧) واللفظ له.

(٢) الدعاء للطبراني صـ ٤٦٠.

(٣) تفسير إسحاق البستي ٣٧٧/٢.

(٤) الدعاء للطبراني ص.٤٤١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٤٠٤/٢.

[إِبْرَاهِيم: ٢٤]. دليل على أن كلمة الإخلاص جامعة للخير، نامية للحسنات، جالبةعلى قائلها كلما لفظ بها ثوابا مجردا، مثمرة له كل ما يقر الله به عينه فيمعاده إذا ورد عليه"(١).

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: " قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمَر: ١١] أي: مخلصا له التوحيد، وإخلاص التوحيد: أن لا تشرك به غيره"(٢).

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) رحمه الله: "وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها. فهي كلمة التقوى، كما قاله عمر وغيره من الصحابة. وهي كلمة الإخلاص.... "(٣).

وقال محمد بن أحمد السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) رحمه الله: "كلمة الإخلاص، وهي لا إله إلا الله وهي أس الإيمان"(٤).

قال عبيد الله الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤ هـ) رحمه الله: "وكلمة الإخلاص: هي كلمة التوحيد لله تعالى بأنه المعبود بحق، وسميت كلمة التوحيد كلمة الإخلاص؛ لأنها لا تكون سببا للخلاص إلا إذا كانت مقرونة بالإخلاص"(٥).

---

(١) كتاب النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٢/٢٧.

(٢) تفسير السمعاني ٤/٤٦٢.

(٣) كتاب التوحيد أو تحقيق كلمة الإخلاص صـ ٧٤.

(٤) لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية ٢/٢٠٠.

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/١٥٨.

الاسم العاشر: ومن أسماء التوحيد "الطيب من القول".

قال تعالى: " ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤]

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "هو شهادة أن لا إله إلا الله"[١].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿هُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعني التوحيد، وهو قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كقوله: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً... ﴾ [إبراهيم: ٢٤] يعني التوحيد"[٢].

قال الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤] يقول تعالى ذكره: وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله"[٣].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "هو لا إله إلا الله"[٤].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ) رحمه الله: "﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو شهادة أن لا إله إلاّ الله"[٥].

قال ابن عطية (ت: ٥٤١ هـ) رحمه الله: "و﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا إله إلاَّ الله وما جرى معها من ذكر الله تعالى وتسبيحه وتقديسه"[٦].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الحج: الآية: ٢٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الحج: الآية: ٢٤).

(٣) تفسير الطبري (سورة الحج: الآية: ٢٤).

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن زمنين (سورة الحج: الآية: ٢٤).

(٥) تفسير الثعلبي (سورة الحج: الآية: ٢٤).

(٦) تفسير ابن عطية (سورة الحج: الآية: ٢٤).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "الطيب المطلق هو: معرفة ألا إله إلا الله، وذكر لا إله إلا الله، والاستغراق في أنوار جلال لا إله إلا الله، فلهذا السبقال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤] والمراد منه: كلمة لا إله إلا الله"(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "وقد قال بعض المفسرين في قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤] أي: القرآن. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: الأذكار المشروعة"(٢).

الاسم الحادي عشر: ومن أسماء التوحيد "الكلمة الطيبة".

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦].

عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما في قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله"(٣).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ

---

(١) عجائب القرآن للرازي صـ ٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة الحج: الآية: ٢٤).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤)، وتفسير ابن كثير (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

﴿مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ يعني حسنة، يعني كلمة الإخلاص، وهي التوحيد"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "ويعني بالطيبة: الإيمان به جلّ ثناؤه"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ هي: لا إله إلا الله"(٣).

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ) رحمه الله: "﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ شهادة أن لا إله إلاّ الله"(٤).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "وقيل: الكلمة الطيبة أصلها ثابت، هي ذات أصل في القلب، يعني التوحيد"(٥).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾، هي قول: لا إله إلا الله"(٦).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [إبراهيم: ٢٤] ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، ذكر ذلك ترغيبا في كلمة التوحيد"(٧).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

(٢) تفسير الطبري (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

(٤) تفسير الثعلبي (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

(٥) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

(٧) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤). قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/١٦٣.

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي: كلمة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. فبين بذلك أن الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والإيمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الإيمان مستقر لا يتحول عنه"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: " "لا إله إلا الله". فإن في هذه الكلمة الطيبة التي هي ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] فيها إثبات معرفته والإقرار به. وفيها إثبات محبته فإن الإله هو المألوه الذي يستحق أن يكون مألوها؛ وهذا أعظم ما يكون من المحبة. وفيها أنه لا إله إلا هو. ففيها المعرفة والمحبة والتوحيد"(٢).

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) رحمه الله: "والكلمة الطيبة قيل: هي كلمة الإسلام، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك"(٣).

الاسم الثاني عشر: ومن أسماء التوحيد "الكلم الطيب".

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٥٩.
(٢) مجموع الفتاوى ١٦/٣٤٥.
(٣) تفسير ابن عاشور (سورة إبراهيم: الآية: ٢٤).

وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فَاطِر: ١٠].

قال السدي (ت: ١٢٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني: التوحيد"(١).

قال يحي بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ "التوحيد".

﴿ٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] "التوحيد"، لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد كقوله: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإِسْرَاء: ١٩]"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت:٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: ١٠] تفسير قتادة (ت:١١٨هـ)، يقول: من كان يريد العزة؛ فليتعزز بطاعة الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠] هو التوحيد ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] التوحيد؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد"(٣).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠] أي التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه"(٤).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام. (سورة القصص: الآية: ٥٧).

(٢) تفسير يحيى بن سلام. (سورة فاطر: الآية: ١٠).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/٢٦.

(٤) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/٤٣١.

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله، ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وهو قوله لا إله إلا الله"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] ومن لم يكن معه أصل ثابت فإنه يحرم الوصول؛ لأنه ضيع الأصول؛ ولهذا تجد أهل البدع والشبهات لا يصلون إلى غاية محمودة كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ١٤﴾ [الرَّعْد: ١٤] "(٢).

الاسم الثالث عشر: ومن أسماء التوحيد "المثل الأعلى".

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦٠﴾ [النَّحْل: ٦٠].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ "شهادة أن لا إله إلا الله"(٣).

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: "قوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّحْل: ٦٠] الإخلاص والتوحيد"(٤).

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة فاطر: الآية: ١٠).

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٥٩-١٦٠.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة النحل: الآية: ٦٠)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٤) تفسير الطبري (سورة النحل: الآية: ٦٠).

❁ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: "شهادة أن لا إله إلا الله"[١].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ لأنه تبارك وتعالى ربا واحد لا شريك له ولا ولد"[٢].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: " يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره"[٣].

❁ قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يقول: ولله الإخلاص والتوحيد؛ في تفسير قتادة"[٤].

❁ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: " ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، الصفة العليا، وهي التوحيد والإخلاص. وقال ابن عبّاس: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: النار، ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادة أن لا إله إلاّ الله"[٥].

❁ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: " ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (سورة النحل: الآية: ٦٠)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (تفسير سورة النحل: الآية: ٦٠) وقال: وأخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٣) تفسير الطبري (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٤) تفسير ابن أبي زمنين (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٥) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النحل: الآية: ٦٠).

أي: الأفضل والأكمل والأحسن وهو التوحيد"[١].

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، فيه وجهان:

أحدهما: الصفة العليا بأنه خالق ورزاق وقادر ومُجازٍ.

الثاني: الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة"[٢].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الإخلاص والتوحيد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله"[٣].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، الصفة العليا، وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو. وقيل: جميع صفات الجلال والكمال، من العلم، والقدرة، والبقاء، وغيرها من الصفات. قال ابن عباس: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: النار، و ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله"[٤].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: " ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة. وقيل: أي: الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر ومجاز. وقال ابن عباس: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ النار، و ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، شهادة أن لا إله إلا الله"[٥].

---

(١) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٢) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة النحل: الآية: ٦٠).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا وعلم العالمين بها ووجودها العلمي والخبر عنها وذكرها وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه فهاهنا أربعة أمور:

الأول: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه في نفس الأمر علمها العباد أو جهلوها وهذا معنى قول من فسره بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والتصور وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف إنه ما في قلوب عابديه وذاكريه من معرفته وذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشترك فيه غيره معه بل يختص به في قلوبهم كما اختص في ذاته وهذا معنى قول من قال من المفسرين أهل السماء يعظمونه ويحبونه ويعبدونه وأهل الأرض يعظمونه ويجلونه وإن أشرك به من أشرك وعصاه من عصاه وجحد صفاته من جحدها فكل أهل الأرض معظمون له مجلون له خاضعون لعظمته مستكينون لعزته وجبروته قال تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [البَقَرَة: ١١٦] فلست تجد أحدا من أوليائه وأعدائه إلا والله أكبر في صدره وأكمل وأعظم من كل سواه.

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهها عن النقائص والعيوب والتمثيل.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه والإنابة إليه وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى فعبارات السلف تدور حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها"[(١)].

---

(١) الصواعق المرسلة ٣/١٠٣٥.

قال الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: " ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو أضداد صفة المخلوقين من الغنى الكامل، والجود الشامل، والعلم الواسع، أو التوحيد وإخلاص العبادة، أو أنه خالق رازق قادر مجاز؛ وقيل: شهادة أن لا إله إلاّ الله؛ وقيل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النُّور: ٣٥] "[١].

الاسم الرابع عشر: ومن أسماء كلمة التوحيد "أم الخصال الحميدة وأساسها".

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞﴾ [الزُّخْرُف: ٢٨]

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبرِّي من عبادة ما سواه"[٢].

الاسم الخامس عشر: ومن أسماء التوحيد "كلمة التقوى".

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞﴾ [الفَتْح: ٢٦].

عن الطفيل بن أبي بن كعب (ت: ٨١ هـ) رحمه الله، عن أبيه (ت: ٣٠ هـ) رضي الله عنه، سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: "لا إلَه إلا اللهُ"[٣].

---

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة النحل: الآية: ٦٠).

(٢) تفسير ابن سعدي (سورة الزخرف: الآية: ٢٨).

(٣) تفسير الطبري (سورة الفتح الآية: ٢٦).



عن عثمان بن عفان (ت: ٣٥ هـ) ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ثم إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار".
فقال له عمر بن الخطّاب (ت: ٢٣ هـ) ﷺ: أنا أحدثك ما هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمد ﷺ، وهي كلمة التقوى... " الحديث(١).

عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) ﷺ، في قوله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إله إلا الله"(٢).

وفي سنن سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧ هـ) ﷺ بسنده سمعت على الأزدي (ت: ١٨٧ هـ) ﷺ يقول: يقول: سمعت ابن عمر (ت: ٧٣ هـ) ﷺ وسمع الناس يقولون: "لا إله إلا الله والله أكبر" بين مكة ومنى؛ فقال: هي هي. فقلت: وما هي؟ قال: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾: لا إله إلا الله"(٣).

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﷺ، قوله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، يقول: شهادة أن لا إله إلا الله، فهي كلمة التقوى، يقول: فهي رأس التقوى"(٤).

عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) ﷺ ؛ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: "لا إله إلا الله"(٥).

---

(١) أخرج أحمد في مسنده (٦٣/١).
(٢) تفسير الطبري (سورة الفتح الآية: ٢٦).
(٣) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٣٨١/٧.
(٤) تفسير الطبري (سورة الفتح الآية: ٢٦)، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١.
(٥) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٣٧٩/٧.

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ "وكان المسلمون أحقّ بها، وكانوا أهلها: أي التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله"(١).

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣ هـ) رحمه الله: "هي كلمة لا إله إلا الله فإنها رأس التقوى، ثم قال: خير الناس المسلمون، وخير المسلمين المؤمنين، وخير المؤمنين العلماء العاملون، وخير العاملين الخائفون، وخير الخائفين المخلصون المتقون الذين وصلوا إخلاصهم وتقواهم بالموت، فإن مثله كمثل راكب السفينة بالبحر، لا يدري أينجو منه أن يغرق فيه، والذين تم لهم ذلك أصحاب رسول الله ﷺ بقوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ "(٢).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ): " ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد بن جبر، والضحاك بن مزاحم، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وابن زيد، وأكثر المفسرين: كلمة التقوى "لا إله إلا الله"(٣).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ): "وألزمهم كلمة التقوى قيل: لا إله إلا الله. روي مرفوعا من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ. وهو قول علي رضي الله عنه، وابن عمر رضي الله عنهما، وابن عباس رضي الله عنهما، وعمرو بن ميمون رحمه الله، ومجاهد بن جبر رحمه الله، وقتادة رحمه الله، وعكرمة رحمه الله، والضحاك بن مزاحم رحمه الله، وسلمة بن كهيل رحمه الله،

---

(١) تفسير الطبري (سورة الفتح الآية: ٢٦).

(٢) تفسير التستري صـ ١٤٨.

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الفتح الآية: ٢٦).

وعبيد بن عمير رحمه الله، وطلحة بن مصرف رحمه الله، والربيع رحمه الله، والسدي رحمه الله، وابن زيد رحمه الله، وقاله عطاء الخراساني رحمه الله، وزاد " محمد رسول الله"؛ وعن علي رضي الله عنه، وابن عمر رضي الله عنه ا، أيضا هي لا إله إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله، ومجاهد بن جبر رحمه الله، أيضا: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال الزهري رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم. يعني أن المشركين لم يقروا بهذه الكلمة، فخص الله بها المؤمنين. وكلمة التقوى هي التي يتقى بها من الشرك. وعن مجاهد بن جبر رحمه الله، أيضا أن كلمة التقوى الإخلاص"(١).

الاسم السادس عشر: ومن أسماء التوحيد "سبيل التقوى".

قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النَّحل: ٢].

فالتوحيد أعظم نعمة أنعمها الله تعالى على عباده حيث هداهم إليه، كما جاء في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، فالله عَزَّوَجَلَّ قدّم نعمة التوحيد على كل نعمة.

- قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "أمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أن ينذروا الناس، فقال: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النَّحل: ٢]، يعنى فاعبدون"(٢).

- قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: " ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ مع تخويفهم

(١) تفسير القرطبي (سورة لقمان الآية: ٢٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ٢).

إن لم يقروا ﴿فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ بالتوحيد والطاعة"[١].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "ثم العقل أيضا ليس بكامل النورانية والصفاء والإشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أحوال عالم الأرواح والأجساد، وعالم الدنيا والآخرة، ثم إن هذه المعارف الشريفة الإلهية لا تكمل ولا تصفو إلا بنور الوحي والقرآن"[٢].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "وأشرف المعارف وأجلها معرفة أنه لا إله إلا هو، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ والقوة الثانية للنفس: استعدادها للتصرف في أجسام هذا العالم، وهذه القوة هي القوة المسماة بالقوة العملية، وسعادة هذه القوة في الإتيان بالأعمال الصالحة، وأشرف الأعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ ولما كانت القوة النظرية أشرف من القوة العملية وسعادة هذه القوة في الإنباء بالأعمال الصالحة وأشرف الأعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ ولما كانت القوة النظرية أشرف من القوة العملية لا جرم قدم الله تعالى كمالات القوة النظرية، وهي قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ على كمالات القوة العملية وهي قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ "[٣].

وقال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "سميت هذه الكلمة بكلمة التقوى: هو أن هذه الكلمة واقية لبدنك من السيف، ولمالك من الاستغنام،

---

(١) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة النحل: الآية: ٢).
(٢) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل: الآية: ٢).
(٣) تفسير مفاتح الغيب للرازي (سورة النحل: الآية: ٢).

ولذمتك من الجزية، ولأولادك من السبي، فإن انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر، وإن انضم التوفيق إليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي"(١).

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: "والآية تدل على التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العملية"(٢).

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) رحمه الله: "وقد أحاطت جملة ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ بالشريعة كلها، لأن جملة ﴿أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ تنبيه على ما يرجع من الشريعة إلى إصلاح الاعتقاد وهو الأمر بكمال القوة العقلية.
وجملة ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ تنبيه على الاجتناب والامتثال اللذين هما منتهى كمال القوة العملية"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "وزبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربها وقام بضدها"(٤).

---

(١) عجائب القرآن للرازي ص ٦٠.

(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة النحل: الآية: ٢).

(٣) تفسير ابن عاشور (سورة النحل: الآية: ٢).

(٤) تفسير بن سعدي (سورة النحل: الآية: ٢).

قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري (ت: ١٣٣٢ هـ) رحمه الله: "إن القلب إذا صفت مقاصده لله، وصفت معلوماته مما سواه، وانحشى بوحيه العزيز، وانشغل بذكر أسمائه الحسنى متدبراً معانيها ومشتقاتها، ليعامل الله بمقتضاها ولا يأنس إلا بها؛ صفت موارده لخلوص مقاصده، فصار سليماً، وفي حصن حصين من غزو أعدائه شياطين الإنس والجن الفكري ومن همزاتهم. فيثمر له صفاء علمه ومتعلقاته؛ حسن السلوك الذي يسيِّر الأعضاء والأحاسيس حسب مرضاة الله"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "العبد عليه حقان:

حقٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وحقٌلعباده. ثم الحق الذي عليه لا بد أن يُخِلَّ ببعضه أحيانا؛ إما بترك مأمور به، أو فعل منهيّ عنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اتق الله حيثما كنت)) وهذه كلمة جامعة، وفي قوله: ((حيثما كنت)) تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية، ثم قال: ((واتبع السيئة الحسنة تمحها)) فإن الطبيب متى تناول المريض شيئًا مضرًا أمره بما يصلحه.

والذنب للعبد كأنه أمر حتم؛ فالكيّس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات"[٢].

قالابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "التقوى: هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه، فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع، وأما استعمال النافع فقد يكون معه أيضاً استعمالاً لضار، فلا يكون صاحبه من المتقين"[٣].

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٢١٧/١.
(٢) مجموع الفتاوى ٦٥٥/١٠.
(٣) مجموع الفتاوى ١٤٤/١٠.

الاسم السابع عشر: ومن أسماء التوحيد "السبيل".

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٨].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ﴾، ملة الإسلام، ﴿سَبِيلِىٓ﴾، يعنى سنتي، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى إلى معرفة الله، وهو التوحيد، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، يعنى على بيان، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، على ديني، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، نزه الرب نفسه عن شركهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ "[١].

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قُلْ يا محمد هَذِهِ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته، سَبِيلي وطريقتي ودعوتي أدْعُو إلى اللهِ وحده لا شريك له على بَصِيرَةٍ بذلك، ويقين علم مني به، أنَا وَ يدعو إليه على بصيرة أيضا مَن اتّبَعَنِي وصدّقني وآمن بي. وَسُبْحانَ اللهِ يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه، وَما أنا مِنَ المشْرِكِينَ يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني"[٢].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: ملتي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على يقين ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أمره أن ينزه

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٢) تفسير الطبري. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

الله عما قال المشركون"(١).

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: " ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ "(٢).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ يعني: هذه الملة، ديني الإسلام، ويقال: هذه دعوتي ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾ الخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى. ويقال: أدعوكم إلى توحيد الله وعبادته ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين وحقيقة. ويقال: على بيان ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يعني: من اتبعني على ديني، فهو أيضاً على بصيرة ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً لله عن الشرك ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ على دينهم"(٣).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ والمعنى: قل لهم يا محمد: هذه الدعوة التي أدعوكم إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، أدعوكم إلى الله سبحانه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على منهاج ظاهر، ويقين ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾. ثم قال: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: أي: وقل يا محمد سبحان الله: أي: تنزيها لله من شرككم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ "(٤).

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٣) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: هذه دعوتي، قاله ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما.

الثاني: هذه سنتي، قاله عبد الرحمن بن زيد (ت: ١٨٢ هـ) رحمه الله. والمراد بها تأويلان:

أحدهما: الإخلاص لله تعالى بالتوحيد.

الثاني التسليم لأمره فيما قضاه"[(١)].

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠ هـ) رحمه الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي"[(٢)].

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: " ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ يعني طريقي التي ﴿أَدْعُوٓا۟﴾ إليها وهي توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ودين الإسلام وسمي الدين سبيلاً لأنه الطريق المؤدي إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإلى الثواب والجنة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني إلى توحيد الله والإيمان به"[(٣)].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "يقول الله تعالى لعبد ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بَصِيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكلّ من اتبعه، يدعو

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٢) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٣) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي"[١].

قال محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥ هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدعوة إلى التوحيد، ﴿سَبِيلِيٓ﴾: طريقتي، ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بينان وتفسير للسبيل، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: معرفة وحجة، ﴿أَنَا۠﴾: تأكيد لضمير أدعوا، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ أي: من آمن بي أيضا يدعوا إلى الله تعالى"[٢].

قال أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢ هـ) رحمه الله: "﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ وهي الدعوةُ إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص وفسّرها بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بيانٍ وحجةٍ واضحةٍ غيرِ عمياءَ"[٣].

قال شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) رحمه الله: "﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي"[٤].

الاسم الثامن عشر: ومن أسماء التوحيد "القول السديد".

قال تعالى: ﴿وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾ [النِّسَاء: ٩].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٢) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

(٤) تفسير روح المعاني للألوسي. (سورة يوسف: الآية: ١٠٨).

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠ - ٧١].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "القول السداد: لا إله إلا الله"(١).

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله: قال: "قولوا: لا إله إلا الله"(٢).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠] يعني قولا عدلا، وهو التوحيد"(٣).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿قُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ أي: عدلًا؛ وهو: لا إله إلا الله"(٤).

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) رحمه الله: "القول السديد كلمةُ الإخلاص، وهي الشهادتان عن ضميرٍ صادق"(٥).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "وقوله ﴿قُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ أي

---

(١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١، تفسير القرطبي (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).

(٢) تفسير الطبري (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير الهداية في بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة الأحزاب: الآية: ٧٠) وقال: وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمةفي قوله ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠] قال: قولوا لا إله إلا الله".

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة الأحزاب الآية: ٧٠) ٤١٥/٣.

(٥) تفسير لطائف الإشارات للقشيري (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).

حقا وصوابا قيل هو لا إله إلا الله"[١].

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "﴿سَدِيدًا ۝٧٠﴾ عدلاً، أو صدقاً، أو صوباً، أو قول لا إله إلا الله، أو يوافق باطنه ظاهره، أو ما أريد به وجه الله تعالى دون غيره"[٢].

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧ هـ) رحمه الله: "يعني كلمة التوحيد"[٣].

الاسم التاسع عشر: ومن أسماء التوحيد "القول الثابت".

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٧].

عن البراء بن عازب (ت: ٧٢ هـ) رضي الله عنه مرفوعاً: ((المسلمُ إذا سُئِلَ في القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فذلك قولُهُ تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٧]))[٤].

قال طاووس (ت: ١٠٦ هـ) رحمه الله: "﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: لا إله إلا الله، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ المسألة في القبر"[٥]

---

(١) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (سورة الأحزاب الآية: ٧٠).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/٣٠٦.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٥) تفسير عبد الرزاق (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧)، وتفسير ابن كثير (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ثم ذكر المؤمنين بالتوحيد في حياتهم وبعد موتهم، فقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾، وهو التوحيد، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ثم قال: ﴿وَ﴾ يثبتهم ﴿فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾، يعني في قبره في أمر منكر ونكير بالتوحيد، وذلك أن المؤمن يدخل عليه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فيجلسانه في القبر، فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: ربي الله عَزَّوَجَلَّ، وديني الإسلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسولي، فيقولان له: وقيت وهديت، ثم يقولان: اللهم إن عبدك أرضاك فأرضه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾، أي يثبت الله قول الذين آمنوا"[١].

قال الفراء (ت: ٢٠٧ هـ) رحمه الله: "يقال: بلا إله إلا الله فهذا في الدنيا. وإذا سئل عنها في القبر بعد موته قالها إذا كان من أهل السَّعادة، وإذا كان منْ أهل الشقاوة لم يقلها. فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عنها أي عن قول لا إله إلا الله"[٢].

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ القول الثابت: كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله"[٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

(٢) تفسير معاني القرآن للفراء (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

(٣) تفسير السمعاني ٣/١١٥، (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾، كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعني قبل الموت، ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾، يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير"(١).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "القول الثابت في الحياة الدنيا، كلمة الإخلاص، والنجاة من النار: لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوة"(٢).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "فالقول الثابت هو كلمة التوحيد"(٣).

قال عبد الرحمن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥ هـ) رحمه الله: " ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كلمةُ الإِخلاصِ والنجاةِ من النَّار: "لا إله إِلا اللَّه"، والإِقرارُ بالنبوءة"(٤).

الاسم العشرون: ومن أسماء التوحيد "الإحسان".

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحْمَٰن: ٦٠].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، والمفسرون: هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلا الجنة"(٥).

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

(٢) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/٣٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

(٤) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (سورة إبراهيم: الآية: ٢٧).

(٥) بصائر ذوي التمييز ٢/٤٦٦؛ تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الرحمن الآية: ٦٠).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وحكى النقاش أن النبي ﷺ فسر هذه الآية: ((هل جزاء التوحيد إلا الجنة))"(١).

قال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس: ٢٦].

قال فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) رحمه الله: "والمراد من قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ هو: قول لا إله إلا الله باتفاق أهل التفسير. وبدليل أنه لو قال ذلك ومات ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة"(٢).

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فُصِّلَت: ٣٣]. واتفقوا على أن هذه الآية نزلت في فضيلة الأذان، وما ذلك إلا لاشتمال الأذان على كلمة لا إله إلا الله. وأيضًا فإنه تعالى قال في صفة الكافرين: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأَنْعَام: ٢١]. فكما أنه لا قبيح أقبح من كلمة الكفر، لا حسن أحسن من كلمة التوحيد. ولهذا قال تعالى في أول سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [المُؤْمِنُون: ١]. وقال في آخر السورة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ⑪⑦﴾ [المُؤْمِنُون: ١١٧] ثم إنه لما كان قول الموحد حسنًا كان مقيله حسنًا، كما قال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ㉔﴾ [الفُرْقَان: ٢٤]. ولما كان الكافر قبيحًا كان مقيله أيضًا مظلمًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧].

---

(١) تفسير ابن عطية (سورة الرحمن الآية: ٦٠)، ٥/٢٣٤.

(٢) عجائب القرآن للرازي صـ ٤٩.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: ١٨]. ولا شك أن أحسن القول لا إله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النَّحل: ٩٠]. قيل: العدل: الإعراض عما سوى الله تعالى، والإحسان: الإقبال على الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ [الإِسۡرَاء: ٧]. ولا شك أن الإحسان قول: لا إله إلا الله.

عن أبي موسى الأشعري (ت: ٤٤ هـ) ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿* لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يُونُس: ٢٦]: ((للذين قالوا: لا إله إلا الله الحسنى وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم))"(١).

الاسم الحادي والعشرون: ومن أسماء التوحيد "كلمة الصدق".

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزُّمَر:٣٣].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﵄، قوله: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾، يقول: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿صَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني: رسوله"(٢).

---

(١) عجائب القرآن للرازي صـ ٤٩-٥٠.

(٢) تفسير الطبري (سورة الزمر: الآية: ٣٣) وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة الزمر: الآية: ٣٣)، قال: "وأخرج ابن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، وابن المنذر (ت: ٣١٨ هـ)، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ)، وابن مردويه (ت: ٤١٠ هـ)، والبيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) في الأسماء والصفات عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) في قوله ﴿ٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ [الزُّمَر: ٣٣] يعني بلا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: ٣٣] يعني برسول الله ﷺ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] يعني اتقوا الشرك".



❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ يعني بالحق، وهو النبي ﷺ جاء بالتوحيد ﴿صَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني بالتوحيد، المؤمنون صدقوا بالذي جاء به محمد ﷺ، والمؤمنون أصحاب النبي ﷺ "[١].

❁ قال إبراهيم الخواص (ت: ٢٩١ هـ) رحمه الله: "الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه"[٢].

❁ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "قالوا: والصدق الذي جاء به: لا إله إلا الله، والذي صدّق به أيضا، هو رسول الله ﷺ"[٣].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وقال بعضهم: "الصادق الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحيي من سره لو كشف، قال الله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾ [البَقَرَة: ٩٤] "[٤].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "قيل: ثلاث لا تخطئ الصادق: الحلاوة، والملاحة، والهيبة"[٥].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي. لا يطيقه إلا أصحاب العزائم. فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل"[٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الزمر: الآية: ٣٣).
(٢) مدارج السالكين (٣/٢٠).
(٣) تفسير الطبري (سورة الزمر: الآية: ٣٣).
(٤) مدارج السالكين ٢/٢٦٤.
(٥) مدارج السالكين (٣/٢٠).
(٦) مدارج السالكين ٢/٢٦٤.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وقد أمر الله تعالى رسوله: أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق. فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وأخبر عن خليله إبراهيم ﷺ أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين. فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤].

وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق. فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق ومخرج الصدق. ولسان الصدق وقدم الصدق ومقعد الصدق"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الإيمان أساسه الصدق. والنفاق أساسه الكذب. فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر"(٢).

الاسم الثاني والعشرون: ومن أسماء التوحيد "كلمة الرشد".

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٨]

قال ابن عباس (ت:٦٨ هـ) رضي الله عنهما "وقول لوط عليه السلام لقومه: ﴿أَلَيْسَ

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٧٠.

(٢) مدارج السالكين ٢/٢٥٨.

﴿مِنكُمۡ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ قال: أليس منكم رجل يقول: لا إله إلا الله؟"[١].

قال عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله: "رجل يقول: لا إله إلا الله"[٢].

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت٧١٦ هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ [غَافِر: ٣٨] دعاهم إلى التوحيد، والإيمان بالله واليوم الآخر، وإلى الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، على ما هو ظاهر في كلامه"[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "التوحيد كل التوحيد أن يشهد كل شيء دليلًا عليه، مرشدًا إليه، ومعلوم أن الرسل أدلة للتوحيد"[٤].

الاسم الثالث والعشرون: كلمة التوحيد "أصلها ثابت محكم".

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "أصلها محكم، وذلك لأن أول من شهد هذه الشهادة هو الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٨]. فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله تعالى فرع على شهادة الله، وشهادة الله هي الأصل، فكل شهادة أصلها شهادة الله فهي ثابتة في الدنيا والآخرة"[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (سورة هود: الآية: ٧٨)، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١.

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة هود: الآية: ٧٨)، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة هود: الآية: ٧٨).

(٣) كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ص: ٥٥٠.

(٤) مدارج السالكين ٤٦٥/٣.

(٥) عجائب القرآن صـ ٥٨.

الاسم الرابع والعشرون: ومن أسماء التوحيد "كلمة العدل".

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النَّحل: ٩٠].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "العدل: التوحيد، والإحسان: أداء الفرائض".

وعن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "الإحسان: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه))"[(١)].

عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله"[(٢)].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، بالتوحيد"[(٣)].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "قال بعض المفسرين: "العدل هنا شهادة أن لا إله إلا الله. وروي ذلك عن ابن عباس؛ وقيل في قوله: ﴿ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بألا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فهذا هو العدل الحق. ﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ هو أن تعبده كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك" [(٤)].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: " ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، شهادة أن لا إله إلا الله"[(٥)].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة النحل: الآية: ٩٠).

(٢) تفسير الطبري (سورة النحل: الآية: ٩٠)، وتفسير ابن كثير (سورة النحل: الآية: ٩٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ٩٠).

(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة النحل: الآية: ٩٠).

(٥) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة النحل: الآية: ٩٠).

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ في الآية أقوال: أحدها: أن العدل هو شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره، وقيل: إنه التوحيد، وهو في معنى الأول"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "الله عدل لا يأخذ إلا بالذنب"(٢).

الاسم الخامس والعشرون: ومن أسماء التوحيد "الهدى".

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ﴾ [القَصَص: ٥٧].

قال السدي (ت: ١٢٨ هـ) رحمه الله: "يعني: التوحيد"(٣).

قال يحي بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠ هـ) رحمه الله: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ﴾، يعني: التوحيد"(٤).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وقالت كفار قريش: إن نتبع الحقّ الذي جئتنا به معك، ونتبرأ من الأنداد والآلهة"(٥).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ﴾، يعني: التوحيد"(٦).

---

(١) تفسير السمعاني ٣/١٩٥ (تفسير سورة النحل: الآية: ٩٠).

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى ١/١٤٧.

(٣) تفسير يحيى بن سلام. (سورة القصص: الآية: ٥٧).

(٤) تفسير يحيى بن سلام. (سورة القصص: الآية: ٥٧).

(٥) تفسير الطبري (سورة القصص: الآية: ٥٧).

(٦) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/٣٣٠.

وقال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ﷺ: "﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ﴾ أي غاية الاتباع ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي الإسلام فنوحد الله من غير إشراك"(١).

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [البَقَرَةِ: ١٢٠].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) ﷺ: "﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾، يعني الإسلام ﴿ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾"(٢).

وقال ابن أبي زمنين (٣٩٩ هـ) ﷺ: " ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ يعني: الإسلام الذي أنت عليه"(٣).

قال أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢ هـ) ﷺ: "أي قل رداً عليهم إن هدى الله الذي هو الإسلامُ هو الهدى بالحق والذي يحِقُّ ويصح أن يُسمَّى هُدىً. وهو الهدى كلُّه ليس وراءه هُدىً وما تدْعون إليه ليس بهُدىً بل هو هوىً"(٤).

وقال شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) ﷺ: "أي دين الله تعالى هو الحق ودينكم هو الباطل، وهدى الله تعالى الذي هو الإسلام هو الهدى وما يدعون إليه ليس بهدى بل هوى"(٥).

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا

---

(١) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (سورة القصص: الآية: ٥٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة: الآية: ١٢٠).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (سورة البقرة: الآية: ١٢٠).

(٤) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (سورة البقرة: الآية: ١٢٠).

(٥) تفسير روح المعاني للألوسي (سورة البقرة: الآية: ١٢٠).

﴿كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البَقَرَةِ: ١٦].

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: الكفر بالإيمان"(١).

❁ قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: "﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٧] أي: الكفر بالإيمان"(٢).

❁ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، في قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البَقَرَةِ: ١٦] قال: استحبوا الضلال على الهدى ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البَقَرَةِ: ١٦] قال: قد والله رأيتم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة"(٣).

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، في قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ قال: "آمنوا ثم كفروا"(٤).

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: " ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾. بالإيمان. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾. أي استبدلوا الكفر"(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة البقرة: الآية: ١٦)، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة البقرة: الآية: ١٦).

(٣) تفسير الدر المنثور (سورة البقرة: الآية: ١٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير الدر المنثور (سورة البقرة: الآية: ١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البقرة: الآية: ١٦).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: " ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ الكفر بالإيمان على حقيقة الشراء، أو استحبوا الكفر على الإيمان إذ المشتري محب لما يشتريه، إذ لم يكونوا قبل ذلك مؤمنين، أو أخذوا الكفر وتركوا الإيمان. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ في اشتراء الضلالة، أو ما اهتدوا إلى تجارة المؤمنين، أو نفى عنهم الربح والاهتداء جميعاً، لأن التاجر قد لا يربح مع أنه على هدى في تجارته، فذلك أبلغ في ذمهم"(١).

قال علي بن أحمد الخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: " ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان، وإنّما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر. فإن قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى. قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلي الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها. والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ أي مصيبين في تجارتهم، لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى. وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم"(٢).

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام (سورة البقرة: الآية: ١٦).

(٢) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (سورة البقرة: الآية: ١٦).

الاسم السادس والعشرون: ومن أسماء التوحيد "الصراط المستقيم".

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عِمۡرَان: ٥١].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: "وقال لهم عيسى ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، يعني فوحدوه، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾، يعني هذا التوحيد دين مستقيم، وهو الإسلام، فكفروا"(١).

❁ قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) رحمه الله: " ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأَنۡعَام: ١٢٦]: الذييدعباإليهاالخلق، وهوالتوحيد"(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ): رحمه الله "وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم"(٣).

قال تعالى: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النَّحۡل:١٢١].

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، يعني: إلى دين مستقيم، وهو الإسلام"(٤).

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾،

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة آل عمران الآية: ٥١).

(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة الأنعام: الآية: ١٢٥).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/٨٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل الآية: ١٢١).

وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "مراتب العلم بدينه مرتبتان:

إحداهما: دينه الأمري الشرعي: وهو الصراط المستقيم الموصل إليه.

والثانية: دينه الجزائي المتضمن ثوابه وعقابه، وقد دخل في هذا العلم: العلم بملائكته وكتبه ورسله"(٢).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "أي: أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره عليه السلام بأنه عبد مدبر مخلوق، كما قال ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مَرْيَم: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المَائـِدَة: ١١٦] إلى قوله ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المَائـِدَة: ١١٧] وقوله ﴿هَٰذَا﴾ أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [مَرْيَم: ٣٦] موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم"(٤).

(١) تفسير ابن كثير (النحل: الآية: ١٢١).

(٢) مدارج السالكين (١/١٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير (سورة آل عمران الآية: ٥١).

(٤) تفسير السعدي (سورة آل عمران الآية: ٥١).

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي (ت: ١٣٧٧هـ) رحمه الله: "لزوم الصراط المستقيم لا يحصل إلا بالتمسك بالكتاب والسنة والسير بسيرهما والوقوف عند حدودهما وبذلك يحصل تجريد التوحيد لله، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النِّسَاء: ٦٩] وهؤلاء المنعم عليهم المذكورون هاهنا تفصيلا هم الذين أضاف الصراط إليهم في فاتحة الكتاب بقوله تعالي: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٦ - ٧] ولا أعظم نعمة على العبد من هدايته إلى هذا الصراط المستقيم، وتجنيبه السبل المضلة، وقد ترك النبي ﷺ أمته على ذلك كما قال النبي ﷺ: ((تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[(١)]"[(٢)].

الاسم السابع والعشرون: ومن أسماء التوحيد "طريق الحق".

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النُّور: ٢٥].

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) رحمه الله: "ويقال لا يشهدون غداً إلا الحقَّ؛ فهم قائمونَ بالحق للحق مع الحق، يبيّن لهم أسرار التوحيد وحقائقه، ويكون القائم عنهم، والآخذَ لهم منهم من غير أَنْ يُرَدَّهم إليهم"[(٣)].

---

(١) (صحيح) رواه أحمد (٤ /١٢٦)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (١ /٩٦)، وابن أبي عاصم (٤٨، ٤٩) وقد صححه الألباني.

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة صـ١١٩-١٢٠.

(٣) لطائف الإشارات للقشيري (سورة النور: الآية: ٢٥).

❁ قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "إنما سمي بالحق لأن عبادته هي الحق دون عبادة غيره"[(١)].

❁ قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: " ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الذي له العظمة المطلقة، فلا كفوء له ﴿هُوَ﴾ أي وحده ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ أي الثابت أمره فلا أمر لأحد سواه، ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ الذي لا أوضح من شأنه في ألوهيته وعلمه وقدرته وتفرده بجميع صفات الكمال، وتنزهه عن جميع سمات النقص"[(٢)].

قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾[المَائـِدَة:١٠٠].

طريق الحق واحد، وهو طريق الله، وهو طريق الهداية، وهو طريق الإسلام، وهو طريق الاستقامة، وسبُل الضلال كثيرة خبيثة.

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "إن الحق واحد، ولا يخرج عما جاءت به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠]"[(٣)].

❁ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فجماع الأمر: أن الله هو الهادي وهو النصير ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفُرۡقَان: ٣١]. وكل علم فلا بد له من هداية وكل عمل فلا بد له من قوة. فالواجب أن يكون هو أصل كل هداية وعلم وأصل كل نصرة وقوة ولا يستهدي العبد إلا إياه ولا يستنصر إلا إياه"[(٤)].

---

(١) تفسير الرازي (سورة النور: الآية: ٢٥).

(٢) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (سورة النور: الآية: ٢٥).

(٣) منهاج السنة النبوية: ٥/١٩٠.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢/١٩-٢٠.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة، ومتعددة"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ففوق هدايته هداية أخرى وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية"(٢).

الاسم الثامن والعشرون: ومن أسماء التوحيد "الطريق الأقوم".

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قال يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾. يقول: لشهادة أن لا إله إلا الله"(٣).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "المعنى: أن هذا القرآن يا محمد يرشد من اهتدى به للحال التي هي أقوم الحالات أي: أصوبها. وذلك دين اللهالمستقيم وتوحيده جلت عظمته والإيمان بكتبه ورسله"(٤).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقالت فرقة، ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: لا إله إلا الله"(٥).

---

(١) بدائع الفوائد: ١/١٢٧.

(٢) الفوائد لابن القيم ١/١٣٠.

(٣) معاني القرآن لفراء (سورة الإسراء: الآية: ٩).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (سورة الأسراء الآية: ٩).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأسراء الآية: ٩).

قال الزجاج (ت: ٣١١ هـ) رحمه الله: "للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله. وقاله الكلبي، والفراء"(١).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "وقيل: الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله"(٢).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "وقال الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢ هـ) رحمه الله، والكلبي (ت: ٢٠٤ هـ) رحمه الله، والفراء (ت: ٢٠٧هـ) رحمه الله، ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ هي شهادة التوحيد"(٣).

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: شهادة أن لا إله إلا الله، قاله الكلبي رحمه الله، والفراء رحمه الله.

الثاني: ما تضمه من الأوامر والنواهي التي هي أصوب، قاله مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) رحمه الله "(٤).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية، ﴿يَهْدِى﴾ في هذه الآية بمعنى يرشد، ويتوجه فيها أن تكون بمعنى يدعو، و ﴿لِلَّتِي﴾ يريد بها الحالة والطريقة، وقالت فرقة، ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ لا إله إلا الله.

---

(١) تفسير القرطبي (سورة الأسراء الآية: ٩).

(٢) تفسير البغوي (سورة الأسراء الآية: ٩).

(٣) البحر المحيط في التفسير ١٨/٧.

(٤) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. (سورة اللإسراءالآية: ٩).

قال القاضي أبو محمد: والأول أعم، وكلمة الإخلاص وغيرها من الأقوال داخلة في الحال «التي هي أقوم» من كل حال تجعل بإزائها، والاقتصار على ﴿أَقْوَمُ﴾ ولم يذكر من كذا إيجاز، والمعنى مفهوم، أي ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ من كل ما غايرها فهي النهاية في القوام"(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البَيِّنَة: ٥].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "وذلك دين القائمين لله بالتوحيد"(٢).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: " ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي التوحيد والإخلاص في الدين، هو ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم"(٣).

الاسم التاسع والعشرون: ومن أسماء التوحيد "دعوة الحق".

قال عز وجل: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝١٤﴾ [الرَّعْد: ١٤].

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي (سورة اللإسراءالآية: ٩).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة البينة الآية: ٥).

(٣) تفسير ابن سعدي (سورة البينة الآية: ٥).

قال علي (ت: ٤٠ هـ) ﷺ: دعوة الحق: التوحيد"(١).

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) ﷺ: "دعوة الحق: شهادة أن لا إله إلا الله"(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ﷺ: "وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادةَ أن لا إله إلا الله"(٣).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) ﷺ: "واعلم أن قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ يفيد الحصر، ومعناه: له هذه الدعوة لا لغيره، كما أن قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦]. معناه: لكم دينكم لا لغيركم، ولي ديني، وتحقيق الكلام في إثبات هذا الحصر: أن الحق نقيض الباطل، فالحق هو الموجود، والباطل هو المعدوم، فلما كان الحق سبحانه وتعالى حقًّا في ذاته وبذاته وصفاته، وكان ممتنع التغير في حقيقته، كانت معرفته هي المعرفة الحقة، وذكره هو الذكر الحق، والدعوة إليه هي الدعوة الحقة"(٤).

قال ابن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) ﷺ: "ودعوة الحق قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﷺ: "دعوة الحق لا إله إلا الله، وما كان من الشريعة في معناها"(٥).

---

(١) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/٣٠٥،البحر المحيط في التفسير ٦/٣٦٦.

(٢) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤)، تفسير ابن عطية ٣/٣٠٥.

(٣) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤).

(٤) عجائب القرآن للرازي صـ ٥٠-٥١.

(٥) تفسير ابن حيان الأندلسي (سورة الرعد الآية: ١٤).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "قد فسر السلف "دعوة الحق" بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "دعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: وقيل: الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ هي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى"(٤).

الاسم الثلاثون: ومن أسماء التوحيد "كلمة الحق".

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ [الزُّخْرُف: ٨٦].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾، يعني بالتوحيد من بني آدم، فذلك قوله: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ أن الله واحد لا شريك له، فشفاعتهم لهؤلاء"(٥).

---

(١) تفسير الطبري (سورة الرعد الآية: ١٤).

(٢) مدارج السالكين ٢ /٣١.

(٣) مدارج السالكين ٢ /٤٦٥.

(٤) تفسير السعدي (سورة الرعد الآية: ١٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "من شهد بالحقّ، فوحد الله وأطاعه، بتوحيد علم منه وصحة بما جاءت به رسله.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ وهم الذين يشهدون شهادة الحقّ فيوحدون الله، ويخلصون له الوحدانية، على علم منهم ويقين بذلك"[١].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) رحمه الله: "يعني يشهدون على وحدانية الله وألوهيته وأنه المستحق العبادة دون من عبدوهم"[٢].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد لله والطاعة له"[٣].

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أن الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة؛ قاله الحسن.

الثاني: أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم"[٤].

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾. أي شهد اليوم بالتوحيد، فيثبت له الحقُّ حقِّ الشفاعة"[٥].

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

(٢) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

(٣) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

(٤) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

(٥) لطائف الإشارات للقشيري. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

❁ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد"(١).

❁ قال أبو حفص عمر بن محمد النسفي (ت: ٥٣٧ هـ) رحمه الله: "﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله ربهم حقاً ويعتقدون ذلك"(٢).

❁ قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لا تشفع الملائكة إلا لمن شهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون أن الله ربهم، أو الشهادة بالحق إنما هي لمن شهد في الدنيا بالحق وهم يعلمون أنه الحق فتشفع لهم الملائكة"(٣).

❁ قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهي كلمة الإخلاص، وهي لا إله إلا الله، فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وقيل يعلمون أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق عيسى وعزيراً والملائكة ويعلمون أنهم عباده"(٤).

❁ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: " ﴿مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾، وهو توحيد الله، وهو يعلم ما شهد به"(٥).

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).
(٢) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).
(٣) تفسير العز بن عبد السلام. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).
(٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).
(٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: بلا إله إلا الله مخلصاً ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق، حين شهدوا بها من قبل أنفسهم"(١).

قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠ هـ) رحمه الله: "والمراد بشهادة الحق قول: لا إله إلا الله كلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم"(٢).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ أي منهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾. أي التوحيد الذي يطابقه الواقع إذا انكشف أتم انكشاف وكذا ما يتبعه فإنه يكون أهلاً لأن يشفع كالملائكة والمسيح عليهم الصلاة والسلام، والمعنى أن أصنامهم التي ادعوا أنها تشفع لهم لا تشفع غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى.

ولما كان ذلك مركوزاً حتى في فطر الكفار فلا يفزعون في وقت الشدائد إلا إلى الله، ولكنهم لا يلبثون أن يعملوا من الإشراك بما يخالف ذلك، فكأنه لا علم لهم قال: ﴿وَهُمْ﴾ أي والحال أن من شهد ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أي على بصيرة مما شهدوا به، فلذلك لا يعملون بخلاف ما شهدوا إلا جهلاً منهم بتحقيق معنى التوحيد، فلذلك يظنون أنهم لم يخرجوا عنه وإن أشركوا، أو يكون المعنى: وهم من أهل العلم، والأصنام ليسوا كذلك، وكأنه أفرد أولاً إشارة إلى أن التوحيد فرض عين على كل أحد بخصوصه وإن خالفه كل غير، وجمع ثانياً إيذاناً بالأمر بالمعروف

---

(١) تفسير بحر العلوم للسمرقندي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

(٢) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).

ليجتمع الكل على العلم والتوحيد هو الأساس الذي لا تصح عبادة إلا به، وتحقيقه هو العلم الذي لا علم يعدله"(١).

قال محيي الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت:٩٠٥ هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالتوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، حقيقة ما شهدوا به ولا يكونون منافقين"(٢).

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٧٥﴾ [القصص: ٧٥].

قال السدي (ت: ١٢٨ هـ) رحمه الله: " ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعنى التوحيد"(٣).

قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي. (ت: ١٢٨ هـ) رحمه الله: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعنى التوحيد"(٤).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعنى التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ "(٥).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) رحمه الله: " ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾: التوحيد"(٦).

---

(١) تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).
(٢) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي. (سورة الزخرف الآية: ٨٦).
(٣) تفسير يحيى بن سلام. (سورة القصص: الآية: ٧٥).
(٤) تفسير يحيى بن سلام. (سورة القصص: الآية: ٧٥).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة القصص: الآية: ٧٥).
(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة القصص: الآية: ٧٥).

❀ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) ﵀: "﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: لا إله غيره"(١).

❀ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ﵀: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الإلهية، وأنه وحده لا شريك له"(٢).

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾ [العَنكَبُوت: ٦٨].

❀ قال السدي (ت: ١٢٨ هـ) ﵀: "﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: التوحيد"(٣).

❀ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) ﵀: ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: بالتوحيد"(٤).

❀ قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) ﵀: "﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ يقول: أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمدا ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحقّ من عند الله"(٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة القصص: الآية: ٧٥).

(٢) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة القصص: الآية: ٧٥).

(٣) تفسير يحيى بن سلام. (سورة العنكبوت: الآية: ٦٨).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة العنكبوت: الآية: ٦٨).

(٥) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة العنكبوت: الآية: ٦٨).

الاسم الواحد والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "الحق المبين".

قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النَّمْل: ٧٩].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ على الدين الظاهر وهو الإسلام"[(١)].

قال السدي (ت: ١٢٨ هـ) رحمه الله: "يعني: الإسلام"[(٢)].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ آية يعنى على الدين البين وهو الإسلام"[(٣)].

قال علي بن يحي السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ يعني: الدين المبين، وهو الإسلام"[(٤)].

الاسم الثاني والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "القول المرضي".

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "يعني: قال لا إله إلا الله"[(٥)].

---

(١) تفسير تنوير المقياس من تفسير ابن عباس للفيروزأبادي. (سورة النمل الآية: ٧٩).

(٢) تفسير تفسير يحيى بن سلام. (سورة النمل الآية: ٧٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة النمل الآية: ٧٩).

(٤) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحي السمرقندي. (سورة النمل: الآية: ٧٩).

(٥) تفسير معالم التنزيل تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة طه: الآية: ١٠٩)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة طه: الآية: ١٠٩).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾: التوحيد"[١].

قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠ هـ) رحمه الله: " ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾: التَّوْحِيدُ"[٢].

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) رحمه الله: "﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾: وهو قول الشهادة والتوحيد"[٣].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾: يعني: التوحيد"[٤].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ أي: قال: لا إله إلا الله"[٥].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "وهم المسلمون الذين رضي الله قولهم لأنهم قالوا لا إله إلا الله وهذا معنى قوله ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾"[٦].

قال السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ يعني: إذا قال بإخلاص القلب لا إله إلا الله في الدنيا"[٧].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة طه: الآية: ١٠٩).

(٢) تفسير يحيى بن سلام. (سورة طه: الآية: ١٠٩).

(٣) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي. (سورة طه: الآية: ١٠٩).

(٤) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة طه: الآية: ١٠٩).

(٥) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة طه: الآية: ١٠٩).

(٦) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة طه: الآية: ١٠٩).

(٧) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة طه: الآية: ١٠٩).

الاسم الثالث والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "الزكاة".

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى: ١٤].

❋ قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: قال لا إله إلا الله فتطهر من الشرك"[١].

❋ عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾، "من قال لا إله إلا الله"[٢].

❋ قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾، أفلح في هذه الآية معناه: فاز ببغيته، وتزكى معناه: طهر نفسه ونماها إلى الخير"[٣].

❋ قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾: أي تطهّر من الشرك وقال: لا إله إلاّ الله"[٤].

❋ قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "أي: قد أدرك طلبته وظفر ببغيته من تظهر الكفر وعمل بطاعة الله"[٥].

❋ قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) رحمه الله: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ "تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله"[٦].

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري (سورة الأعلى: الآية: ١٤)، كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١، تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٤) تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٥) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

(٦) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك بالإيمان"(١).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "أي من تطهر من الشرك بإيمان"(٢).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ يعني فاز ونجا من هذا العذاب وسعد بالجنة من تزكى يعني وحّد الله تعالى وزكى نفسه بالتوحيد"(٣).

قال محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي (ت: ٩٠٥هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهر نفسه من الكفر والمعصية"(٤).

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) رحمه الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: أي من تطهر من الشرك فآمن بالله ووحده وعمل بشرائعه"(٥).

قال تعالى عن موسى عليه السلام في خطابه لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النَّازِعَات: ١٨].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: "إلى أن تقول لا إله إلا الله"(٦).

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٣) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٤) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٥) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة الأعلى: الآية: ١٤).
(٦) الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١، تفسير الدر المنثور للسيوطي. (سورة النازعات: الآية: ١٨)، وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات.

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، قول موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾، "هل لك إلى أن تقول لا إله إلا الله"(١).

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: "إلى أن تُسْلِم"(٢).

قال ابن زيد (ت: ١٨٢ هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: "إلى أن تسلم. قال: والتزكّي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٦] قال: من أسلم، وقرأ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ [عَبَس: ٣] قال: يسلم، وقرأ: ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ [عَبَس: ٧] أن لا يسلم"(٣).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النَّازِعَات: ١٨] يقول: "هل لك أن تصلح ما قد أفسدت، يقول: وأدعوك لتوحيد الله"(٤).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾، يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهّر من دنس الكفر، وتؤمَنَ بربك"(٥).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النازعات: الآية: ١٨)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (سورة النازعات: الآية: ١٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.
(٢) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة النازعات: الآية: ١٨).
(٥) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

"إلى أن تؤمن"[١].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) ﵀: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ "ومعناه تسلّم وتصلح وتطهّر"[٢].

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) ﵀: "فقل له، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾. "أي: هل لك يا فرعون في أن تتطهر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟"[٣].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) ﵀: "﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أترغب في أن تتطهر من كفرك بالإيمان"[٤].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) ﵀: "﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ والتزكي هو التطهر من النقائص، والتلبس بالفضائل، وفسر بعضهم: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بتسلم وفسرها بقول: لا إله إلا الله، وهذا تخصيص، وما ذكرناه يعم جميع هذا"[٥].

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) ﵀: "﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أي: تتطهر من الشّرك والكفر"[٦].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٢) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٣) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٤) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٥) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٦) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

❁ قال ابن جزي (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: "﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم: تزكى تسلم، وقيل: تقول لا إله إلا الله، والأول أعم"(١).

❁ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾: تزكى: تتحلى بالفضائل وتتطهر من الرذائل، والزكاة هنا يندرج فيها الإسلام وتوحيد الله تعالى"(٢).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقهَا بهَا. فالقلوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيه أرقها وأصلبها وأصفاها"(٣).

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فما كبر النفوس وشرفها، ورفعها، وأعزها مثل طاعة الله، وما صغر النفوس وأذلها، وحقرها مثل معصية الله عَزَّوَجَلَّ"(٤).

❁ قال علي بن يحي السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ يعني: ألم يأن لك أن تسلم. ويقال: معناه هل ترغب في توحيد ربك، وتشهد أن لا إله إلا الله، وتزكي نفسك من الكفر، والشرك"(٥).

قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٦].

---

(١) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

(٣) الفوائد، ١/٢٦٢.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص١٤٩.

(٥) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة النازعات: الآية: ١٨).

قال الكلبي (ت: ٢٠٤ هـ) رحمه الله: "يعني أعطى زكاة نفسه وقال: لا إله إلاّ الله"[١].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "قوله: ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: من آمن"[٢].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي صلح، وقيل: تطهّر من الكفر والمعاصي"[٣].

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "قوله ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله"[٤].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: من تطهر من الكفر والمعاصي"[٥].

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠ هـ) رحمه الله: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله"[٦].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: طهر

---

(١) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة طه: الآية: ٧٦)، وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة طه: الآية: ٧٦).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة طه: الآية: ٧٦).

(٣) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة طه: الآية: ٧٦).

(٤) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة طه: الآية: ٧٦).

(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة طه: الآية: ٧٦).

(٦) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة طه: الآية: ٧٦).

نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من خَبَر وطلب"(١).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾، يعني: ثواب من وحَّد"(٢).

قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما في قول الله عَزَّوَجَلَّ: "﴿وَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الذين لا يقولون لا إله إلا الله"(٣).

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، قوله: "﴿وَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الذين لا يقولون لا إله إلا الله"(٤).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٧] أي: لا يوحدون الله"(٥).

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: "وقال بعضهم: لا يؤتون الزكاة أي: لا يقولون لا إله إلا الله، قال ابن عباس، في رواية عطاء، فعلى هذا معناه: لا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة طه: الآية: ٧٦).
(٢) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة طه: الآية: ٧٦).
(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة فصلت: الآية: ٧)، الأسماء والصفات للبيهقي ١/٢٧١.
(٤) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة فصلت: الآية: ٧).
(٥) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة فصلت: الآية: ٧).

يطهرون أنفسهم من الشرك بقبول التوحيد"(١).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧] قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ): الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد"(٢).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقال ابن عباس (ت:٦٨هـ) رضي الله عنهما، والجمهور: ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية: لا إله إلا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النَّازِعَات: ١٨]، ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإنما هذه زكاة القلب والبدن، أي تطهيرهما من الشرك والمعاصي، وقاله مجاهد والربيع"(٣).

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠ هـ) رحمه الله: "﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٧] لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خيرمن علم نافع وعمل صالح"(٥).

---

(١) تفسير السمعاني ٥/٣٧. (سورة فصلت: الآية: ٧).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة فصلت: الآية: ٧).

(٣) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي. (سورة فصلت: الآية: ٧).

(٤) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة فصلت: الآية: ٧).

(٥) مجموع الرسائل ١/١٣٣.

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذى به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلهيته سبحانه؛ وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكى وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة فإنما يحصل بإزالة الشر. فلهذا صار التزكى ينتظم الأمرين جميعًا. فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح. هو التوحيد: والتزكية جعل الشىء زكيا، إما فى ذاته، وإما فى الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدلته وفسقته، إذا جعلته كذلك فى الخارج، أو فى الاعتقاد والخبر"[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦ - ٧]. أي: لا يؤتون ما تزكى به أنفسهم من التوحيد"[٢].

عن عمير بن حبيب الخطمي (لم أقف على تاريخ وفاته) رضي الله عنه قال: "الإيمان يزيد وينقص. فقيل: فما زيادته؟ وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه"[٣].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ): "من اتقى الله وفق لمعرفة الحق"[٤].

---

(١) إغاثة اللهفان: ٤٩.

(٢) مفتاح دار السعادة:٢/١١٦٠.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في الإيمان (١٤)، والمصنف ٦/١٦٠ (٣٠٣٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير: ٣/٣٥٢.

الاسم الرابع والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "الدعوة إلى الله".

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأَحْزَاب: ٤٦].

- عن قتادة (ت: ١١٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ "إلى شهادة أن لا إله إلا الله"(١).

- قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني إلى معرفة الله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد"(٢).

- قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وداعيا إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كلّ من سواه من الآَلهة والأوثان"(٣).

- قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ "أي: إلى توحيد الله، وطاعته"(٤).

- قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى توحيده وطاعته"(٥).

- قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والدعاء إلى الله تعالى هو

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة الأحزاب: الآية: ٤٦).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة الأحزاب: الآية: ٤٦).
(٣) تفسير الطبري (سورة الأحزاب: الآية: ٤٦).
(٤) تفسير مكي بن أبي طالب (سورة الأحزاب: الآية: ٤٦).
(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الأحزاب: الآية: ٤٦).



تبليغ التوحيد والأخذ به ومكافحة الكفرة"(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك"(٢).

قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) رحمه الله: "والداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى ترك عبادة غير الله ويدعوهم إلى اتباع ما يأمرهم به الله"(٣).

الاسم الخامس والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "نعمة الله".

قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لُقْمَان: ٢٠].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، "أراد الإسلام"(٤).

عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "النعمة الظاهرة: الإسلام والقرآن، والباطنة: ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة"(٥).

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائـِدَة: ٣]: هو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطُه أبدًا"(٦).

---

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٨٩/٤..

(٢) تفسير ابن كثير (سورة الأحزاب: الآية: ٤٦).

(٣) تفسير ابن عاشور (سورة الأحزاب: الآية: ٤٦).

(٤) تفسير الطبري (سورة لقمان الآية: ٢٠)؛ وانظر تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٥٢/٤.

(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة لقمان الآية: ٢٠).

(٦) تفسير ابن كثير (سورة المائدة الآية: ٣).

قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله "المراد: لا إله إلا الله"(١).

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المَائـِدَة: ٣]

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلْف؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأَنۡعَام: ١١٥]؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمّت النعمة عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المَائـِدَة: ٣] ؛ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه"(٢).

قال تعالى: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النَّحۡل: ١٢١]

وقال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "وهو عبادة الله

---

(١) تفسير الطبري (سورة لقمان الآية: ٢٠)؛ وانظر تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٥٢/٤.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة المائدة الآية: ٣).

وحده لا شريك له على شرع مرضي"(١).

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البَقَرَة: ٤٠]

قال ابن زيد (ت: ٢٨٢ هـ) رحمه الله: "نعمته الإسلام، ولا نعمة أعظم منها، وما سِواها تبع لها"(٢).

الاسم السادس والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "الدين الخالص".

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ٣].

عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ "شهادة أن لا إله إلا الله"(٣).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله"(٤).

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) رحمه الله في بيان معنى الآية: «قوله تعالى:

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة النحل الآية: ١٢١).

(٢) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (سورة البقرة الآية: ٤٠).

(٣) تفسير الطبري (سورة الزمر الآية: ٣).

(٤) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الزمر الآية: ٣).

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾، يعني: الخالص من الشرك، وما سواه ليس بدين الله الذي أمر به. وقيل: المعنى لا يستحق الدين الخالص إلا لله. ؟

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: آلهة. ويدخل في هؤلاء اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، والنصارى لقولهم: المسيح ابن الله، وجميع عبادالأصنام"(١).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "فإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته، وهذا كمال المحبة، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسمالعبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦] وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢١] وأمثال هذا"(٢).

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧ هـ) رحمه الله: "فحقيقة الإخلاص: التعرى من دون الله. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلَاص: ١] سميت سورة الإخلاص؛ لأنها خالص التوحيد؛ وسبب خلاص أهله"(٣).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن

(١) زاد المسير في علم التفسير (٧/١٦١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦، ٥٧).
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب ٢/١٧٣.

للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به"(١).

الاسم السابع والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "ملة إبراهيم".

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠﴾ [البَقَرَة: ١٣٠].

قال مقاتل ابن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: الإسلام"(٢).

قال القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) رحمه الله: "أخبر أنه آثر الخليل صلوات الله عليه على البرية، فجعل الدينَ دينَه، والتوحيدَ شِعارَه، والمعرفةَ صِفته؛ فمن رَغِبَ عن دينه أو حاد عن سُنَّتِهِ فالباطل مطرحه، والكفر مهواه؛ إذ ليست الأنوار بجملتها إلا مقتبسة من نوره"(٣).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "يقول تبارك وتعالى رَدًّا على الكفار

---

(١) تفسير السعدي (سورة الزمر الآية: ٣).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة: الآية: ١٣٠).

(٣) لطائف الإشارات للقشيري (سورة البقرة: الآية: ١٣٠).

فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جَرد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يَدْع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبرأ من أبيه"(١).

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾ [البَقَرَة: ١٣٥].

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): رضي الله عنهما "في التوحيد"(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "لما ثبت أن إبراهيم كان قائلا بالتوحيد، وثبت أن النصارى يقولون بالتثليث، واليهود يقولون بالتشبيه، فثبت أنهم ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام، وأن محمدا عليه السلام لما دعا إلى التوحيد، كان هو على دين إبراهيم"(٣).

قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٩٥﴾ [آل عِمْرَان: ٩٥].

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: "ملة إبراهيم وهي الإسلام وهو الدين الصحيح"(٤).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ

(١) تفسير ابن كثير (سورة البقرة: الآية: ١٣٠).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة النساء: الآية: ١٢٥).

(٣) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي. (سورة البقرة: الآية: ١٣٥).

(٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة آل عمران: الآية: ٩٥).

﴿حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وهي ملة الإسلام التي عليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه"(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "أمرهم باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم مشركون غير موحدين"(٢).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النِّسَاء: ١٢٥].

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذي اشتهر عند جميع الطوائف أنه ما دعا إلا إلى الله سبحانه وتعالى وحده، وتبرأ مما سواه من فلك وكوكب وصنم وطبيعة وغيرها حال كون ذلك المتبع ﴿حَنِيفًا﴾ أي ليناً سهلاً ميّالاً معالدليل، والملة: ما دعت إليه الفطرة الأولى بمساعدة العقل السليم من كمال الإسلام بالتوحيد"(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) رحمه الله: "﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: دينه وشرعه ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق"(٤).

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة آل عمران: الآية: ٩٥).

(٢) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة آل عمران: الآية: ٩٥).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. (سورة النساء: الآية: ١٢٥).

(٤) تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن لابن سعدي. (سورة النساء: الآية: ١٢٥).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾ [الأَنْعَام: ١٦١].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعني مخلصا"(١).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النَّحْل: ١٢٣].

قال مقاتل ابن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعني: الإسلام، ﴿حَنِيفًا﴾، يعني: مخلصا"(٢).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "﴿ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في الإسلام والبراءة من الأوثان"(٣).

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: "﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، يعني: دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد"(٤).

عن عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى(ت: ٧٠ هـ تقريبًا) رضي الله عنه ؛ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة الأنعام: الآية: ١٦١).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النحل: الآية: ١٢٣).
(٣) تفسير العز بن عبد السلام (سورة النحل: الآية: ١٢٣).
(٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة النحل: الآية: ١٢٣).



مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))(1).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "وتأمل هذه الألفاظ كيف جعل الفطرة للإسلام فإنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله، والملة لإبراهيم فإنه صاحب الملة وهي التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ومحبته فوق كل محبة، والدين للنبي ﷺ وهو دينه الكامل وشرعه التام الجامع لذلك كله وسماه سبحانه إماما وأمة وقانتا وحنيفا قال تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤] فأخبر سبحانه أنه جعله إماما للناس وأن الظالم من ذريته لا ينال رتبة الإمامة والظالم هو المشرك وأخبر سبحانه أن عهده بالإمامة لا ينال من أشرك به وقال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النَّحل: ١٢٠ - ١٢٢].

فالأمة هو القدوة المعلم للخير والقانت المطيع لله الملازم لطاعته والحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه ومن فسره بالمائل فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ وإنما فسره بلازم المعنى فإن الحنف هو الإقبال ومن أقبل على شيء مال عن غيره والحنف في

---

(١) إسناده حسن: أخرجه النسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (١/٣٤٣، ٣٤٤)، وفي ((الكبرى)) (٢٩، ٩٨، ١٠١٧٥، ١٠١٧٦)، والدارمي (٢٦٨٨)، وأحمد (٣/٤٠٧)، وابن أبي شيبة (٩/٧٧) (١٠/٢٣٩)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (٣٤)، والطبراني في ((الدعاء)) (٢٩٤)، والبيهقي في ((الدعوات الكبير)) (٢٦).

الرجلين هو إقبال إحداهما على الأخرى ويلزمه ميلها عن جهتها قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠]، فحنيفا هو حال مقررة لمضمون قوله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ ولهذا فسرت مخلصا فتكون الآية قد تضمنت الصدق والإخلاص فإن إقامة الوجه للدين هو إفراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب إرادة لغيره والحنيف المفرد لا يريد غيره فالصدق أن لا ينقسم طلبك والافراد أن لا ينقسم مطلوبك الأول توحيد الطلب والثاني توحيد المطلوب

والمقصود أن إبراهيم عليه السلام هو أبونا الثالث وهو امام الحنفاء ويسميه أهل الكتاب عمود العالم، وجميع أهل الملل متفقة على تعظيمه وتوليه ومحبته وكان خير بنيه سيد ولد آدم محمد ﷺ يجله ويعظمه ويبجله ويحترمه"(١).

الاسم الثامن والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "صبغة الله".

قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البَقَرَة: ١٣٨].

❁ عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) ﵀ قال: قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دين الله"(٢).

---

(١) جلاء الأفهام ص: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) أخرجه ابن جرير رقم٢١١٩، ٢١٢٠ من طريق سفيان وابن أبي نجيح، كلاهما، عن مجاهد - مثله. وبه فسره الضحاك عن ابن عباس، وأبو العالية، وعكرمة، وإبراهيم، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، وعطية العوفي، والربيع بن أنس، والسدي. انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٧٢.

ومن طريق ابن أبي نجيح عنه قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ "أي فطرة الله"(١).

قال ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) رحمه الله: "أي الزموا صبغة الله لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام"(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "بمعنى: آمنا هذا الإيمان، فيكون الإيمان حينئذ هو صبغة الله"(٣).

قال أبو عبيد الهروي (ت: ٤٠١ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي فطرته أي قل يا محمد أنتبع صبغة الله، وقال أبو عمرو: الصبغة الدين"(٤).

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "فيه تأويلان:

أحدهما: معناه دين الله، وهذا قول قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله. وسبب ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء لهم، ويقولون هذا تطهير لهم كالختان، فرد الله تعالى ذلك عليهم بأن قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي صبغة الله أحسن صبغة، وهي الإسلام.

والثاني: أن صبغة الله، هي خلقة الله، وهذا قول مجاهد بن جبر رحمه الله.

فإن كانت الصبغة هي الدين، فإنما سمي الدين صبغة، لظهوره على صاحبه، كظهور الصبغ على الثوب، وإن كانت هي الخلقة فلإحداثه كإحداث اللون على الثوب"(٥).

---

(١) أخرجه ابن جرير رقم٢١٢٦ من طريق عيسى، عن ابن أبي نجيح، عنه، مثله.وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/٣٤٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) كتاب تأويل مشكل القرآن صـ ٩٧.

(٣) تفسير الطبري (سورة البقرة الآية: ١٣٨).

(٤) كتاب الغريبين في القرآن والحديث ٤/١٠٦١.

(٥) تفسير الماوردي (النكت والعيون) (سورة البقرة الآية: ١٣٨).

قال أبو حفص عمر بن محمد النسفي (ت: ٥٣٧ هـ) رحمه الله: "والله تعالى سمى الإسلام بأسماء وأضاف كل واحد من ذلك إلى نفسه: هدى الله، صراط الله، فطرة الله، صبغة الله، دين الله، نور الله، حبل الله، كلمة الله، وآياتها: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠] ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى﴾ [الشُّورَى: ٥٣] ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى﴾ [الرُّوم: ٣٠] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٣٨] ﴿يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النَّصْر: ٢] ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٣] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة: ٣٢] ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التَّوْبَة: ٤٠] "[(١)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البَقَرَة: ١٣٧ - ١٣٨] صبغ القلوب والأشياء بهذا الإيمان حتى أنارت به القلوب، وأشرقت به الوجوه، وظهر الفرقان بين وجوه أهل السنة وأهل البدعة، كما قال في المؤمنين: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، وفي الكفار: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القَلَم: ١٦]، وفي المنافقين: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٣٠] "[(٢)].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالما موقنا بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها كما قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ ويصير مكانة له كما قال: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ

---

(١) كتاب التيسير في التفسير ١/٢٦٣.

(٢) جامع المسائل ٦/٣٣.

﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٣٥] والمكان والمكانة قد يراد به ما يستقر الشيء عليه وإن لم يكن محيطا به كالسقف مثلا وقد يراد به ما يحيط به. فالمهتدون لما كانوا على هدى من ربهم ونور وبينة وبصيرة صارمكانة لهم استقروا عليها وقد تحيط بهم بخلاف الذين قال فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحَج: ١١].

فإن هذا ليس ثابتا مستقرا مطمئنا بل هو كالواقف على حرف الوادي وهو جانبه فقد يطمئن إذا أصابه خير وقد ينقلب على وجهه ساقطا في الوادي. وكذلك فرق بين من ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ﴾ [التَّوۡبَة: ١٠٩]، وبين ﴿أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التَّوۡبَة: ١٠٩]، وكذلك الذين كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها وشواهد هذا كثير"(١).

❀ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع؛ فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة.

فالمهتدون من مشايخ العُبَّاد والزهاد يُوصون باتّباع العلم المشروع، كما أن أهل الاستقامة من العلم يُوصون بعلمهم؛ الذي يسلكه أهل الاستقامة من العُبَّاد والزهاد.

وأمَّا المنحرفون من الطائفتين فيُعْرِضون عن المشروع؛ إمّا من العلم وإمّا من

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٦٣-٦٤.

العمل، وهما طريق المغضوب عليهم والضالين"[١].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ﵀: "وَقَدْ أَوْعَبَتْ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إيعَابًا فَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ هَدَاهُ بِمَا يَبْلُغُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَعْمَاهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الْكُتُبِ إلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا"[٢].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ﵀: "فتبارك من جعل كلامه شفاء لصدور المؤمنين، وحياة لقلوبهم، ونورا لبصائرهم، وغذاء لقلوبهم، ودواء لسقامهم، وقرة لعيونهم، وفتح به منهم أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، وأمطر على قلوبهم سحائب ديمه، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فأشرقت به الوجوه، واستنارت به القلوب، وانقادت به الجوارح إلى طاعته ومحبته، فصبغ القلوب به معرفة وإيمانا، وملأها حكمة وإيقانا، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ [البَقَرَة: ١٣٨] "[٣].

قال الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) ﵀ في تفسير قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفَتْح: ٢٩] "الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحةً مع الله أصلح الله ظاهره للنّاس"[٤].

قال الشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤ هـ) ﵀: "﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي

(١) الاستقامة ١/١٠٠.

(٢) مجموع الفتاوى١٠/٦٦٥.

(٣) الكلام على مسألة السماع ١/٣١٥.

(٤) تفسير القران العظيم ٧/٣٦١



صبغنا بما ذكر من ملة إبراهيم صبغة الله وفطرته فطرنا عليها، وهي ما صبغ الله به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة"(١).

وقال محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾؛ «الصبغة» معناها اللون؛ وقالوا: المراد بـ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ دين الله؛ وسمي «الدين» صبغة لظهور أثره على العامل به؛ فإن المتدين يظهر أثر الدين عليه: يظهر على صفحات وجهه، ويظهر على مسلكه، ويظهر على خشوعه، وعلى سمته، وعلى هيئته كلها؛ فهو بمنزلة الصبغ للثوب يظهر أثره عليه؛ وقيل: سمي صبغة للزومه كلزوم الصبغ للثوب؛ ولا يمنع أن نقول: إنه سمي بذلك للوجهين جميعا: فهو صبغة للزومه؛ وهو صبغة أيضا لظهور أثره على العامل به"(٢).

الاسم التاسع والثلاثون: ومن أسماء التوحيد "حبل الله".

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٣].

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣ هـ) رحمه الله: "أي تمسكوا بعهده وهو التوحيد، كما قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مَرْيَم: ٧٨] أي توحيدا وتمسكوا بما ملككم من تأدية فرضه وسنة نبيه، وكذلك قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٢] معناه إلا بعهد من الله ودينه، وإنما سماه حبلا لأنه من

(١) تفسير المنار (سورة البقرة الآية: ١٣٨).
(٢) تفسير ابن عثيمين (سورة البقرة الآية: ١٣٨).

تمسك به توصل إلى الأمر الذي يؤمنه"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "وقال آخرون: بل ذلك هو إخلاص التوحيد لله"(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "أي: تعلقوا بأسباب الله ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ أي: تمسكوا بدين الله. والحبل في اللغة الذي يتوصل به إلى البغية.

قال ابن مسعود (ت: ٣٢ هـ) رضي الله عنه: حبل الله الجماعة.

عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤ هـ) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "كتاب الله حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض"(٣).

وقيل: حبله، عهده وأمره.

وأكثر المفسرين على أنه القرآن.

قال أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) رحمه الله حبل الله الإخلاص والتوحيد.

قال ابن زيد (ت: ٢٨٢ هـ) رحمه الله: حبل الله: الإسلام.

وقال القتبي (وهو ابن قتيبة) (ت: ٢٧٦ هـ) رحمه الله: "حبل الله: دينه"(٤).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٠٣]، قيل: حبل الله هو دين الإسلام وقيل: القرآن وقيل:

---

(١) تفسير التستري صـ ٤٧.

(٢) تفسير الطبري (سورة آل عمران الآية ١٠٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٩٠) وأحمد (٣ /١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩) والطبري (ج ٧ رقم٧٥٧٢ صفحة ٧٢).

(٤) كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/١٠٨٦.

عهده وقيل: طاعته وأمره وقيل جماعة المسلمين؛ وكل هذا حق"(١).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله في فضل كلمة التوحيد: "هي الحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه"(٢).

الاسم الأربعون: ومن أسماء التوحيد "عهد الله".

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ۝٨٧﴾ [مَرۡيَم: ٨٧].

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما، قال: "العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلا الله"(٣).

قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠ هـ) رحمه الله: " ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ۝٨٧﴾: وقال بعضهم: العهد: التَّوْحِيدُ"(٤).

قال مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ) رحمه الله: "ثم أخبر فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٧] فنقضوا العهد الأول، ونقضوا ما أخذ عليهم في التوراة أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأن يؤمنوا بالنبي ﷺ، وكفروا بعيسى وبمحمد، عليهما السلام، وآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البَقَرَة:٢٧] يعني ويعملون فيها بالمعاصي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البَقَرَة:٢٧] في العقوبة، يعني

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٤٠.

(٢) الجواب الكافي ص: ١٧٠.

(٣) تفسير الطبري (سورة مريم الآية: ٨٧).

(٤) تفسير يحيى بن سلام. (سورة مريم: الآية: ٨٧).

اليهود، ونظيرها في الرعد: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرَّعۡد: ٢٥] من إيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾ [الرَّعۡد:٢٥]"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله ﷺ، ونقضهم ذلك تركهم العمل به.

وقال آخرون: إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وإياهم عنى الله جل ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٦] وبقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البَقَرَة:٨] فكل ما في هذه الآيات فعذل لهم وتوبيخ إلى انقضاء قصصهم. قالوا: فعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه: هو ما أخذه الله عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد ﷺ إذا بعث، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم. ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك عن الناس، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً.

وقال بعضهم: إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته وعهده إليهم

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة الآية: ٢٧).

في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم. قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب، مع علمهم أن ما أتوا به حق. وقال آخرون: العهد الذي ذكره الله جل ذكره، هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، الذي وصفه في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرّيّتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ الآيتين، ونقضُهم ذلك، تركهم الوفاء به"(١).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩ هـ) رحمه الله: "﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٧] وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، وتفسيره في سورة الأعراف ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧]

قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): "يعني ما أمر الله به من الإيمان بالنبيين كلهم ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البَقَرَة: ٢٧] أي يعملون فيها بالشرك والمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾ [البَقَرَة: ٢٧] خسروا أنفسهم أن يغنموها فيصيروا في الجنة، فصاروا في النار"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨﴾ [مَرۡيَم: ٧٨]، أي: لم يفعل، والعهد: التوحيد؛ في تفسير بعضهم"(٣).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) رحمه الله في تفسيرها: "يعني: لا

(١) تفسير الطبري (سورة البقرة الآية: ٢٧).
(٢) تفسير ابن أبي زمنين (سورة البقرة الآية: ٢٧).
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/١٠٥.

إله إلا الله"(١).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مَرْيَم: ٨٧]: العهد: هو قول لا إله إلا الله.

وأقول: الذي يدل على صحة هذا القول وجوه:

الأول: أن قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مَرْيَم: ٨٧] نكرة في طرف الثبوت، وذلك لا يفيد إلا عهدًا واحدًا، فهذه الآية تدل على أن تلك الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد، ثم أجمعنا على أن ما سوى الإيمان فإن الواحد منه، بل مجموعة لا يفيد تلك الشفاعة البتة، فوجب أن يكون العهد الواحد الذي يفيد تلك الشفاعة هو الايمان، وهو قول: لا إله إلا الله.

والثاني: أن جماعة من المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]. هو عهد الإيمان، بدليل أن لفظ العهد مجمل، فلما أعقبه بقوله: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤١]. علمنا أن المراد من ذلك العهد هو الإيمان، وهو قول " لا إله إلا الله، محمد رسول الله ".

والثالث: أن أول ما وقع من العهد قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأَعْرَاف: ١٧٢]، وذلك في الحقيقة هو قول لا إله إلا الله، فكأن لفظ العهد محمولًا عليه.

والرابع: أنه تعالى قال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة مريم الآية: ٨٧).

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ﴾ [التَّوْبَة: ١١١] فكأن العهد من جانبك عهد الإقرار بالعبودية، ومن جانب الحق ﷻ عهد الكرم والربوبية، فثبت بهذه الوجوه: أن المراد من قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مَرْيَم: ٨٧]. هو قول: لا إله إلا الله.

الخامس: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ [البَقَرَة: ٨٠]. أي قلتم لا إله إلا الله"(١).

❁ قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) ﵀: "وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها"(٢).

❁ قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧ هـ) ﵀: "وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مَرْيَم: ٨٧] المراد توحيد الله والإيمان به"(٣).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧].

❁ قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) ﵀: "واختلفوا في تفسير العهد على أقوال:

أحدها: أنه وصية الله إلى خلقه، وأمره لهم بطاعته، ونهيه لهم عن معصيته في

---

(١) عجائب القرآن للرازي صـ ٦٥-٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير (سورة مريم الآية: ٨٧).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/١١٤.

كتبه المنزلة وعلى ألسنة أنبيائه المرسلة، ونقضهم له تركهم العمل به.

الثاني: أنه العهد الذي أخذه الله عليهم حين أخرجهم من أصلاب آبائهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ [الأَعۡرَاف: ١٧٢] الآية، ونقضهم له كفر، بعضهم بربوبيته، وبعضهم بحقوق نعمته.

الثالث: ما أخذه الله عليهم في الكتب المنزلة من الإقرار بتوحيده والاعتراف بنعمه والتصديق لأنبيائه ورسله، وبما جاؤوا به في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٨٧]، ونقضهم له نبذه وراء ظهورهم، وتبديل ما في كتبهم من وصفه ﷺ.

الرابع: ما أخذه الله تعالى على الأنبياء ومتبعيهم أن لا يكفروا بالله ولا بالنبي ﷺ، وأن ينصروه ويعظموه في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ [آل عِمۡرَان: ٨١] الآية، ونقضهم له إنكارهم لنبوته وتغييرهم لصفته.

الخامس: إيمانهم به ﷺ ورسالته قبل بعثه ونقضهم له جحدهم لنبوته ولصفته.

السادس: ما جعله في عقولهم من الحجة على توحيده وتصديق رسوله، بالنظر في المعجزات الدالة على إعجاز القرآن وصدقه ونبوة محمد ﷺ، ونقضهم هو تركهم النظر في ذلك وتقليدهم لآبائهم.

السابع: الأمانة المعروضة على السموات والأرض التي حملها الإنسان، ونقضهم تركهم القيام بحقوقها.

الثامن: ما أخذه عليهم من أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، ونقضهم عودهم إلى ما نهوا عنه، وهذا القول يدل على أن المخاطب بذلك بنو إسرائيل.

التاسع: هو الإيمان والتزام الشرائع، ونقضه كفره بعد الإيمان.

وهذه الأقوال التسعة منها ما يدل على العموم في كل ناقض للعهد، ومنها ما يدل على أن المخاطب قوم مخصوصون، وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف الذي وقع في سبب النزول، والعموم هو الظاهر.

فكل من نقض عهد الله من مسلم وكافر ومنافق أو مشرك أو كتابي تناوله هذا الذم، ومن متعلقة بقوله ينقضون، وهي لابتداء الغاية، ويدل على أن النقض حصل عقيب توثق العهد من غير فصل بينهما، وفي ذلك دليل على عدم اكتراثهم بالعهد، فإثر ما استوثق الله منهم نقضوه"(١).

الاسم الواحد والأربعون: ومن أسماء التوحيد "أمر الله".

قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾ [التَّوْبَة: ٤٨].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ يعنى الكفر في غزوة تبوك، ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ ظهرا لبطن كيف يصنعون، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعنى دين الإسلام، ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾ للإسلام"(٢).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ يقول: وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الإسلام"(٣).

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (سورة البقرة الآية: ٢٧).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة التوبة: الآية: ٤٨).

(٣) تفسير الطبري (سورة التوبة: الآية: ٤٨).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩ هـ) رحمه الله: " ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ﴾ يعني: الشرك ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن تهاجروا ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة: ٤٨] الإسلام ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ لظهوره"(١).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: " ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال والجمال حتى لا مطمع لهم في ستره ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي لجميع ذلك"(٢).

الاسم الثاني والأربعون: ومن أسماء التوحيد "الحسنة".

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّمل: ٨٩].

عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما، في قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ قال: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النَّمل: ٩٠] قال: بالشرك"(٣).

قال زين العابدين علي بن الحسين (ت: ٩٥ هـ) رحمه الله: "هي لا إله إلا الله"(٤).

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين (سورة التوبة: الآية: ٤٨).

(٢) تفسير البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. (سورة التوبة: الآية: ٤٨).

(٣) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النمل الآية: ٨٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة النمل الآية: ٨٩).

عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) رحمه الله، ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النَّمل: ٨٩] قال: "لا إله إلا الله"(١).

عن إبراهيم بن يزيد النخعي (ت: ٩٦ هـ) رحمه الله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النَّمل: ٨٩] قال: لا إلهَ إلاّ الله"(٢).

عن الشعبي (ت: ١٠٣ هـ) رحمه الله ؛ قال: كان حذيفة رضي الله عنه، جالسا في مسجد الكوفة فيحلقة، فقال: ما تقولون في هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النَّمل: ٨٩ - ٩٠] ؟ فقالوا: نعم يا حذيفة، من جاء بالحسنة ضعفت له عشر أمثالها. فأخذ كفا من حصى فضرب بها الأرض، وقال: تبا لكم وكان حديدا (أي فيه حدة) وقال: من جاء بـ "لا إله إلا الله" وجبت له الجنة، ومن جاء بالشرك وجبت له النار"(٣).

عن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النَّمل: ٨٩] قال: "كلمة الإخلاص لا إله إلا الله"(٤).

عن عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ قال: السيئة: الشرك"(٥).

(١) الدعاء للطبراني صـ٤٤٢.

(٢) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (سورة النمل: الآية: ٨٩).

(٣) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٦/٥١٤-٥١٥؛ وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (١١/٤١٨) للمصنف وابن المنذر.

(٤) الدعاء للطبراني صـ٤٤١.

(٥) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النمل الآية: ٨٩).

❁ عن عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رحمه الله؛ في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله، ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾؛ قال: الشرك"(١).

❁ عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ قال: الإخلاص، ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ قال: الشرك"(٢).

قَالَ قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: "﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾، يَعْنِي: التَّوْحِيدَ"(٣).

❁ قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ في الآخرة يعنى بلا إله إلا الله"(٤).

❁ قال يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: ٢٠٠ هـ) رحمه الله: "﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾: "لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه"(٥).

---

(١) سنن سعيد بن منصور تكملة التفسير ٦/٥١٤؛ وقال المحقق: "وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (١١/٤١٨ - ٤١٩) لعبد بن حميد. وقد أخرجه الطبراني في "الدعاء" (١٥٢٦) من طريق المصنف، عن هشيم، عن عبد الملك، به. وأخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٠/٤٠) عن يعقوب بن إبراهيم، عن هشيم، به. وأخرجه ابن جرير (١٠/٣٩) من طريق عبد الله بن نمير ومحمد بن فضيل، و (١٨/١٤١) من طريق جرير بن عبد الحميد، والطبراني في "الدعاء" (١٥٢٦) من طريق زائدة بن قدامة؛ جميعهم (ابن نمير، وابن فضيل، وجرير، وزائدة) عن عبد الملك، به.وأخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٨/١٤١) من طريق ابن جريج، عن عطاء.

(٢) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النمل الآية: ٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة النمل الآية: ٨٩).

(٣) تفسير يحيى بن سلام. (سورة القصص: الآية: ٨٤).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة النمل الآية: ٨٩).

(٥) تفسير يحيى بن سلام. (سورة القصص الآية: ٨٤).



قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: مَنْ جَاءَ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنا به قلبه، فَلَهُ من هذه الحسنة عند الله خَيرٌ يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله مِنْهَا الجنة، ويؤمّنه مِنْ فَزَعِ الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته فَكُبّتْ وُجُوهُهُمْ في نار جهنم"[1].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩ هـ) رحمه الله: " ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بـ "لا إله إلا الله"[2].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) رحمه الله: "﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بكلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو معشر: كان إبراهيم يحلف ولا يستثني: أن الحسنة لا إله إلا الله. وقال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ): بالإخلاص"[3].

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "قال ابن مسعود (ت:٣٢هـ) رضي الله عنه، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، والقاسم بن أبي بزة (ت:١٢٤هـ) رحمه الله، وغيرهم: «الحسنة» لا إله إلا الله «والسيئة» الكفر"[4]. قال علي بن يحي السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: " ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري. (سورة النمل الآية: ٨٩).
(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/٣١٥.
(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة النمل الآية: ٨٩).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٣٦٨.

أي: بالإيمان والتوحيد، وكلمة الإخلاص، وشهادة أن لا إله إلا الله"[١].

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأَنْعَام: ١٦٠].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٤].

❁ قال منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) رحمه الله: "وأما الحسنة والسيئة ففيهما أقوال: أحدها: أنهما التوحيد والشرك"[٢].

الاسم الثالث والأربعون: ومن أسماء التوحيد "الحسنى".

قال تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ [اللَّيْل: ٦].

❁ عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنهما: "﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: يقول: صدّق بلا إله إلاّ الله"[٣].

❁ عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢ هـ) رحمه الله: "﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾: بلا إله إلاّ الله"[٤].

❁ عن أبي حصين (ت:١٢٧هـ) رحمه الله، عن أبي عبد الرحمن رحمه الله (ت:١٢٨هـ)

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة النمل الآية: ٨٩).
(٢) تفسير السمعاني ٥/٥٢. (فصلت: الآية: ٣٤).
(٣) تفسير الطبري (سورة الليل: الآية: ٦).
(٤) تفسير الطبري (سورة الليل: الآية: ٦).

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ قال: بلا إله إلاّ الله"[١].

قال سهل التستري (ت: ٢٨٣ هـ) رحمه الله: "﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، كلمة التوحيد"[٢].

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: بتوحيد الله، وهو قول لا إله إلا الله، قاله الضحاك بن مزاحم (ت:١٠٢ هـ).

الثاني: بموعود الله، قاله قتادة (ت: ١١٨ هـ) رحمه الله.

الثالث: بالجنة، قاله مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله.

الرابع: بالثواب، قاله خصيف (ت: ١٣٨ هـ) رحمه الله.

الخامس: بالصلاة والزكاة والصوم، قاله زيد بن أسلم (ت: ١٣٦ هـ) رحمه الله.

السادس: بما أنعم الله عليه، قاله عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٤هـ) رحمه الله.

السابع: بالخلف من عطائ، قاله الحسن (ت: ١١٠ هـ) رحمه الله، ومعاني أكثرها متقاربة"[٣].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ قال أبو عبد الرحمن (ت: ١٢٨ هـ) رحمه الله، والضحاك بن مزاحم

---

(١) تفسير الطبري (سورة الليل: الآية: ٦).

(٢) تفسير التستري صـ ١٩٦.

(٣) تفسير الماوردي (سورة الليل: الآية: ٦).

(ت: ١٠٢ هـ) رحمه الله: "وصدق بلا إله إلا الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ)"(١).

قال برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) رحمه الله: "﴿وَصَدَّقَ﴾ أي أوقع التصديق للمخبر ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي وهي كلمة العدل التي هي أحسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه من الوعود الصادقة بالآخرة والإخلاف في النفقة في الدنيا وإظهار الدين وإن قل أهله على الدين كله، وغير ذلك من كل ما وعد به الرسول ﷺ سبحانه وتعالى"(٢).

قال السيوطى (ت: ٩١١هـ) رحمه الله: "وأخرج الفريابي (ت: ٢١٢هـ) رحمه الله، وعبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ) رحمه الله، وابن جرير (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله، وابن المنذر (ت: ٣١٨هـ) رحمه الله، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) رحمه الله، عن أبي عبد الرحمن السلمي (ت: ١٢٨هـ) رحمه الله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ قال: بلا إله إلا الله"(٣).

الاسم الرابع والأربعون: ومن أسماء التوحيد "الأحسن".

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزُّمَر: ١٨].

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الليل: الآية: ٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (سورة الليل: الآية: ٦).

(٣) تفسير الدر المنثور للسيوطي (سورة الليل: الآية: ٦).



قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ) رحمه الله، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزُّمَر: ١٧]... الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري (ت:٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه، وسلمان الفارسي (ت: ٣٣هـ) رضي الله عنه، نزل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزُّمَر: ١٧] في جاهليتهم ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزُّمَر: ١٧ - ١٨] لا إله إلا الله"[(١)].

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري (ت: ٣٠ أو ٣١هـ) رضي الله عنه، وسلمان الفارسي (ت: ٣٣هـ) رضي الله عنه. والأحسن: قول لا إله إلا الله"[(٢)].

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحد الله قبل الإسلام "لا إله إلا الله""[(٣)].

قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠ هـ) رحمه الله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزُّمَر: ١٨] فهذا في أبواب الاعتقادات"[(٤)].

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (سورة الزمر الآية: ١٨).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الزمر الآية: ١٨).

(٣) تفسير القرطبي (سورة الزمر الآية: ١٨).

(٤) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (سورة الزمر الآية: ١٨).

الاسم الخامس والأربعون: ومن أسماء التوحيد "العروة الوثقى".

قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لُقْمَان: ٢٢].

عن عبد الله بن سلام (ت: ٤٣ هـ) ﵁ قال: "رأيت كأني في روضة، وسط الروضة عمود، في أعلى العمود عروة، فقيل لي: ارقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني وصيف فرفع ثيابي فرقيت، فاستمسكت بالعروة، فانتبهت وأنا مستمسك بها، فقصصتها على النبي ﷺ فقال: ((تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، لا تزال مستمسكا بالإسلام حتى تموت))(١).

عن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﵄: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ قال: لا إله إلا الله"(٢).

عن سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) ﵀: العروة: لا إله إلا الله"(٣).

عن الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٢ هـ) ﵀: العروة: لا إله إلا الله"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦١٢) واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٨٤).

(٢) تفسير الطبري (سورة لقمان الآية: ٢٢)،تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة لقمان الآية: ٢٢).

(٣) تفسير الطبري (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦).

(٤) تفسير الطبري (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦)، ٣٤٤/١.

قال مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) ﵀: "في قوله ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ قال: الإيمان"(١).

قال السدي (ت: ١٢٨ هـ) ﵀: "العروة الوثقى: هو الإسلام"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) ﵀: "﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ﴾ يعني: وجهته في الدين ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ لا إله إلا الله"(٣).

قال الكرماني (ت: ٧٨٦ هـ) ﵀: "قال الكرماني يحتمل أن يراد بالعروة الوثقى الإيمان"(٤).

قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥ هـ) ﵀: "والعروة الوثقى هي: "لا إله إلا الله"(٥).

الاسم السادس والأربعون: ومن أسماء التوحيد "الدعوة التامة".

عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨ هـ) ﵄، أن رسول الله ﷺ، قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت

(١) تفسير الطبري (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦).

(٢) تفسير الطبري (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/٣٧٧.

(٤) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ٢٤/١١٩، وفتح الباري لابن حجر ١٢/٣٩٨.

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد صـ ٨٣.

محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة))(١).

قال ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) رحمه الله: "الدعوة التامة المراد بها: دعوة التوحيد، كقولة: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ [الرَّعْد: ١٤] وقيل لدعوة التوحيد تامة لأن الشركة نقص، وقال ابن التين: وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو: لا إله إلا الله"(٢).

الاسم السابع والأربعون: ومن أسماء التوحيد "دعوة الله".

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غَافِر: ١٢].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: " ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ يعني إذا ذكر الله ﴿وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ به يعني بالتوحيد ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ يعني وإن يعدل به تصدقوا"(٣).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة، وقلتم ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] "(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦١٤).

(٢) فتح الباري (٢/١١٢- ١١٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٤) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (سورة غافر: الآية: ١٢).

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ [غَافِر: ١٢] في الدُّنيا كفرتم به وأنكرتم أن لا تكون الإلهية له خالصة، وقلتم ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ [غَافِر: ١٢] غيره. ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ تصدقوا ذلك المشرك"(١).

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ [غَافِر: ١٢] أي كفرتم بتوحيد الله"(٢).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ نكرتم وحدانيته ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ تصدقوا ذلك الشرك"(٣).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ معناه: بحالة توحيد ونفي لما سواه من الآلهة والأنداد.

وقوله: ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ [غَافِر: ١٢] أي إذا ذكرت اللات والعزى وغيرهما صدقتم واستقرت نفوسكم"(٤).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ أي: إذا قيل: لا إله إلا الله أنكرتم، وقلتم: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾، ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ غيره ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾= تصدقوا ذلك الشرك"(٥).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾[غَافِر: ١٢] أي وحد الله

---

(١) الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٢) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٣) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٤) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة غافر: الآية: ١٢).

﴿وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ [غَافِر: ١٢] وأنكرتم أن تكون الألوهية له خاصة، وإن أشرك به مشرك صدقتموه وآمنتم بقوله"(١).

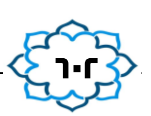
قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: " ﴿ذَٰلِكُم﴾ الذي أنتم فيه. ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ بسبب أنه ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ متحدا أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية. ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ التوحيد. ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ بالإشراك. ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد الدائم. ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾ عن أن يشرك به ويسوى بغيره. ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة بالعذاب السرمد"(٢).

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠ هـ) رحمه الله: "قوله ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ [غَافِر: ١٢] أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به"(٣).

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: "﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ معناه فأجيبوا أن لا سبيل إلى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعى الله وحده كفرتم

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة غافر: الآية: ١٢).
(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. (سورة غافر: الآية: ١٢).
(٣) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة غافر: الآية: ١٢).



يعني إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ذلك؛ ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ أي غيره ﴿تُؤْمِنُواْ﴾ أي تصدقوا ذلك الشرك"(١).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾: أي إذا أفرد بالإلهية ونفيت عن سواه، ﴿كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾: أي ذكرت اللات والعزى وأمثالهما من الأصنام، صدقتم بألوهيتها وسكنت نفوسكم إليها"(٢).

قال علي بن يحي السمرقندي (ت: ٨٨٠ هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ يعني: إذا قيل لكم لا إله إلا الله جحدتم، وأقمتم على الكفر، ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾ يعني: إذا دعيتم إلى الشرك، وعبادة الأوثان، تصدقوا"(٣).

قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠ هـ) رحمه الله: "قوله ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ أي ذلك الذي أنتم فيه من العذاب والخلود من النار وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط إنما وقع بسبب كفرهم بتوحيد الله، أي إذا قيل لا إله إلا الله كفرتم وقلتمْ ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَٰلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥] ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾ [غَافِر: ١٢] أي تصدقوا ذلك الشرك"(٤).

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٣) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٤) اللباب في علوم الكتاب. (سورة غافر: الآية: ١٢).



قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: "﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ [غَافِر: ١٢] أي ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسبب أنه إذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به وتركتم توحيده. ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ غيره من الأصنام أو غيرها ﴿تُؤۡمِنُواْ﴾ بالإشراك به، وتجيبوا الدّاعي إليه، فبيّن سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار، وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله، وإشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدّعاء"(١).

الاسم الثامن والأربعون: ومن أسماء التوحيد "الكلمة السواء".

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عِمۡرَان: ٦٤].

قال أبو العالية (ت: ٩٣ هـ) رحمه الله: "الكلمة السواء"، لا إله إلا الله"(٢).

قال مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله: "﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾، كلمة التوحيد: لا إله إلا الله"(٣).

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة غافر: الآية: ١٢).

(٢) تفسير الطبري (سورة آل عمران: الآية: ٦٤)، تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٣٨/٦.

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "﴿تَعَالَوْاْ﴾ هلمّوا ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ يعني إلى كلمة عدل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والكلمة العدل: هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا. وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له، كما يسجد لربه. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: اشهدوا بأنا مسلمون"(١).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ أي: عدل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ يعني: لا إله إلا الله"(٢).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ﴾. الكلمة ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وما بعده. وقيل: ﴿كَلِمَةٍ﴾ لا إله إلا الله. و﴿سَوَآءٍ﴾: النَصَفَة والعدل والقصد"(٣).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) رحمه الله: "﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة، ومنه سميت القصيدة كلمة (سواء) عدل بيننا وبينكم مستوية، أي أمر مستو يقال: دعا

---

(١) تفسير الطبري (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

(٣) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصَّافَّات: ٥٥] وإنما قيل للنصفة سواء لأن أعدل الأمور وأفضلها أوسطها سواء نعت لكلمة إلا أنه مصدر، والمصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإذا فتحت السين مددت، وإذا كسرت أو ضممت قصرت، كقوله تعالى ﴿مَكَانًا سُوًى ﴾ [طه: ٥٨] ثم فسر الكلمة فقال: قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] ومحل (أن) رفع على إضمار هي، وقال الزجاج: رفع بالابتداء، وقيل: محله نصب بنزع حرف الصلة، معناه بأن لا نعبد إلا الله، وقيل: محله خفض بدلاً من الكلمة، أي تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] كما فعلت اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة: ٣١] وقال عكرمة (ت:١٠٥هـ): هو سجود بعضهم لبعض، أي لا نسجد لغير الله، وقيل معناه: لا نطيع أحدا في معصية الله.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] أي فقولوا أنتم يا أمة محمد ﷺ لهم اشهدوا.

قوله تعالى: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عِمْرَان: ٦٤] مخلصون بالتوحيد"(١).

❁ قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) رحمه الله: "فالمعنى أجيبوا إلى ما دعيتم إليه، وهو الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق. وقد فسرها بقوله تعالى:

---

(١) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عِمۡرَان: ٦٤] "(١).

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) ﵀: " ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ [آل عِمۡرَان: ٦٤] والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمۡرَان: ٦٤] أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا وَثَنا، ولا صنما، ولا صليبا ولا طاغوتا، ولا نارًا، ولا شيئًا بل نُفْرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٥]. وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحۡل: ٣٦]. ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمۡرَان: ٦٤] وقال ابن جُرَيْج (ت: ١٥٠ هـ): يعني: يطيع بعضنا بعضا في معصية الله. وقال عكرمة (ت: ١٠٥ هـ): يعني: يسجد بعضنا لبعض. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عِمۡرَان: ٦٤] أي: فإن تولوا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشْهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم"(٢).

قال عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت: ١٣٧٦ هـ) ﵀: "هذه الآية الكريمة كان النبي ﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ أحيانًا في

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير (سورة آل عمران: الآية: ٦٤).

الركعة الأولى من سُنَّة الفجر: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦] الآية، ويقرأ بها في الرَّكعة الآخرة من سنَّة الصبح؛ لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد قد اتَّفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الإلهية المبنيّ على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق كلهم في طور البشرية لا يستحقُّ منهم أحدٌ شيئًا من خصائص الرُّبوبية ولا من نعوت الإلهية، فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا"(١).

الاسم التاسع والأربعون: ومن أسماء التوحيد "كلمة النجاة".

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه: "إن هذه الآية أرجى آية في القرآن قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]"(٢).

عن علي بن أبي طالب (ت: ٤٠ هـ) رضي الله عنه قال "ما في القرآن آية أحب إلي من هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]"(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، المعروف بـ"تفسير السعدي": (آل عمران: ٦٤).

(٢) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي (سورة النساء: الآية: ٤٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه وقال:"هذا حديث حسن غريب وأبو فاختة اسمه سعيد بن علاقة وثوير يكنى أبا جهم وهو رجل كوفي من التابعين وقد سمع من ابن عمر وابن الزبير وابن مهدي كان يغمزه قليلا"، انظر: وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٠٣٧)، وقال: "ضعيف الإسناد".

عن ابن عمر (ت: ٧٣ هـ) رضي الله عنهما: "كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ لا نشك في قاتل المؤمن، وأكل مال اليتيم، وشاهد الزور، وقاطع الرحم، يعني في الشهادة له بالنار حتى نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] فأمسكنا عن الشهادة"(١).

عن مجاهد (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، "أن الاستثناء لأهل التوحيد"(٢).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، فيموت عليه، يعني اليهود، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الشرك ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لمن مات موحدا، فمشيئته تبارك وتعالى لأهل التوحيد، ﴿وَمَن يُشْرِكْ﴾ معه غيره، ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ يقول: فقد قال ذنبا عظيمًا "(٣).

قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غَافِر: ٤١].

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: " ﴿لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾: إلى الإيمان بالله ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾ [غَافِر: ٤١]: إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار"(٤).

عن جابر بن عبد الله(ت: ٧٨ هـ) رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الموجبتين: فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئادخل الجنة، ومن مات يشرك

---

(١) تفسير الطبري (سورة النساء: الآية: ٤٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (سورة النساء: الآية: ٤٨)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم والبزار وهو في تفسير ابن أبي حاتم (٤٩٢٩) و(٥٢٣٥) و(٥٤٦٠)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة النساء: الآية: ٤٨).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة النساء: الآية: ٤٨).

(٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٤/١٣٥.

بالله شيئا دخل النار"[١].

قال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧هـ) ﵀: "والكلمة الموجبة: لا إله إلا الله"[٢].

عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: ((مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ؛ نَفَعتْه يومًا من دهرِه، يُصيبُه قبلَ ذلكَ ما أصابَه))[٣].

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) ﵀: "الاسم الرابع عشر: كلمة النجاة، والذي يدل عليه القرآن والحديث والعقول:

أما القرآن فمن وجهين:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]. فهذه الآية صريحة في أن النجاة لا تحصل بدون الإيمان بلا إله إلا الله، وتحصل مع الايمان بلا إله إلا الله.

والثاني: قوله تعالى: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾ [غَافِر: ٤١]. النجاة قول لا إله إلا الله.

وأما الأخبار فيدل عليه الأخبار التي ذكرناها في الفصل الثاني، ونزيد ههنا أخبارًا أخرى.

أحدها: ما روى جابر بن عبد الله(ت: ٧٨ هـ) ﵄ أنه قال: سئل رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/١٧١.

(٣) أخرجه البزار (٨٢٩٢)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٦٣٩٦) واللفظ لهما، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٧/١٢٦)، وصححه الألباني. في صحيح الترغيب برقم: (١٥٢٥).

ﷺ عن الموحدين فقال: ((مَنْ لقيَ الله لا يشركُ به شيئًا دخلَ الجنّة، ومَنْ لقيَ الله يُشركُ به شيئًا دخل النار))(١).

وثانيها: عن أبي سعيد الخدري (ت: ٧٤ هـ) رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: ((لقّنوا موتاكُم لا إله إلا الله))(٢).

وثالثها: عن جابر بن عبد الله (ت: ٧٨ هـ) رضي اللهعنهما، قال: سمعت عمر بن الخطاب(ت: ٢٣ هـ) رضي الله عنه يقول لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: ما لي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله ﷺ لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك قال: معاذ الله إني لأحذركم أن لا أفعل ذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند حضرة الموت إلا وجد روحه لها روحا حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها ولم يخبرني بها فذلك الذي دخلني قال عمر رضي الله عنه: فأنا أعلمها قال: فلله الحمد فما هي قال: هي الكلمة التي قالها لعمه لا إله إلا الله قال طلحة: صدقت"(٣).

رابعها: وروى أبو أمامة رضي الله عنه (ت: ٨١ هـ أو ٨٦ هـ)، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ينادي في الناس: ((مَنْ شَهد أنْ لا إله إلا الله وجبت له الجنة))(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٧).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٩٣٧)، وأحمد (١٨٧) باختلاف يسير.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (١/١٠٠-١٠١)و وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٥): وفي إسناده سويد بن عبد العزيز وهو متروك.

وخامسها: قال معاذ بن جبل (ت: ١٨ هـ) رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: "اكشفوا عني سجف القبة أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مرة: أخبركم بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعني أن أحدثكموه إلا أن تتكلوا، سمعته يقول: ((من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه أو يقينا من قلبه لم يدخل النار أو دخل الجنة وقال مرة: دخل الجنة، ولم تمسه النار))[(١)].

وسادسها: عن عبد الله بن أبي قتادة رحمه الله (ت:٩٥هـ)، عن أبيه رضي الله عنه (ت:٥٤هـ) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، يجري بها لسانه، ويطمئن بها قلبه، حُرّمت عليه النار))[(٢)].

وسابعها: روى أبو هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر (ت: ٣٠ أو ٣١ هـ) رضي الله عنه: ((ناد في الناس: من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة)). قال أبو ذر: وإن زنا وإن سرق؟ قال: ((وإن زنا وإن سرق))— حتى قالها ثلاث مرات فقال الثالثة: ((وإن زنا وإن سرق على رغم أنف أبي ذر)).

وثامنها: روى معاذ بن جبل(ت: ١٨ هـ) رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وفاضت نفسه بعده، دخل الجنة))"[(٣)].

❁ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله: "وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى

---

(١) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٩٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٦) بمعناه، وأحمد (٢٢٠٦٠) واللفظ له.

(٢) .

(٣) عجائب القرآن للرازي صـ ٦٣-٦٥.

الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم"(١).

الاسم الخمسون: ومن أسماء التوحيد "كلمة الاستقامة".

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عِمۡرَان: ٥١].

قال تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [يس: ٦٠ - ٦١]

سئل أبو بكر الصديق (ت: ١٣ هـ) رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: "أن لا تشرك بالله شيئاً"(٢).

قرأت عند أبي بكر الصدّيق (ت: ١٣ هـ) رضي الله عنه هذه الآية: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] قال: "هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا"(٣).

عن أبي بكر (ت:١٣هـ) رضي الله عنه أنه قال لأصحابه إنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنا اللّهُ ثُمّ اسْتَقامُوا قال: قالوا: ربنا الله ثم عملوا بها، قال: "لقد حملتموها على غير المحمل ﴿إِنَّ

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ١/٨٣.

(٢) تفسير معالم التنزيل للبغوي. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

(٣) تفسير الطبري. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره"(١).

فسر أبو بكر رضي الله عنه الاستقامة في قوله تعالى: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره"(٢).

قال عثمان بن عفان (ت:٣٥هـ) رضي الله عنه: "استقاموا: أخلصوا العمل لله"(٣).

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] وحّدوا الله تعالى"(٤).

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] على شهادة لا إله إلا الله"(٥).

قال الربيع (ت: قبل ٦٥ هـ) رحمه الله: "اعرضوا عما سوى الله"(٦).

قال مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤ هـ) رحمه الله، وعكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله"(٧).

قال مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ) رحمه الله: "ثم أخبر عن المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ

(١) تفسير الطبري. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).
(٢) تفسير الطبري. (سورة فصلت: الآية: ٣٠)، جامع العلوم والحكم ١٩٣.
(٣) تفسير معالم التنزيل للبغوي. (سورة فصلت: الآية: ٣٠)، تفسير ابن أبي زمنين. (سورة فصلت: الآية: ٣٠)، مدارج السالكين ١٠٤/٢
(٤) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).
(٥) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١.
(٦) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).
(٧) تفسير الطبري. (سورة فصلت: الآية: ٣٠)، تفسير معالم التنزيل للبغوي. (سورة فصلت: الآية:٣٠)، تفسير معالم التنزيل للبغوي. (سورة فصلت: الآية: ٣٠)، مدارج السالكين ١٠٤/٢.



﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فعرفوه، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على المعرفة، ولم يرتدوا عنها"(١).

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنا اللّهُ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ثُمّ اسْتَقامُوا على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ مخلصين له ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ عليها"(٣).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ إن الذين وحدوا الله وعلموا أنه لا رب لهم غيره، ثم استقاموا على التوحيد والطاعة إلى الوفاة"(٤).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ): رحمه الله "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي وحدوه ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على التوحيد فلم يشركوا به شيئًا"(٥).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) رحمه الله: "وذهب أبو بكر الصديق (ت: ١٣ هـ) رضي الله عنه وجماعة معه إلى أن المعنى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فلم يختل توحيدهم ولا اضطرب إيمانهم. وروى أنس بن

(١) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

(٢) تفسير الطبري. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

(٥) التفسير البسيط للواحدي. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

مالك(ت: ٩٠ هـ) ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام. المعنى فهو في أول درجات الاستقامة من الخلود، فهذا كقوله عليه السلام: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))[1]، وهذا هو المعتقد إن شاء الله، وذلك أن العصاة من أمة محمد عليه السلام وغيرها فرقتان: فأما من قضى الله بالمغفرة له وترك تعذيبه، فلا محالة ممن تنزل عليه الملائكة بالبشارة، وهو إنما استقام على توحيده فقط، وأما من قضى الله بتعذيبه مرة ثم بإدخاله الجنة، فلا محالة أنه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه، وليس يصح أن يكون حاله كحالة الكافر اليائس من رحمة الله، وإذ قد كان هذا فقد حصلت له بشارة بأن لا يخاف الخلود ولا يحزن منه وبأنه يصير آخراً إلى الخلود في الجنة، وهل العصاة المؤمنون إلا تحت الوعد بالجنة، فهم داخلون فيمن يقال لهم: ﴿أَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ ومع هذا كله فلا يختلف أن الموحد المستقيم على الطاعة أتم حالاً وأكمل بشارة، وهو مقصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وعلى نحو ذلك قال سفيان: ﴿ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾، عملوا بنحو ما قالوا، وقال الربيع: أعرضوا عما سوى الله. وقال الفضيل: زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية، وبالجملة فكلما كان المرء أشد استعداداً كان أسرع فوزاً بفضل الله تعالى"[2].

(١) رواه أحمد (٢١٥٢٩) وأبو داود (٣١١٦) وحسنه الألباني في "إرواء الغليل" (٦٨٧).

(٢) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. (سورة فصلت: الآية: ٣٠).

قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "والصديق رضي الله عنه استقى هذا المعنى من آيتين في كتاب الله تعالى.. الآية الأولى: قول الله عن عيسى عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عِمْرَان: ٥١].

والثانية: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس: ٦٠ - ٦١] "(١).

قال الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "فمن أعرض عن الله بالكلية؛ أعرض الله عنه بالكلية، ومن أعرض الله عنه؛ لزمه الشقاء والبؤس"(٢).

الاسم الواحد والخمسون: ومن أسماء التوحيد "العمل الصالح".

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ [فَاطِر: ١٠].

قال قتادة (ت: ١١٨هـ) رحمه الله، "﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] التوحيد؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد"(٣).

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ يقول: شهادة ألا إله إلا الله ترفع العمل الصالح إلى الله عَزَّوَجَلَّ في السماء"(٤).

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٠٤.

(٢) طريق الهجرتين ص: ٣٦٧.

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين(سورة فاطر: الآية ١٠).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان. (سورة فاطر: الآية ١٠).

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "معنى ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾، أي يجعله رفيعاً ذا وزن وقيمة، كما يُقال: طود رفيع ومرتفع، وقيل: العمل الصالح هو الخالص، يعني أنّ الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأعمال، دليله قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الكَهۡف:١١٠] أي خالصاً ثم قال: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكَهۡف: ١١٠] فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء"(١).

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكَهۡف: ١١٠]

قال محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية"(٢).

قال ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) رحمه الله: "﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكَهۡف: ١١٠] أي: يخلص له العمل"(٣).

قال مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧ هـ) رحمه الله: "﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ فليخلص العبادة لله ويعمل بطاعته"(٤).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) رحمه الله: "﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾

---

(١) تفسير الثعلبي (سورة فاطر: الاية: ١٠).

(٢) تفسير الطبري (سورة الكهف: الآية: ١١٠).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (سورة الكهف: الآية: ١١٠).

(٤) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب. (سورة الكهف: الآية: ١١٠).



خالصا ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ ولا يراء ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ نزلت هذه الآية في النهي عن الرياء بالأعمال"(١).

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) رحمه الله: "﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: خالصاً، ﴿لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾، أي ولا يراءِ"(٢).

قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المُؤْمِنُون: ٩٩ - ١٠٠]

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المُؤْمِنُون: ٩٩ - ١٠٠] "أقول لا إله إلا الله"(٣).

قال عكرمة (ت: ١٠٥ هـ) رحمه الله، في قوله ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المُؤْمِنُون: ١٠٠] قال: لعلي أقول لا إله إلا الله"(٤).

قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ) رحمه الله: "ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله"(٥).

قال مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ) رحمه الله: "﴿لَعَلِّيٓ﴾ يعني لكي ﴿أَعْمَلُ

---

(١) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة الكهف: الآية: ١١٠).

(٢) تفسير الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي. (سورة الكهف: الآية: ١١٠).

(٣) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٢٧١/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

(٤) تفسير الدر المنثور للسيوطي. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

﴿صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المُؤْمِنُون: ١٠٠] من العمل الصالح، يعنى الإيمان"(١).

قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) ﵀: "﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا﴾ "أي أشهد بالتوحيد"(٢).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) ﵀: "قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ أي: لعلي أن أقول لا إله إلا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله"(٣).

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) ﵀: "﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ في الإيمان الذي تركته أي لعلي آتي الإيمان وأعمل فيه"(٤).

قال ابن جزي (ت: ٧٤١ هـ) ﵀: "﴿فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال، وقيل: فيما تركت من الإيمان فهو كقوله: ﴿أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا﴾ [الأَنْعَام: ١٥٨]، والمعنى أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحا في الإيمان الذي تركه أول مرة"(٥).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) ﵀: "﴿فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ [المُؤْمِنُون: ١٠٠] في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتى بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحاً"(٦).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

(٢) تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

(٥) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

(٦) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) ﷺ: " ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ [المُؤۡمِنُون: ١٠٠] أي: أعمل عملاً صالحاً في الدنيا إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير"(١).

الاسم الثاني والخمسون: ومن أسماء التوحيد "الرشد".

قال تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجِن: ٢].

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) ﷺ: "﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مراشد الأمور.

الثاني: إلى معرفة اللَّه"(٢).

قال الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) ﷺ: "﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يدعوا إلى الصواب من التوحيد والإيمان"(٣).

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) ﷺ: "﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ مراشد الأمور، أو معرفة الله تعالى "(٤).

قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ﷺ: "﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ أي إلى مراشد

(١) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠).

(٢) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة الجن: الآية: ٢).

(٣) تفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم للبغوي. (سورة الجن: الآية: ٢).

(٤) تفسير تفسير العز بن عبد السلام. (سورة الجن: الآية: ٢).

الأمور. وقيل: إلى معرفة الله تعالى"(١).

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: "﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ على ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد"(٢).

قال عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠ هـ) رحمه الله: " ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يدعوا إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن. ولما كان الإيمان به إيماناً بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ من خلقه"(٣).

قال علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ) رحمه الله: "﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي يدعو إلى الصواب يعني التوحيد والإيمان"(٤).

قال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) رحمه الله: "﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: أي يدعو إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد والإيمان.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى﴾: أي بالقرآن. ولما كان الإيمان به متضمناً الإيمان بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾"(٥).

قال علي بن يحيى السمرقندي (ت: ٨٨٠هـ تقريبًا) رحمه الله: "﴿يَهْدِيٓ إِلَى

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. (سورة الجن: الآية: ٢).
(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي. (سورة الجن: الآية: ٢).
(٣) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي. (سورة الجن: الآية: ٢).
(٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن. (سورة الجن: الآية: ٢).
(٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. (سورة الجن: الآية: ٢).

﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ يعني: يدعو إلى الهدى، وهو الإسلام. ويقال: إلى الصواب، والتوحيد، والأمر والنهي. ويقال: يدل على الحق. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ يعني: صدقنا بالقرآن. ويقال: آمنا بالله تعالى. ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢﴾ يعني: إبليس، يعني: لن نشرك بعبادته أحداً من خلقه"[1].

قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٨٨٠هـ) رحمه الله: "﴿إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾. المعنى: يهدي إلى الصواب. وقيل: إلى التوحيد"[2].

قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأَعۡرَاف: ١٤٦]

قال علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) رحمه الله: "فيه وجهان:

أحدهما: أن الرشد الإيمان، والغي: الكفر.

والثاني: أن الرشد الهداية. والغي: الضلال"[3].

قال العز بن عبد السلام (ت: ٦٣٩ هـ) رحمه الله: "﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ الإيمان، والغي: الكفر، أو الرشد: الهدى، والغي: الضلال"[4].

---

(١) تفسير بحر العلوم لعلي بن يحيى السمرقندي. (سورة الجن: الآية: ٢).

(٢) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل. (سورة الجن: الآية: ٢).

(٣) تفسير النكت والعيون للماوردي. (سورة الأعراف: الآية: ١٤٦).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام. (سورة الأعراف: الآية: ١٤٦).

الاسم الثالث والخمسون: ومن أسماء التوحيد "مقاليد السموات والأرض".

قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزُّمَر: ٦٣].

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٢﴾ [الشُّورَى: ١٢].

عن عثمان بن عفان (ت: ٣٥ هـ) رضي الله عنه، "أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: ٦٣] فقال: ((ما سألني عنها أحد قبلك يا عثمان))، قال: ((تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير)) الحديث..."(١).

قال ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما: "هو قول لا إله إلا الله"(٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "وأقول: هذا هو الحق، ويدل عليه وجوه:

الأول: أنه تعالى بين أنه لو كان في الوجود آلهان لحصل الفساد في العالم، ولاختلت المصالح، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأَنبِيَاء: ٢٢]. فثبت أن الشرك سبب لفساد العالم، وأن التوحيد سبب لانتظام

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٧٣) من طريق أبي عن شجاع بن مخلد عن يحيى بن حماد به، وقال الهيثمي في المجمع (١١٥/١٠): "رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه الأغلب بن تميم، وهو ضعيف".

(٢) مفاتيح الغيب للرازي صـ ٦٨.

العالم. فثبت أن مقاليد السموات والأرض هو قول: لا إله إلا الله.

الثاني: أنا بينا أن الشرك سبب لفساد العالم بدليل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مَرْيَم: ٩٠] وإذا كان كذلك كان التوحيد سببًا لعمران العالم.

الثالث: أن أبواب السموات لا تفتح عند الدعاء إلا بقول لا إله إلا الله، وأبواب الجنان لا تنفتح إلا بهذا القول، وأبواب النيران لا تغلق إلا بهذا القول، وباب القلب لا يفتح إلا بهذه الكلمة، وأنواع الوساوس لا تندفع إلا بهذا القول، فكانت هذه الكلمة أشرف مقاليد السموات والأرض، وأعز مفاتيح الأرواح والنفوس والأجسام والعقول"(١).

قال عبد الرحمن الثعالبي المالكي (ت: ٨٧٥ هـ) رحمه الله: "﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: ٦٣] فقال: هِيَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ يُحْيِي ويُمِيتُ، وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(٢).

الاسم الرابع والخمسون: ومن أسماء التوحيد "البر".

قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي صـ ٦٨-٦٩.

(٢) تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (سورة الشورى الآية: ١٢).

عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البَقَرَة: ١٧٧].

قال مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) رحمه الله: "﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، يعني صدق بالله بأنه واحد لا شريك له"(١).

قال سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ) رحمه الله: "﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية قال: هذه أنواع البر كلها، وصدق رحمه الله، فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله وأنه لا اله إلا هو، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله"(٢).

قال أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ) رحمه الله: "وقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ بأنه واحد لا شريك له؛ يعني صدق بالله، وبأنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: وصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، وصدق بالكتب والملائكة والنبيين"(٣).

قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) رحمه الله: "والإشارة في الآية: أن من كان

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (سورة البقرة: الآية: ١٧٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (سورة البقرة: الآية: ١٧٧).

(٣) تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي (سورة البقرة: الآية: ١٧٧).



مشتغلًا بجميع الجوانب والجهات لم يكن صاحب البر، إنما صاحب البر هو الذي يتوجه إلى صاحب الكعبة: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأَنْعَام: ٧٩]. فقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] إشارة إلى الكثرة والقول بالشركاء، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] إشارة إلى التوحيد، فصار معناه هو المفهوم من قول " لا إله إلا الله"(١).

قال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ) رحمه الله: "﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] أي ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بالله، أو لكن ذا البر من آمن"(٢).

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازى عليها بالهدى والفلاح ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال والشقاء"(٣).

الاسم الخامس والخمسون: ومن أسماء التوحيد "التهليل"(٤).

عن النعمان بن بشير (ت: ٦٥ هـ) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما

---

(١) عجائب القرآن للرازي ٦٩-٧٠.

(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (سورة البقرة: الآية: ١٧٧).

(٣) الفوائد ص: ١٢٩.

(٤) "التهليل: هو قول لا إله إلا الله: يقال: هلل الرجل أي من الهيللة، من قول لا إله إلا الله". انظر: المصباح المنير، ولسان العرب، ومختار الصحاح مادة: "هلل".

تذكرون من جلال الله التسبيح، والتهليل، والتحميد ينعطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، تذكر بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به؟))(١).

عن مجاهد (ت: ١٠٤هـ) رحمه الله، عن ابن سخبرة (ت: نيف وستين هـ) رحمه الله قال: غدوت مع عبد الله (ابن مسعود) (ت: ٣٢ هـ) رضي الله عنه، من منى إلى عرفة، وكان عبد الله رجلا آدم، له ضفيران، عليه مسحة أهل البادية، وكان يلبي، فاجتمع عليه غوغاء من غوغاء الناس: يا أعرابي، إن هذا ليس بيوم تلبية، إنما هو تكبير قال: فعند ذلك التفت إلي، وقال: أجهل الناس أم نسوا؟ والذي بعث محمدا بالحق لقد خرجت مع رسول الله ﷺ من منى إلى عرفة، فما ترك التلبية حتى رمى الجمرة العقبة، إلا أن يخلطها بتهليل أو تكبير"(٢).

عقد ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ) رحمه الله، في كتاب الزهد بابًا بعنوان: "في التهليل والحمد والاستغفار والاسترجاع"(٣).

وعقد أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥ هـ): في كتاب الأدب بابًا بعنوان "باب التهليل والتسبيح والتحميد حين يأوي إلى فراشه"(٤).

وقد بوب الإمام البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) رحمه الله، بابًا في صحيحه أسماه: "باب فضل التهليل" في كتاب الدعوات"(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨٣٦٢) (١٨٣٨٨)، وأخرجه ابن ماجة (٣٨٠٩) قال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/٢٥٠، (٢٨٠٦) وقال الأعظمي: إسناده حسن.

(٣) الزهد لابن المبارك-الملحق: صـ ٥٠.

(٤) كتاب الأدب لابن أبي شيبة صـ ٢٦٢.

(٥) صحيح البخاري ٨/٨٥.

وعقد النسائي (ت: ٣٠٣ هـ) رحمه الله في سننه بابًا في كتاب مناسك الحج سماه "التهليل على الصفا"(١)، كذا في السنن الكبرى في كتاب المساجد بابين أحدهما: "التهليل بعد التسليم"، والأخر: "عدد التهليل والذكر بعد التسليم""(٢)؛ وفي كتاب المناسك باب بعنوان "كم التهليل على الصفا"(٣).

وعقد ابن خزيمة (ت: ٣١١ هـ) رحمه الله، في كتابه صحيح ابن خزيمة في كتاب الصلاة بابًا بعنوان "باب التهليل والثناء على الله بعد السلام"(٤).

وعقد الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ) رحمه الله، في كتاب الدعاء بابًا بعنوان: "باب فضل الجوامع من التهليل"(٥).

وتتبع مثل هذا يطول.

قال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) رحمه الله: "والتهلل: أن يقول لا إله إلا الله، ومن هذه الجملة ركبت هذه اللفظة كقولهم: التبسمل والبسملة"(٦).

قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤ هـ) رحمه الله: "وقد جاء في الحديث هنا أيضًا: أفضل الذكر التهليل، وأنه أفضل ما قاله عليه السلام والنبيون من قبله. وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم، وهي كلمة الإخلاص"(٧).

---

(١) سنن النسائي ٥/٢٤٠.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٢/٩٥؛ ٢/٩٦.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٤/١٤١.

(٤) صحيح ابن خزيمة ١/٣٦٤.

(٥) الدعاء للطبراني صـ ٤٦٦.

(٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. صـ ٨٤٣.

(٧) "إكمال المعلم" للقاضي عياض (٨/١٩٢).

قال فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) رحمه الله: "جميع الطاعات تزول يوم القيامة مثل الصلاة والصيام والحج، فإن التكاليف الظاهرة تزول في عالم الغيب، أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم، وكيف يمكن زوالها عنهم والقرآن يدل على أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد تدل على المواظبة على الذكر والتوحيد. وإنما قلنا: إنهم مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يُونُس: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القَصَص: ٧٠] فثبت أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر، فعلمنا أن جميع العبادات زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر والتوحيد"(١).

قال النووي (ت: ٦٧٦ هـ) رحمه الله: "وَظَاهِرُ إِطْلَاقِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُحَصِّلُ هَذَا الْأَجْرَ الْمَذْكُورَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَالَ هَذَا التَّهْلِيلَ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَوْمِهِ سَوَاءٌ قَالَهُ مُتَوَالِيَةً، أَوْ مُتَفَرِّقَةً فِي مَجَالِسَ، أَوْ بَعْضَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ وَبَعْضَهَا آخِرَهُ.

لَكِنَّ الْأَفْضَلَ: أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مُتَوَالِيَةً، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ؛ لِيَكُونَ حِرْزًا لَهُ فِي جَمِيعِ نَهَارِهِ" (٢).

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وأما "التهليل والتكبير":

---

(١) عجائب القرآن صـ ٣٨.

(٢) شرح النووي على مسلم" (١٧/١٧).

ف"التهليل" يتضمن: اختصاصه بالإلهية وما يستلزم الإلهية، فهذا لا يكون لغيره، بل هو مختص به. و"التكبير" يتضمن: أنه أكبر من كل شيء"(١).

❀ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وأما التهليل: فيتضمن تخصيصه بالإلهية، ليس هناك أحد يتصف بها حتى يقال إنه أكبر منه فيها؛ بل لا إله إلا الله"(٢).

❀ قال ابن تيمية(ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "ولهذا قرن هذا في شعار الإسلام الذي هو الأذان بين التكبير والتهليل، فإن التكبير وهو قول "الله أكبر" يمنع كبر غير الله، وقول لا إله إلا الله يوجب التوحيد، وهاتان الكلمتان قرينتان"(٣).

❀ قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: "وأما التهليل فهو قرين التكبير كما في كلمات الأذان: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله ثم بعد دعاء العباد إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فهو مشتمل على التكبير والتشهد أوله وآخره. وهو ذكر لله تعالى وفي وسطه دعاء الخلق إلى الصلاة والفلاح. فالصلاة هي العمل. والفلاح هو ثواب العمل لكن جعل التكبير شفعا والتشهد وترا فمع كل تكبيرتين شهادة؛ وجعل أوله مضاعفا على آخره ففي أول الأذان يكبر أربعا ويتشهد مرتين والشهادتان جميعا باسم الشهادة وفي آخره التكبير مرتان فقط مع التهليل الذي لم يقترن به لفظ الشهادة ولا الشهادة الأخرى. وهذا والله أعلم بمنزلة الركعتين الأوليين من الصلاة مع

---

(١) كتاب قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لابن تيمية صـ ٢٣.
(٢) كتاب قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات صـ ٢٦.
(٣) جامع المسائل ١/٢٢٤.

الركعتين الأخريين فإن الأوليين فضلتا بقراءة السورة وبالجهر في القراءة فحصل الفضل في قدر القراءة ووصفها كما أن الشطر الأول من الأذان فضل في قدر الذكر وفي وصفه لكن الوصف هنا كون التوحيد قرن به لفظ أشهد ولهذا حذف في الإقامة عند من يختار إيتارها وهي إقامة بلال ما فضل به من القدر كما يخفضمن صوت الإقامة لأن هذا المزيد من جنس الأصل فأشبه حذف الركعتين الأخريين في صلاة المسافر. وأما الكلمات الأصول فلم يحذف منها شيء. وهكذا سنة النبي ﷺ في قيام الليل وصلاة الكسوف وغيرهما تطويل أول العبادة على آخرها؛ لأسباب تقتضي ذلك. وكما جمع بين التكبير والتهليل في الأذان جمع بينهما في تكبير الأشراف فكان على الصفا والمروة وإذا علا شرفا في غزوة أو حجة أو عمرة يكبر ثلاثا. ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده»[1]، يفعل ذلك ثلاثا. وهذا في الصحاح وكذلك على الدابة كبر ثلاثا وهلل ثلاثا فجمع بين التكبير والتهليل. وكذلك حديث عدي بن حاتم (ت: بين ٦٦ ٦٩ هـ) رضي الله عنه الذي رواه أحمد والترمذي فيه أن النبي ﷺ قال له: «يا عدي ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: لا إله إلا الله فهل تعلم من لا إله إلا الله؟ يا عدي ما يفرك أيفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله»[2]، فقرن النبي ﷺ بين التهليل والتكبير.

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٤٩)، والنسائي (٤٧٩٩)، وابن ماجه (٢٦٢٨).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٥٣).

وفي صحيح مسلم حديث أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: ((الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو قال تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها))[١]، فأخبر أنه يملأ ما بين السماء والأرض وهذا أعظم من ملئه للميزان. وفي الحديث الذي في الموطأ حديث طلحة بن عبد الله بن كريز أن النبي ﷺ قال: ((أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير))[٢]. فجمع في هذا الحديث بين " أفضل الدعاء وأفضل الثناء فإن الذكر نوعان: دعاء وثناء فقال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة. وأفضل ما قلت هذا الكلام ". ولم يقل أفضل ما قلت يوم عرفة هذا الكلام. وإنما هو أفضل ما قلت مطلقا.

وكذلك في حديث رواه ابن أبي الدنيا ((أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله))[٣].

وأيضا ففي الصحيح عن أبي هريرة (ت: ٥٨ هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن

---

(١) صحيح مسلم: (٢٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأحمد (٦٩٦١)، ومالك في الموطأ (٩٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٤٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٧٢).

(٣) سنن الترمذي (٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجة (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١٨٣٤)، والنسائي في "السنن الكبرى" (١٠٥٩٩)،وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي".



الطريق))(١)، فقد صرح بأن أعلى شعبالإيمان هي هذه الكلمة. وأيضا ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: ((يا أبي: أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟))، قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فقال رسول الله ﷺ: ((ليهنك العلم أبا المنذر))، فأخبر في هذا الحديث الصحيح أنها أعظم آية في القرآن وفي ذاك أنها أعلى شعب الإيمان وهذا غاية الفضل فإن الأمر كله مجتمع في القرآن والإيمان فإذا كانت أعظم القرآن وأعلى الإيمان ثبت لها غاية الرجحان. وأيضا فإن التوحيد أصل الإيمان وهو الكلام الفارق بين أهل الجنة وأهل النار وهو ثمن الجنة ولا يصح إسلام أحد إلا به ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء فمنزلته منزلة الأصل ومنزلة التحميد والتسبيح منزلة الفرع. وأيضا فإنه مشروع على وجه التعظيم والجهر وعند الأمور العظيمة مثل الأذان الذي ترفع به الأصوات وعند الصعود على الأماكن العالية لما في ذلك من العلو والرفعة ويجهر بالتكبير في الصلوات وهو المشروع في الأعياد"(٢).

الاسم السادس والخمسون: ومن أسماء التوحيد "ذكر الله".

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨﴾ [الكَهۡف: ٢٨].

عن ابن عباس (ت: ٦٨ هـ) رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا

---

(١) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) (٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٣٢-٢٣٥.

﴿قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحى، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾، يعني: من ختمنا على قلبه عن التوحيد"[١].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله: "الذكر ثلاثة أنواع: ذكر الأسماء والصفات ومعانيها، والثناء على الله بها، وتوحيد الله بها، وذكر الأمر والنهي والحلال والحرام، وذكر الآلاء والنعماء والإحسان والأيادي"[٢].

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) رحمه الله: "﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا"[٣].

قال محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) رحمه الله: "﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: جعلناه غافلاً بالختم عليه، نهي رسول الله ﷺ عن طاعة من جعل الله قلبه غافلاً عن ذكره كأولئك الذين طلبوا منه أن ينحي الفقراء عن مجلسه، فإنهم طالبوا تنحية الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه وهم غافلون عن ذكر الله، ومع هذا فهم ممن اتبع هواه وآثره على الحق فاختار الشرك على التوحيد"[٤].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم. (سورة الكهف: الآية: ٢٨).

(٢) مدارج السالكين ٢/٤٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (سورة الكهف: الآية: ٢٨).

(٤) تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني. (سورة الكهف الآية:٢٨).

الاسم السابع والخمسون: ومن أسماء التوحيد "الأمانة".

قال منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) ﵀: "وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢﴾ [المَعَارِج: ٣٢] أي: حافظون.

وقيل: أصل الأمانة أن كلمة التوحيد ائتمن الله تعالى المؤمنين عليها"(١).

الاسم الثامن والخمسون: ومن أسماء التوحيد "الكوثر".

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكَوۡثَر: ١].

قال أبو إسحاق أحمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) ﵀: "قال هلال بن يساف (ت: ما بين ٩١هـ إلى ١٠٠هـ) ﵀: هو قول لاإله إلا الله، محمد رسول الله"(٢).

قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) ﵀: "قال أنس (ت: ٩٠هـ) ﵁، وابن عمر (ت: ٧٣ هـ) ﵄، وابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﵄، وجماعة من الصحابة والتابعين: الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه قباب من در مجوف وطينه مسك وحصباؤه ياقوت، ونحو هذا من صفاته، وإن اختلفت ألفاظ الرواة، وقال ابن عباس (ت: ٦٨هـ) ﵄ أيضا: الكوثر: الخير الكثير.

قال القاضي أبو محمد: كوثر: بناء مبالغة من الكثرة، ولا مجال أن الذي أعطى الله محمدا عليه السلام من النبوة والحكمة والعلم بربه والفوز برضوانه والشرف على عباده هو أكثر الأشياء وأعظمها كأنه يقول في هذه الآية: إنا

---

(١) تفسير السمعاني ٦/٥٠.

(٢) الكشف والبيان في تفسير القرآن (سورة الكوثر الآية ١).

أعطيناك الحظ الأعظم، قال سعيد بن جبير (ت: ٩٥ هـ) رحمه الله: النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أعطاه الله إياه، فنعم ما ذهب إليه ابن عباس (ت:٦٨هـ) رضي الله عنه ا، ونعم ما تمم ابن جبير (ت: ٩٥ هـ) رحمه الله، رضي الله عنهم، وأمر النهر ثابت في الآثار في حديث الإسراء وغيره صلى الله على محمد ونفعنا بما منحنا من الهداية. قال الحسن (ت: ١١٠ هـ) رحمه الله: الكوثر، القرآن، وقال أبو بكر بن عياش (ت: ١٩٣ هـ) رحمه الله: هو كثرة الأصحاب والأتباع، وقال جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ) رحمه الله: نور في قلبه دله عليه وقطعه عما سواه، وقال أيضا: هو الشفاعة، وقال هلال بن يساف (ت: ما بين ٩١ هـ إلى ١٠٠ هـ) رحمه الله: هو التوحيد"(١).

---

(١) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٥٢٩.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد ﷺ تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فهذا جهد المقل في جمع مادة هذا الكتاب وترتيبها وتبويبها وفق ما ظهر لي من عناوين أردت بها ترتيب ما اجتمع مما تيسر لي جمعه فيما يدل على أهمية التوحيد وأولويته وأوليته في حياة المسلم وثمراته وأسمائه في النصوص الشرعية وأقوال العلماء في ذلك، ولا أدعي أنني استقصيت فذاك أمر عزيز، فإن وفقت بفضل من الله وعونه وتوفيقه وهدايته، وإن قصرت أو زل قلمي فذاك بسبب الطبيعة البشرية التي لا أخرج عنها شأني في ذلك شأن البشر، ورحم الله من أرشدني إلى عيوبي وسدد قلمي، وأمدني بنصحه وتوجيهاته، والله أسأل أن يجعل عملي في هذا الكتاب خالصًا وأن يجعله صالحًا متقبلًا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.